

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
شعبة الأدب والنقد



جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها في اللغة والأدب

إعداد الدارس :

٢٧٤٩

صلاح بن عبد الله بن محمد الجليوي

إشراف الدكتور

محمد عبد المنعم خفجي

٧٦٢



١٣٩٤ / ٩٣ هـ

Handwritten signature and number 115750

مقدمة :

نحمدك اللهم يا من علمت بالقلم ، ونصلي ونسلم على رسولك العلم ، وعلى آله وصحابه خير الأمم ، من نصروا الإسلام ورفعوا راياته ، ونشروه في بقاع الأرض وتلوا آياته ، فنعم به البشر ، وتراپطت به وشائج الأسر .

ومعد : فإن من واجب كل عربي مسلم أن يهتم بأمر المسلمين ، في أي مكان وجدوا ، وفي أي عصر عاشوا . والإسلام - كما يعرف الجميع - عم بنوره رقاعاً عظيمة من الكرة الأرضية ، فامتد من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، ولكنه كان وما زال كسائر العقائد والمبادئ له أنصار يذبون عنه ويدافعون ، وله أعداء يكيدون له ويبتغون .

ودراستنا لأحد الأقطار الإسلامية كالجزائر تلفت انتباهنا - ولا شك - إلى عدو معاصر من أعداء هذا الدين السمح . والبلاد الجزائرية تتابعت على حكمها دول إسلامية عديدة ، فبعد الفتح العربي الإسلامي على أيدي عبد الله ابن سعد وعبد الله بن الزبير وعقبة بن نافع أسس الجزائريون دولتهم الرسستية ضمن دائرة الإسلام ، ثم جاءت بعدها دولة الفاطميين الإسلامية ، وتبعتهما بعد ذلك دولة بني حماد المظنن والتي دامت (١٧١) عاماً ، ثم خلفتها دولة الموحدين التي لم تدم طويلاً حتى تأسست دولة بني زيان المنظمة فعمّرت ثلاثمائة عام ، وجاءت بعدها الجمهورية الجزائرية العثمانية .

وقد كان العدو يرصد هذه الدول جميعها بمين الحقد والكراهية ، ويرقب الشفرات لينفذ منها إلى هذا الحصن المشيد ، فيطغى الأنوار عنه كما أطفأها في الأندلس ، وقد حقق بعض ما يريد ، فنفذ السم في الجسد الجريح ، ودخل المستعمر أرض البلاد .

وفي الصفحات التالية سنرى قصة هذا الدخيل ، وأدواره التي لعبها خلال قرن وثلاث من الزمان ، كما سنعرف ردود الفعل من قبل أهل البلاد ليكون القارىء العزيز على بيئة من أهمية " جمعية الملماة المسلمين الجزائريين " وأفضالها على الأمة العربية ، وسأعرض الدور الذي لعبته هذه الجمعية ، والجوائز التي ظهرت وعاشت فيه ، والرجال المخلصين الذين وهبوا أنفسهم وجميع ما يملكون في سبيل هذه الجمعية ورسالتها الخالدة ، ولن يفوتني أن أتى بيمض الشواهد والنماذج لبعض ما أنتجه أولئك الرجال ليكون دليلاً على جدوى تلك الجمعية ومشاركتها الفعلية في توجيه مقود التاريخ الجزائري الحديث ، حيث صنمت أجيالاً أسادوا مجد آبائهم ، وسمت شباباً استعادوا حقوق أمته :

شباب لمصر الحق لم يك فيهم	سوى حازم عف الطوية طاهر (١)
تجلوا على هذى الجزائر بعدما	سجن الجهل أشباه البدور الزواهر
هم النشء لا نشء أضع شبابه	وأمواله بين الخنا والمخامر
شباب يرى تفريطه في بلاده	وتضييمه للقوم إحدى الكبائر
شباب أبوا أن يألفوا قط سبة	فلا خير فيمن يرتضي بالمعابر
لبنائهم شعب الجزائر إنهم	هداة ذوو خير بوعر المعابر

وقد توخيت في حديثي عن تلك المواضيع الإيجاز في الكلمة والتنوع في المبرارة ولم أدخر وسماً في استقصاء جميع أطراف الموضوع حيث استنجدت بالتحقق الثقافي الجزائري في جدة ، وكذلك الطحق الثقافي السمودي في الجزائر ، واتصلت بمعدد من الإخوة الجزائريين بالملكة العربية السعودية فلم يبخل الجميع بما عندهم . وزرت عدة مكاتب في مكة المكرمة والرياض وجدة والطائف وغيرها من مدن المملكة . وكانت النتيجة أن خرجت بهذه القصائد المتواضعة أقدمها لقارئها الكريم موقناً بأنه لا كامل إلا وجه الله ، آملاً بأن أتابع الكتابة في هذا الموضوع . وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

الدارس :

صالح بن عبدالله الجلعود
جامعة الأزهر
شعبة الأدب والنقد
السنة الثانية

(١) شعراء الجزائر في العصر الحاضر لمحمد الهادي الزاهري ص ٩٣ وما بعدها .

قصة الاستعمار

كانت الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي تابعة للإمبراطورية العثمانية ،
لا تحكها إلا بالإسم ، إذ كان " الداي " هو صاحب النفوذ الفعلي ، وكانت حكومته
على جانب كبير من الفوضى وسوء الإدارة .

وكانت في الوقت نفسه تمطي فرنسا قروضاً كثيرة - بدافع الصداقة - حتى تراكت
الديون . وكان أول من افتتح هذه السياسة " الداي حسان " حيث أقرضها قسماً ، ثم
تبعه في ذلك خلفه " الداي مصطفى باشا " ولكنه بدأ يطالب بالتسديد ، فظهرت
مشكلة تقديرها . ولم يلبث أن خلفه " الداي أحمد " الذي توترت العلاقات بينه وبين
فرنسا زمناً . ثم جاء " الداي حسين باشا " فأخذ يطالب بتلك الديون ، وفرنسا تتجاهل
ذلك ، فضاقت ذرعاً بهذه المماطلة . وفي أحد الاجتماعات بينه وبين القنصل الفرنسي
تطرقا لموضوع الديون ، فاشتد الجدل بينهما ، فما كان من الداي إلا أن صفع قنصل
فرنسا بمروحة في يده (١) ، وذلك سنة (١٨٢٧م) فثارت ثائرة فرنسا ، وعزمت على
الثأر لقنصلها ، وانتوت غزو الجزائر (٢) . ولكن الحقيقة أن ذلك لم يكن سبب الفيزو (٣)
بل أن الحكومة الفرنسية أرادت ستر فشلها أمام الحكم الملكي الإستبدادي الذي أقامه
" شارل العاشر " (٤) ، فأرادت الحكومة الفرنسية أن تقدم للشعب ما يلهيه ، وأكثر من
هذا أن الأسطول الفرنسي كان مرابطاً في ميناء " طولون " لا يستطيع الخروج منه إلى
البحر الأبيض المتوسط ، وذلك لعدم وجود قواعد فرنسية أو صديقة يتجه إليها خارج
فرنسا .

(١) المغرب العربي لصالح المقاد ص ٨٩

(٢) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر للدكتور محمد طه الحاجري ص ٨٣

(٣) الجزائر عبر الأجيال لسعود مجاهد الجزائري ص ١٦-٦١

(٤) الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي لهنري كلود وآخرين ص ١٣٥ .

وما يدل - دلالة واضحة - على أن قضية المروحة ليست سبباً رئيساً لفزوة الجزائر أن فرنسا قد خططت لهذا الفزوة من قديم ، يدل على ذلك خطاب " نابليون بوناپرت " الذي أرسله إلى " الداى " في بداية الحملة الفرنسية على مصر والذي يقول فيه : " لقد قضيت على دولة الماليك ، وانتظروا نفس المصير " (١) وعلى كل حال فقد قررت فرنسا ضرب حصار جدى على ميناء الجزائر ، بدأ في يونيه عام (١٨٢٧م) ، واستمر أكثر من سنتين ، وقد طلب القائد الفرنسي عند بداية الحصار حضور وزير البحرية الجزائرية لتقديم الاعتذار ، وإصدار تعهد بالإحتناع نهائياً عن القرصنة والاتاوات مع إعادة السلطات من السفن الباهوية التي غنمها الجزائريون قبلاً ، وفوق ذلك كله الاعتراف لفرنسا بحق الدولة الراعية للجزائر ، زيادة على التنازل عن الديون .

فرد " الداى " على هذه المطالب قائلاً : " لم يبق إلا أن يطلبوا امرأتى " (٢) .

وفي ٣٠ يناير ١٨٣٠م اتخذ مجلس الوزراء في باريس قراراً بإرسال حملة برية لتفرض شروط فرنسا على الجزائر إذا استمر " الداى " على موقفه العنيد ، فوصلت الحملة إلى خليج " سيدى فوج " في تموز (يونيه) ١٨٣٠م (٣) ، وصم " الداى " على المقاومة ، فاجتمع لديه أكثر من (٦٠) ألف مقاتل ، ولكنه ارتكب عدة أخطاء في تنظيم الدفاع ، فحاصره الفرنسيون " بيج الحسن " وسقط ، فدخلت القوات الفرنسية المدينة في (٥ يوليو ١٨٣٠م) (٤) ، واختار " الداى " منفاه بمدينة " نابولي " ، ولكنه قام بعدة محاولات تافهة لاسترداد الجزائر أدت إلى طرده من إيطاليا إلى مصر .

(١) الأديب الجزائري المعاصر للدكتور سعاد محمد خضر ص ٩٤

(٢) المغرب العربي لصالح المقاد ، ص ٩٠

(٣) الجزائر في معركة التحرير لسعد زغلول فواد ، ص ٦٥

(٤) مجلة الحج السنة الحادية عشرة - الجزء الثالث ، ص ١٧١

وظهرت مقاومة أخرى من الحامية العثمانية المقيمة في "بسكره" بقيادة أحمد بك" واستمرت حتى عام (١٨٣٧م) . (١)

كما ظهرت - في نفس الفترة - مقاومة في إقليم "تيطرى" بقيادة "بومزراق" . وأخرى من القبائل الإسلامية المهاجرة من "وهران" .

وقد ظلت فرنسا أربع سنوات لم يكن تحت يدها سوى ثلاث مدن ساحلية منفصل بعضها عن بعض بسبب مقاومة الشعب الجزائري وانضوائه تحت لواء الأمير عبد القادر الجزائري (٢) ، حيث بدأ ثورته عام (١٨٣٢م) واضطرت فرنسا إلى الاعتراف باستقلاله وسيادته . وفي عام (١٨٣٥م) تجدد القتال بينه وبينهم بحجة أن بعض القبائل الجزائرية طلبت حمايتها ، ولكن فرنسا اضطرت إلى الاعتراف بسلطة الأمير عبد القادر سنة (١٨٣٧م) .

وفي سنة (١٨٤٠م) تجدد القتال مرة أخرى ، واستمر عنيفا مدة سبع سنوات ، حتى اضطر الأمير عبد القادر إلى اللجوء إلى المغرب ، فضضت فرنسا على سلطانه واضطر إلى إخراج الأمير مكرهاً ، فاستسلم سنة (١٨٤٧م) ومكث في سجن فرنسا خمس سنوات ، نفي بعدها إلى سورية ، وأقام بها إلى أن انتقل إلى جواربيه . (٣)

وفي سنة (١٨٤٥م) قام المناضل "بشير بومعزه" بثورته التي استمرت حتى سنة (١٨٤٧م) .

وفي منطقة القبائل قامت ثورة بقيادة "أبوبغله" سنة (١٨٥١م) . وفي "منطقة واحات الجنوب" قاد الزعيم الديني "محمد بن عبدالله" ثورة استمرت ما بين سنتي (١٨٥٢م) و (١٨٥٤م) .

(١) هذه هي الجزائر لأحمد المدني ، ص ٨٤ . والمغرب العربي لصالح العقاد ص ١٠٧
(٢) الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني ص ٤١٢ ، تاريخ الجزائر لسعود مجاهد الجزائري ص ١١٣ ، ومراجع أخرى .
(٣) قاعة فتح المغرب العربي للواء الركن محمود شيت خطاب ، ص ٢٤٣ .

وفي سنة (١٨٥٧م) ثار الشعب الجزائري في "منطقة جرجرة" بقيادة "لالا فاطمة" فاضطر الحاكم الفرنسي العام (الجنرال بونيتير) الى أن يخرج بنفسه على رأس جميع قواته ، فتمكن بعد عدة معارك من أن يهزم الثوار ، ويأسر الزعيمة الوطنية. (١) وفي سنة (١٨٥٨م) قامت ثورة "بني سياش" . وفي سنة ١٨٥٩م قامت ثورة بني سنان على حدود مراكش ، وفي سنة ١٨٦٢م قام "أولاد سيدي الشيخ" بثورتهم التي استمرت عاماً كاملاً .

وفي سنة ١٨٦٤م ثار الشعب في جنوب الجزائر مرة أخرى بقيادة "سي سليمان" الذي قتل قائد الحملة الفرنسية "راندون" ثم استشهد في نفس المعركة (٢) ، فخلفه أخوه "سي الأزرق" ، واستمرت الاشتباكات عشرين عاماً ، ولم تخمد هذه الثورة إلا في سنة ١٨٨٤م .

وفي سنتي (١٨٧٠ ، ١٨٧١م) ثار الجزائريون تحت قيادة الشيخ "محمد بن عبدالله المقراني" فلما استشهد خلفه أخوه "بومزراق المقراني" واستمر يناضل حتى يناير ١٨٧٢م . وكان الشيخ محمد المقراني قد التقى بالشيخ "الحداد" واتفق معه على الثورة ، فخاضا أكثر من ثلاثمائة وخمسين معركة . (٣)

وفي عام ١٩٠٤م تكونت في "عمالة وهران" جماعة أطلقت على نفسها اسم "جماعة الإرهابيين الشرفاء" ، وكان همها اغتيال كل حاكم فرنسي أو جزائري موالٍ للاستعمار . وفي سنة ١٩١٠م قام عدد من المثقفين يطالبون بالحرية والمساواة . وكان هدفهم تحقيق فكرة الجامعة الإسلامية التي نادى بها الشيخان : جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده وغيرهما .

-
- (١) الجزائر عبر الأجيال لسمعود مجاهد الجزائري ، ص ٥٩ ، الجزائر في معركة التحرير لسمعد زغلول فواد ص ٧١ . ومراجع أخرى
(٢) هذه هي الجزائر لأحمد المدني ص ١٥٣ ، والجزائر في معركة التحرير لسمعد زغلول ص ٧٢ .
(٣) أضواء على القضية الجزائرية لابراهيم كبه ص ٣٨ .

وفي سنة ١٩١٤م هربت أعداد كبيرة من الشباب الجزائري عن التجنيد تقدر بمائة وعشرين ألفا ، وقامت بمظاهرات وحوادث ضد المحتل قتل فيها عدد كبير من الجانبين . وفي سنة ١٩١٦ قامت ثورة في جبال " أوراس " فلم تستمر طويلا ، وفي سنة ١٩١٨م تشكل وفد من الضباط الجزائريين ، وعلى رأسهم الأمير " خالد الجزائري " وطالب بحق تقرير المصير للجزائريين ، فأحيل الأمير خالد إلى التقاعد ، ثم كوّن هيئة أسماها " كتلة المنتخبين المسلمين الجزائريين " .

وفي سنة ١٩٣٠م ثار هذا الزعيم الوطني وجعل شعاره " الجزائر عربية ، ولن يقرر لها قرار الا بعد تحررها من الاستعمار " ، وظل يكافح حتى لقي ربه سنة ١٩٣٧م ، فخلفه " مصالي الحاج " وكون " حزب الأمة الجزائري " ، فلم تمهله السلطات الفرنسية وأمرت بحله ، وألقت بزعيمة واكثر أعضائه في السجون . (١)

وقد أخذ الجزائريون يطالبون بالاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية فكافأتهم " الحركة الديجولية " مكافأة اللثيم الفادر ، وأوقعت بهم مذبحة فظيمة في سنة ١٩٤٥م ذهب ضحيتها (٤٥٠٠٠) نسمة (٢) .

وفي ليلة الأول من نوفمبر سنة ١٩٥٤م انطلقت أول شرارة لثورة الجزائر الاستقلالية ، فأخذت فرنسا تبعد أهل البلاد بدون رحمة أو مراعاة لحقوق المدنيين .

وفي سنة ١٩٥٥م قررت " هيئة الأمم المتحدة " مناقشة قضية الجزائر ، فهددت فرنسا بالانسحاب نهائيا من هذه الهيئة ، وبدأت فعلا بسحب وفدها . وتكرر التهديد نفسه سنة ١٩٥٦م للقضية نفسها .

(١) الجزائر في معركة التحرير لسعد زغلول فواد ، ص ٧٣
(٢) الجزائر حتف الاستعمار ، لمولفه : ليون فيكس ، ص ٦٨ ، ومراجع أخرى .

وفي سنة ١٩٥٨م حاول الجنرال " ديفول " رئيس الجمهورية الفرنسية إيقاف الحرب بينه وبين الثوار فلم يفلح ، وفي هذا العام ألغي النظام الذي بمقتضاه كانت الجزائر قسماً : شمالي وجنوبي ، وأصبحت الجزائر كلها منطقة واحدة تنقسم إلى ست عشرة ولاية : ثلاث عشرة منها في الشمال ، وثلاث في الجنوب . (١)

وفي سنة ١٩٦٠م توقف القتال رسمياً بين الجانبين ، وعقد اتفاق في " إيفيان " وكان يتضمن اعتراف فرنسا بحق الجزائر في الاستقلال وتقرير المصير ، والإعتراف للشعب الجزائري بحق السيادة على أراضيه ، فانتصر الحق على الباطل ، وتحللت الدولة المسلمة بعد أن سقطت من أيديها الملايين من الجرحى والشهداء .

(١) الجزائر العربية للدكتور احسان حقي ، ص ٩٤

(١) الروح الصليبية وآثارها

كان الدين أول هدف للمستعمر ، فاتجه إلى حربه ، ومحاولة القضاء عليه ، تدفعه إلى ذلك روح صليبية حاقدة ، تظهر جلية في خطاب الطك " شارل العاشر " حيث قال ضمن خطاب المرش في الثاني من شهر مارس سنة (١٨٣٠ م) :
" إن العمل الذي سأقوم به لترضية شرف فرنسا ، سيكون بعناية العلي القديسر لفائدة المسيحية جميعاً " (٢) . كما نرى هذه الروح في التقرير الذي رفع إلى الملك ووصف المسلمون فيه بأنهم أعداء المسحية (٣) ، وأن الغزو الفرنسي للجزائر إنما جاء انتقاماً للدين والإنسانية . (٤)

وبدأت هذه الروح تتطور وتزداد ، حتى أن القائد الفاجر " روفيجو " أعلن في ملاء من قومه بأنه يلزمه أجل مسجد في الجزائر ليحطه إلى معبد لإلهه المسيحيين ، فتحدد يوم ١٨ ديسمبر ١٨٣٢ م لهدم مسجد " كشاوة " الجامع (٥) ، وكان بداخله أربعة آلاف مسلم خروا بين صريع وجريح ، ولم يأت الصباح التالي إلا والمسجد يحمل اسم " كاتدرائية الجزائر " . أما مسجد " القصبة " الفني بذكريات الإسلام ، فقد دخله القواد والجنود ، وأقاموا فيه القداس ، ومجدوا " إله الجيوش " ورتلوا نشيد الففران . (٦)

ولم تكن المساجد الأخرى بأقل حظاً ، فقد حول المستعمر مسجد " علي بتشيم " إلى مكان لأداء شعائرهم ، وأسموه " كنيسة النصر " أو " نوتردام " (٧) وكذلك فعلوا بمسجد " الباي " إذ مسنوه إلى " كاتدرائية قسنطينة " .

-
- (١) قال الشيخ الرئيس ، لمؤلفه محمد الطاهر فضلاء ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .
 - (٢) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر للدكتور محمد طه الحاجري ، ص ٨٣ .
 - (٣) مجلة الحج - السنة الحادية عشرة - الجزء الثالث (١٦ رمضان ١٣٧٦ - ١٦ ابريل ١٩٥٧ م) ، ص ١٧٠ .
 - (٤) تطور السياسة الفرنسية في الجزائر ، للدكتور صلاح العقاد ، ص ٤ .
 - (٥) مجلة الصربي - العدد (٥١) ، ومراجع أخرى .
 - (٦) الجزائر الثائرة ، لمؤلفه : كوليت ، وفرانسيس جانسون ، الجزائر عبر الأجيال لمسمود مجاهد ، ص ٥٧ .
 - (٧) الجزائر عبر الأجيال ، ص ٧٤ ، وتاريخ الجزائر لمسمود مجاهد الجزائري ، ص ٤٣٦ .

ولم يكف المستعمرون بهدم المساجد على من فيها ، بل إنهم أجبروا الأهالي الذين حالفهم الحظ بالنجاة على دفع نفقات هدمها (١) .

ثم نرى التبشير قد قام على قدم وساق ، وتكونت " جماعة الآباء البيض " التبشيرية ألفها أسقف الجزائر " الكاردينال لافيغري " حيث انتهز المبشرون المجاعة التي حلت بالجزائر سنة ١٨٦٨ م ومات منها ما يزيد على (٨٠٠ ٠٠٠) جزائري ، فجعلوا يجوسون البلاد فيلتقطون الأطفال الذين مات عنهم ذويهم ، لينشئوهم على المسيحية (٢) فيحققوا ما قاله القائد " بيجو " : " إن أيام الإسلام قد دنت ، وإن الوسيلة إلى أن يصبح العرب ملكاً لفرنسا أن يتحولوا إلى مسيحيين " .

وقد اتجهت هذه الروح الصليبية إلى المساجد لأنها رمز الإسلام وروحه ودليل قوته ، فهي إلى جانب كونها دور عبادة وإقامة شعائر ، تعدُّ مدارس لتثقيف أبناء الشعب وفضل عقولهم ، وتمتبر أمكنة لعقد المؤتمرات وتبادل الرأي بين المسلمين فيما يحزبهم من أمور ، وهي محط رجال الواعظين والمرشدين ، وفوق ذلك كله هي رابطة للمسلمين تدفعهم إلى العمل الجماعي ، وتوحي إليهم بجدوى التكامل والتضامن . فقد كان بمدينة الجزائر وحدها قبل الاحتلال (١١٢) مسجد ، لم يبق منها بعده إلا خمسة فقط ، أما الباقي فقد هُدم تهديماً ، وحول اثنتان من أكبرها إلى كنائس مسيحية (٣) وإذا أنصفنا في القول قلنا : إنهم حولوا بعض تلك المساجد إلى مكاتب وإدارات وشركات عسكرية ، وحولوا البعض الآخر إلى اسطبلات تدوس حرمتها الخيول والبغال والحمير (٤) . ولن نستغرب ما تقدم إذا عرفنا أن السلطات الفرنسية وضعت

(١) هذه هي الجزائر لأحمد توفيق المدني ، ص ٩٣ .
(٢) المغرب العربي لصالح العقاد ، ص ١٥٦ ، مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٤٣ . ص ١٥٥ .
(٣) هذه هي الجزائر لأحمد توفيق المدني ، ص ١٤٠ .
(٤) الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني ، ص ٨٩ .

يدها على جميع الأوقاف والمؤسسات الإسلامية ، ومبالغة في النكايه فقد جمعت تلك الأوقاف التي تقدر بمئات الملايين بين يدي البشريين .

أما المدارس العربية فلم تسلم - هي الأخرى - من كيد المستعمر ومخططاته فقد تنبه إلى خطرهما في توعية الشعب وتنويره ، فعاجلها ومدّ يده الأئمة إليها (١) وأمر ألا تفتح مدرسة إلا بعد إذنه وتحت إشرافه ووفق ما يشتهي ، فراح الشعب الجزائري يهيم في ظلمات لا آخر لها ، ولولا بعض الأسر المحافظة على دينها ولفتها (٢) لتحول هذا البلد من العروبة إلى العجمة ، ولخسر العرب كما خسروا الأندلس التي كانت في الماضي معقل العرب ودرع الإسلام .

المستعمرون وعملاؤهم

لقد وضع المستعمر يده - كما أسلفنا - على الشؤون الدينية ، وهيمن على جميع المؤسسات الإسلامية ، حتى صار يختار الموظفين الدينيين على حسب عداوتهم له ، فكان رجال الإفتاء وأئمة المساجد وسدنتها وقراء القرآن فيها ، كل أولئك من الموظفين الذين يتقاضون أجورهم من الخزينة الفرنسية ، ولا يتسلمون وظائفهم إلا متى قدموا للاستعمار ما يوجب رضاه ، وأكبر وثيقة على ذلك ما كتبه أحد موظفي الإدارة الفرنسية بالجزائر ، ويدعى " مسيو برك " ، ويقول : " لقد وصل بنا استهان واحتقار الدين الإسلامي الى درجة أننا أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي

- ٧٦٢
- (١) الجزائر أرض اللهب والدم ، لمحمد عوده وآخرين ، ص ١٤ .
أضواء على
أرضنا
القضية الجزائرية لابراهيم كبه ، ص ٣٤-٤٨ .
- (٢) تاريخ الجزائر لمسعود مجاهد ، ص ٤٥٢ ، جوانب من الحياة
في الجزائر لمحمد طه الحاجري ، ص ١٠٤ .



أو الإمام إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس ، ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أي رقي إلا إذا ما أظهر للإدارة الفرنسية إخلاصاً منقطع النظير^(١) ويقول الوزير الفرنسي "سيومطران" من حديث له في ندوة صحفية :

"فالحكومة هي التي تدير ما جلّ وقت من أمور المسجد والدين ، ورأينا أن المدير إذا أراد أن يكافئ أحد فراشيه عينه إماماً أو مفتياً"^(٢).

ولم يكتف المستعمر اللقيم بهذه الزمرة من الموظفين الرسميين ، بل أوجد طبقة أخرى وسخرها لمصلحته ، وهي "طبقة الطرقية" ، التي غزت عقول الشعب بخزعبلاتها وأوهامها^(٣) ، فكان أصحاب الطرق الصوفية - هؤلاء - هم الوسيط بين الحكومة والشعب في حفظ الأمن وجبّي الضرائب وتميئة الجيوش ، وأخذ هؤلاء المشايخ الصوفيون يزهّدون الناس في الدنيا ويوهمونهم بقرب الساعة من مثل قولهم: "إن الدنيا قريب زوالها ، وإن هذا الزمان هو آخر الأزمان المنصوص عليها"^(٤).

وقد تكاثر عدد هواة التصوف وخدمة المستعمر حتى بلغ (١٦٨٨٧٤) متصوفاً^(٥).

وقد عمد المستعمر - كذلك - إلى نشر الإلحاد بين الشباب الإسلامي بواسطة المدارس وغيرها ، فصارت موجة الإلحاد - هذه - تتماون مع تخريف رجال الدين مما أدى إلى البلبلة في النفوس والاضطرابات في العقول^(٦) حتى وجد من بين كبار المثقفين الجزائريين من أنكرو وجود أمة حرة اسمها "الجزائر" في التاريخ^(٧) ، فدعوا إلى الاندماج في فرنسا ، ورأوه سبيلاً وحيداً للحياة الفضلى^(٨) . بل هناك

-
- (١) هذه هي الجزائر لأحمد المدني ، ص ١٤٨ . جوانب من الحياة المقلية والأدبية في الجزائر لمحمد الحاجري ، ص ٨٣-١٠٠ .
 - (٢) الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني ، ص ١٩٥ .
 - (٣) قال الشيخ الرئيس ، لمؤلفه محمد الطاهر فضلاً : ج ١ : ص ٢١٤ .
 - (٤) شعراء الجزائر في العصر الحاضر لمحمد الهادي الزاهري : ج ١ : ص ١٦٠ .
 - (٥) المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى ، لجلال الفاسي ، ص ٨٨ .
 - (٦) مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ١٤٣ ، ص ١٦ .
 - (٧) من مثل فرحات عباس ، وسيأتي مقاله في إنكار الأمة الجزائرية .
 - (٨) الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني ، ص ١٣٥ .

أسر جزائرية اشتهرت بحفاظها على دينها ولغتها انساقت خلف أولئك الدجالين وانخدعت بأضاليلهم كأسرة الزاهري وغيرها . ولكن الله قيض لهذه الأمة الضائعة من رذائلها إلى الطريق القويم وهداها إلى السراط المستقيم .

" فرنسا والتعليم "

لم يغفل المستعمر المدارس العربية ، بل أعطاها نصيباً كبيراً من مقتنه وحققه ، وجعل يضيق الخناق عليها ، ويعمل جاداً على محو اللغة العربية منها وإحلال اللغة الأجنبية مكانها (١) . وقد كانت النهضة العلمية في الجزائر على أشدها حيث كان يوجد بها عند دخول المستعمر إليها في عام ١٨٣٠ م ما يزيد على (٢٠٠٠) مدرسة وأربع جامعات ، يدرس فيها أكثر من (١٨٠٠٠) طالباً ، وكان عدد الشعبان ذاك لا يزيد على ثلاثة ملايين ونصف المليون (٢) ، أما بعد دخوله فقد تعرضت المكاتب القرآنية والمدارس العربية لنقته ، فأغلق معظمها (٣) وسيطر على البقية الباقية منها - شأنها في ذلك شأن المساجد - وفرض عليها ألواناً من الرقابة ، كما فرض على ما قد يستحدث منها كثيراً من القيود التي تعزل النشء عن تاريخه وعقيدته ولغته (٤) ، ومن هذه القيود :

(١) اقتصار التعليم في المدرسة على تحفيظ القرآن الكريم وحده .

-
- (١) مجلة العربي - العدد (٥٣) ، ص ١٦ . نهضة الجزائر الحديثة وشورتها المباركة لمحمد علي دبور - الجزء الأول ص ٢٥ . ومراجع أخرى .
(٢) الجزائر عبر الأجيال لمسمود مجاهد الجزائري ص ٢٣٤ .
(٣) قال الشيخ الرئيس لمؤلفه محمد الطاهر فضلاً : ج ١ : ص ٢٨١-٢٨٥ .
(٤) الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني : ص ٨٨

(٢) عدم التعرض - بأى صورة من الصور - إلى تفسير القرآن الكريم وبخاصة الآيات التي تحض على الجهاد في سبيل التحرير وعدم الرضوخ للظلم والاستعباد .

(٣) استبعاد دراسة التاريخ الجزائري والتاريخ العربي والإسلامي من الدراسة وكذلك جغرافية الجزائر ، وجغرافية سائر الأقطار العربية والإسلامية .

(٤) عدم تدريس الأثب العربي بسائر فنونه وعصوره . (١)

وكان صدور هذا القانون في سنة ١٩٠٤ م ، ولم تكف السلطات بهذا التصرف والاستهتار ، فأصدرت في سنة ١٩٣٧ م قانوناً آخر اعترت بمقتضاه اللغة العربية لغة أجنبية ، ووصفت فيه بالقصور وضيق المجال (٢) . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تجاوزه إلى اعتبار كل مدرسة للعربية - إذا سُمح بفتحها - خاضعة لقانون المدارس الأجنبية ، وكل صحيفة بالعربية - إذا سُمح بصدورها - خاضعة لقانون الصحف الأجنبية ، وإذا كتبت أنت إلى صديق لك بالجزائر رسالة وكتبت العنوان باللغة العربية فإنها ترمى في سلة المهملات ، وقد اعتبر المستعمر فتح أي مدرسة لتعليم اللغة العربية أخطر من فتح مصنع لإنتاج الأسلحة والذخائر استمداداً لثورة (٣) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن فرنسا أنشأت عدة مدارس لكي يلتحق بها أبناء الجزائر - إن اتسعت لهم - وهذه المدارس تتعهد البراج بالتنقيص من المفيد

(١) مجلة العربي - العدد ١٣٧ ، ص ١٠٤ .
(٢) الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني - ص ١٣٢ . الجزائر عبر الأجيال
لسمعود مجاهد : ص ٢٣ ، الجزائر أرض اللهب والدم لمحمد عوده وآخرين ،
أضواء على القضية الجزائرية لابراهيم كبه ، ص ١٦٧ ، ومراجع أخرى .
(٣) الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني ص ٨٣ .

والزيادة من السفاسف ، ويتكلم عنها الشيخ الإبراهيمي فيقول : " وأخذت تكبر - بزعمها - من التعليم الصناعي الآلي لتبعد أبناءنا عن منشطات الفكر والروح ، وقد عزلت هذه المدارس - التي تسميها بالمدارس الأهلية - عن المدارس الفرنسية . وهذا التعليم - في جملة - تعليم ابتدائي يقف المتملم عند حدود المعرفة الأولية للغة الفرنسية لتكوين الضروريات للجهاز الحكومي ، ولذلك كانت نسبة الالتحاق بالتعليم الجامعي ضئيلة جدا . أما من أتى له التعليم العالي - وهم قلة - فقد استبدلوا لفتهم بلسان فرنسي ، هو أداتهم في صياغة أدبهم ، والتعبير عن أنفسهم ، وهذا - بلا شك - يخدم قضية الاستعمار " (١) ، ورغم ذلك فان هؤلاء الفرنسيين يشعرون بقصور اللغة الفرنسية ويحتنون إلى لفتهم التي أضعوها ، ولناخذ دليلاً على ذلك أحد الكتاب والشعراء باللغة الدخيلة ، مالك حداد الذي يقول : " أنا الذي أغنيتي بالفرنسية ، أنا الشاعر يا صديقي ، يجب أن تفهمني جيداً إذا ما كانت لفتي تشرك ، لقد أراد الاستعمار ذلك ، لقد أراد الاستعمار أن يكون عندي هذا النقص ، ألا أستطيع أن أعبر بلفتي " (٢) .

ومن ثم أصبحت الفرنسية لغة الطبقة المثقفة المتعلمة ، كما أصبحت لغة الدواوين والطبقات العليا ، أما العربية فلا مكان لها إلا في شؤون الحياة اليومية التافهة ، فهي لغة الطبقات الدنيا . وبالقضاء على اللغة كان القضاء على مآثر الأجداد ، فكان الجهل بالأدب العربي الإسلامي ، إذ كان ارتباطه باللغة وثيقاً ، فهل يمكن لشعب نسي لفته أن يستبقي أدبه ؟ .

(١) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر لمحمد طه الحاجري ، ص ٩٦
(٢) الأدب الجزائري المعاصر لسعاد محمد خضر ، ص ٨٨ .

وقد توجّ المستمّر محاربة اللغة بتزوير التاريخ ، فقد حال بين التلاميذ وتاريخهم ، وقرر تدريس تاريخ فرنسا منذ المراحل الأولى ، وأغفل التاريخ الجزائري - اللهم إلا التاريخ الأوربي منه - ، ونقش في عقول النشء أن المغرب لا صلة للجزائريين بهم ، وراعوا ذلك في كتب الجغرافية المقررة على المدارس فأكدوا فيها بالوثائق والمستندات أن الجزائر قطعة من فرنسا (١) ، بل أكدوا أن بلاد المغرب كلها جزء من أوروبا ، وذلك كما في كتاب " بربر وعرب " للجنرال " أدوارد بريمون " عضو أكاديمية العلوم الاستعمارية ، ويزعم هذا المؤلف أن الفزرو الهلالي وهم كبير من أوهام المؤرخين ، وهؤلاء الهلاليون إن صح أنهم عرب ، فليسوا إلا عصابات ضئيلة ألبأتها المجاعة إلى الهجرة ، وأنها إنما كثرت بما انضم إليها في زحفها من جماعات البربر الراغبة في النهب ، أما اللغة العربية فلم يصدر بها أهل هذه البلاد عن المغرب بل كانت لهم قبل الإسلام ، أخذوها عن الفنيقيين " (٢)

ولقد نجح الاستعمار في إهدار القومية الجزائرية ، وخصوصا عند الخاصة الذين نشأوا نشأة فرنسية ، فتكونت منهم جماعة تدعو إلى إدماج الجزائر في فرنسا ، وذلك في أعقاب الحرب العالمية الأولى . ولنأخذ مثلاً لأولئك الذين فقدوا غيرتهم على وطنهم فرحات عباس في مقالاته التي بدأ ينشرها منذ سنة ١٩٢٥م إلى أن تحول عن رأيه حين رأى طلائع الثورة تقف في وجهه فرنسا . يقول فرحات في أحد مقالاته (٣) " نحن أصدقاء ابن جلول السياسيين كان يمكننا أن نكون من القوميين ، وهذا الاتهام ليس بالشيء الجديد . ولقد تحدثت في هذه المسألة مع شخصيات عديدة ، ورأيت فيها مصروف ، فالقومية هي

(١) الجزائر أرض اللهب والدم لمحمد عوده وآخرين ، ص ٨٩ .
(٢) مجلة الرسالة ١٩ مارس ١٩٦٤م عن مقال : " محنة الشمال الأفريقي " لمحمد الحاجري .
(٣) كان عنوان هذا المقال : " لو أنني عثرت على الوطن الجزائري ؟ " وقد رد عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس ردا حاسما سنراه في الصفحات القادمة .

تلك العاطفة التي تدفع بقوم إلى الميـش داخل حدودهم الإقليمية، وهي العاطفة التي أوجدت مختلف الأمم ، ولو أنني اكتشفت الأمة الجزائرية لكتب أول القوميين ، ولما خجلت قط من ذلك ، فالرجال الذين ماتوا من أجل مثلهم الوطنية مكرمون ومحترمون ، ولا تساوى حياتي أكثر من حياتهم ، ومع ذلك فلن أموت من أجل وطن جزائري ، لأن ذلك ليس له وجود ، ولم أكتشفه ، لقد سألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات ، وزرت المقابر ، فلم يحدثني أحد عنه ، ولا يمكن البناء على الهواء ، وقد استبعدنا تماما جميع هذه الأوهام لنربط نهائياً مستقبلنا بما حققته فرنسا لهذا البلد . وطني كل ، فلا يوجد من يعتقد جدياً بهذه القومية الجزائرية ، وكل ما يراد من وراء هذه العبارات هو تحريرنا السياسي والاقتصادي لأنه بدون تحرير السكان الأصليين لن تكون هناك جزائر باقية على مر الزمن . (١)

ومن هنا نعرف خطر الاستعمار الفكري على مصير الأمم ، إذ لو أن هذا الكاتب استقى علومه في مدرسة عربية إسلامية لما صدر منه ما صدر ، ولكنه استقاها من يد المستعمر فصارت سماً زعافاً ، على الأمة والوطن .

ونختم هذا الكلام عن العلم والتعليم في الجزائر بما نختم به المستعمر استعماراً حيث عز عليه أن يخرج من هذا الوطن دون أن يسديه يداً سوداء ، فقد قام في عام ١٩٦٢م بإحراق " جامعة الجزائر " ، مبانيتها ومعاطبها ومكتبتها الفاخرة ، التي تضم أكثر من (٦٠٠ . ٠٠٠) كتاب ومرجع ، منها مخطوطات عربية وأجنبية . (٢)

(١) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر لمحمد طه الحاجري ، ص ١٠٠ ،
المغرب العربي لصالح المقاد ، ص ٣١٦ .
(٢) مجلة العربي - العدد ٥١ ، ص ٨٥ .

تكوين الأحزاب وقيام الجمعيات

لقد ظن المستعمر أنه سيطر على الشعب الجزائري حين سلب أرضه ونشر الجهل بين أفرادهِ ، ونكل بأهله ، حتى وصلت به دنائته إلى المملى على تحقير المسلمين واضطهادهم وتجهيلهم وإفقارهم وإقصائهم عن جميع مرافق الحياة ، واعتبارهم رعايا تابعين له ، واتخذ جميع الخطط لمنهم من تعليم الدين والقرآن واللغة العربية . ولكنه واهم في ظنه مخفي في هدسه ففي هذا الجو ، ونتيجة لهذا الاضطهاد أنشئت في الجزائر أحزابٌ وهيئات (١) كان كل ما تتمناه وتطالب به أن يكون الجزائريون مواطنين فرنسيين لهم حقوق الفرنسيين وظيهم واجباتهم . وفي هذا الجو أيضا ظهرت حركة " جمعيات العلماء المسلمين " ، التي اتخذت نهجاً يختلف عما سلكته المنظمات والأحزاب الأخرى ، فهي أطول طريقاً ، وأبعد هدفاً ، وأكثر أصالة ، وأعمق جذوراً ، اتخذت نهج الإصلاح وإعادة الأمة إلى عروبتها وإسلامها اللذين فقدتهما ، وتأهيل الشعب للنضال والجهاد في سبيل هذين الهدفين . (٢)

وفيما يلي نبذة قصيرة عن هذه المنظمات :

١- منظمة نجم الشمال الأفريقي : (٣)

ظهرت هذه المنظمة سنة ١٩٢٦م حين أسسها العمال الجزائريون المقيمون في فرنسا ، وكانت غايتها العمل في سبيل استقلال الشمال الأفريقي كله استقلالاً

(١) الجزائر حتف الاستعمار لمؤلفه : ليون فيكس ، ص ٣١ .

(٢) مجلة حضارة الإسلام - العدد الثاني - السنة السادسة . ص ٢٢ .

(٣) الجزائر العربية لإحسان حقي . ص ٢٣٢ .

تماماً ، ولكن أصحابها لم يصرحوا بشايتها - نظراً لقوة الاستعمار آنذاك - بل عبروا عنها بكلمات توّدي إلى معناها كالنهوض بالسكان والدفاع عن المصالح . وكان من بين العمال الذين اشتركوا في هذه الحركة " مصالي الحاج أحمد " فتزعمها سنة ١٩٢٧م (١) ، وعمل على صرفها عن الشيوعية التي كان لها الأثر في تكوينها ، فانخرقت عن " موسكو " إلى البلاد العربية . وفي سنة ١٩٢٨م اتخذت الحركة شكلاً واضحاً في سياستها الوطنية ، فعقدت الحكومة نشاطها مخلاً بسلامة الوطن وأصدرت محكمة باريس في ٢ نوفمبر ١٩٢٩م حكمها بحل المنظمة ، فانعدم نشاطها الظاهري مدة من الزمن ، ولم ينبعث إلا سنة ١٩٣٣م حيث ظهرت بشكلها الجديد الواضح ، وهو العمل في نطاق عربي تحريري صرف ، وأخذت جريدة " الأمة " الناطقة بلسان المنظمة تدعو صراحة إلى الثورة ، وتطالب باستقلال الشمال الأفريقي بكامله ، فلاحقت السلطة " مصالي الحاج " سنة ١٩٣٤م وأوقفته بتهمة إعادة تنظيم منظمة منحلة ظهرت باسم جديد وهو : " نجم الشمال الأفريقي العزيز " ثم نقلته إلى " سويسره " وأقام فيها إلى أن عفي عنه .

٢- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : (٢)

أنشئت هذه الجمعية سنة ١٩٣١ ، وكانت غايتها العمل على الإصلاح الديني في الجزائر ، والدفاع عن حقوق المسلمين المهضومة ، ولكنها ما لبثت أن خاضت غضم السياسة علناً ، وأصدرت عدة جرائد منها : " الشهاب " و " البصائر " و " السنة " و " الشريعة " و " الصراط " . وكان يرأسها الشيخ " عبد الحميد ابن باديس " إلى أن توفي فخلفه الشيخ " البشير الإبراهيمي " . وقد فتحت هذه الجمعية عدداً من المدارس ، وبنّت عدداً من المساجد ، وأخذت تعمل لفكرة

(١) الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي لمؤلفه : هنري كلود وآخرين ، ص ١٤٧
أضواء على القضية الجزائرية لابراهيم كبه ، ص ١٦٠ .
المغرب العربي لصالح العقاد ، ص ٣٢٣ .

(٢) الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني ، ص ٨٣ . * الجزائر عبر الأجيال لسمعود مجاهد ، ص ١٧٣ ، ومراجع أخرى .

الجامعة الإسلامية ثم لفكرة الجامعة العربية^(١) ، وظلت عاطلة مجاهدة حتى بعد قيام الثورة ، ثم ترك زعماءها البلاد فأرّين إلى البلاد العربية ، ملتحقين برجال الثورة العاملين . وهذه الجمعية هي موضوع بحثنا ، وسنرى فيما يلي من صفحات صورة تفصيلية لهذه الجمعية .

(٣) الحزب الشيوعي الجزائري^(٢)

وكان هذا الحزب فرعاً للحزب الشيوعي الفرنسي ، وكان يضم فرنسيين ويهود وبنّة من العرب من بينهم " مصالي الحاج " الذي كان له ارتباط وثيق بهذا الحزب فتزوج من شيوعية بارزة . إلا أنه أخذ يضعف ارتباطه بالشيوعية حتى صار عدواً لها .

(٤) الاتحاد الوطني لمسلمي الشمال الأفريقي^(٣)

ظهرت منظمة نجم الشمال الأفريقي - التي حلت سنة ١٩٣٤م - مرة ثانية سنة ١٩٣٥م باسم " الاتحاد الوطني لمسلمي الشمال الأفريقي " وفي سنة ١٩٣٦م عاد " مصالي الحاج " إلى فرنسا إثر صدور عفو عام ، وتولى زعامة هذه الحركة وصرفها في نطاق العمل الجزائري وهذه . وفي هذه الفترة ظهرت المنظمة بثوبها الناصع ، إذ بينما كانت حركة إدماج الجزائر بفرنسا سائرة في طريقها بسرعة وقف " مصالي الحاج " في وجهها ، وأعلن مناهضته للإدماج ، وللتشميل النيابي المشترك ، وطالب ببرنامج جزائري صرف من غير تمييز في الجنس أو الدين ، فلم تر فرنسا بدأ من حل هذه المنظمة مرة ثالثة ، فحلّتها في ٢٦ يناير ١٩٣٧م .

(١) الجزائر العربية لآحسان حقي ص ٢٢٢ .

(٢) الجزائر أرض اللهب والدم لمحمد عودة وآخرين ، ص ١٣ - * المغرب العربي لصلاح المقاد ص ٣٢٣ .

(٣) المغرب العربي لصلاح المقاد ، ص ٣٢٣ .

(٥) حزب الشعب الجزائري : (١)

لما حلت الحكومة منظمة الاتحاد الوطني عاب " مصالي الحاج " وأظهرها باسم جديد هو " منظمة أصدقاء الأمة " ، ثم يدل هذا الاسم بعد ذلك باسم " حزب الشعب الجزائري " ، وأنشئت للحزب ثلاثة فروع في كل من ولاية الجزائر ، وقسنطينة ، ووهران . واتسع انتشار جريدة " الأمة " اتساعاً كبيراً ، ثم منعت الحكومة هذه الجريدة ، فحلت محلها جريدة باسم " البرلمان الجزائري " ثم منعت الحكومة ، فحلت محلها جريدة باسم " العمل الجزائري " . وظل هذا الحزب يعمل حتى سنة ١٩٣٩ م ، إذ صدر إثر إعلان الحرب قرار بحله ، ولكن " مصالي الحاج " وجماعته ظلوا يعملون في الخفاء بصورة غير قانونية ، وفي سنة ١٩٤١ م حكم على مصالي الحاج وبعض أصدقائه بالسجن ، فسجن حتى سنة ١٩٤٣ م ، ثم فرضت عليه إقامة جبرية ساعدته على نشر دعايته ، وتنظيم حزبه على أسس قوية متينة .

(٦) أصدقاء البيان والحرية :

نشأ " فرحات عباس " نشأة عصرية ، وتعلم في المدارس الفرنسية ، واعتقد أنه يستطيع أن يخدم بلاده بانتهاج سياسة صداقة . ولكنه كان كلما تعمق في اختبار الفرنسيين زاد منهم نفوراً ، وأيقن من خبث نواياهم ، فلما رأى أن لا سبيل إلى التفاهم معهم أنشأ سنة ١٩٤٤ م حزباً أسماه : " حزب أصدقاء البيان والحرية " ، وأراد أن يتابع سياسة التفاهم الودي من غير أن يلجأ إلى العنف ، ولكنه كان كمن يصرخ في واد . وقد ركب الفرنسيون رؤوسهم بعد الحرب ، فصبوا جام غضبهم على الجزائريين لينتقموا للهزيمة التي منوا بها أمام الألمان ، ولذا فقد انصهرت جماعة " فرحات عباس " مع جماعة " مصالي الحاج " وعمل الجميع في صف واحد ، وكان ذلك بداية الثورة

(١) الجزائر أرض اللهب والدم لمحمد عوده وآخرين ، ص ١٣ .
* الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي لمؤلفه هنري كلود وآخرين ، ص ١٤٧ .
* المغرب العربي لصلاح العقاد ص ٣٢٣ .

التي تمثلت بقطع أسلاك الهاتف ، وإرسال كتب تهديد ووعيد للمنافقين ،
الخائنين ، وقطع الطرق وغير ذلك . فاعتقلت الحكومة بعض الزعماء سنة ١٩٤٥ م
ثم عفت عنهم سنة ١٩٤٦ م فخرجوا إلى ميدان العمل أكثر همة ونشاطا .

(٢) الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري : (١)

خرج " فرحات عباس " من السجن وأراد - للمرة الثانية - أن يجرب سياسة
اللين والتعاون ، فأسس حزبه هذا ، وحرص على ألا يقبل فيه من كان متطرفاً ،
واتجه وجهة إيجابية ، إذ أنه شارك في جميع الانتخابات التي جرت في البلاد . وقاز
في كثير من المنظمات الإدارية ، ولكن سياسة الفرنسيين الاستعمارية قضت على هذه
المحاولة أيضاً ، فأدرك الجزائريون فشل سياسة التعاون ، وأخذ نفوذ الحزب
يتضاءل ، ولم يستطع " فرحات " أن يحتفظ لحزبه إلا ببيضة مقاعد في المجالس
البلدية والمجلس النيابي الجزائري .

(٨) حركة انتصار الحريات الديمقراطية :

خرج " مصالي الحاج " من السجن ، واتجه أيضاً إلى المشاركة في الحياة
السياسية مشاركة فعلية ، وتقدم إلى الانتخابات العامة باسم هذا الحزب الجديد
لأن حزب الشعب كان لا يزال منحللاً .

وكان لهذه الأحزاب صحف ومجلات تنشر الآراء وتبين الأهداف منها :

(١) - صحيفة " الأمة الجزائرية " وكانت تصدر شهرياً باللغة الفرنسية ، وتدعو إلى
التحرير الوطني .

(١) الجزائر أرض اللهب والدم لمحمد عوده وآخرين ، ص ١٣

* الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني ص ٤٤٤

* أضواء على القضية الجزائرية لابراهيم كبه ، ص ١٦٠

- ٢- جريدة "المغرب العربي" وهي ؛ جريدة أسبوعية تصدر باللغة العربية .
- ٣- صحيفة "المنار" وهي نصف شهرية ، تصدر باللغة العربية أيضاً .
- ٤- صحيفة "الجزائر الحرة" وكانت أول أمرها نصف شهرية، ثم صارت تصدر أسبوعياً
ولسانها هو اللغة الفرنسية ،
- ٥- جريدة "الجمهورية الجزائرية" وكانت تمبر عن آراء حزب فرحات عباس .

وزيادة على ذلك كانت جمعية العلماء المسلمين تصدر مجموعة من
الصحف والمجلات ذكرنا بعضها فيما تقدم .

* * * * *

جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين

- * سبب قيامها .
- * تأسيسها ومدتها .
- * موقف الاستعمار وأعوانه منها .
- * رؤساء الجمعية وأعضاؤها .
- * بعض التراجم لرجالها .
- * أثرها في اللغة والأدب .
- * ألوان من شعر رجال الجمعية .

سبب قيام الجمعية

إن الأسباب التي دعت إلى قيام جمعية العلماء تعود - في جملتها - إلى السياسة الاستعمارية التي رسمها الاستعمار ، وانتهجها ليخضع الشعب الجزائري بها ، بعد أن عجزت حروب الإبادة عن إخضاعه . وكان من نتائج هذه السياسة الفادرة أن ضل الشعب سبيل الهدى ، وخيم الجهل في أرجاء البلاد ، وساد النهب والسلب ، وانقطع ما بين هذه الأمة وبين ماضيها المجيد بسبب حرمانها من يتابع الثقافة ومناهل العلم ، أو إيرادها موارد عقيمة لا تسمنها ولا تغنيها من جوع ، بل إن تلك الموارد قد جلبت على ورائها الشر والويل والخسران . فكان قيام الجمعية أمراً طبيعياً ، ورد فعل لهذه السياسة المتكسبة طريق الصواب ، وكان واقع المسلمين يفرض وجودها فرضاً .

وسنعرف فيما بعد - إن شاء الله - أن أصحاب هذه الجمعية لم يقيموها إلا لأغراض دينية (١) بحتة ، حينما رأوا الكفر يزحف على الإسلام ، والظلام يئسد النور .

تأسيس الجمعية ومبداؤها

سافر " عبد الحميد بن باديس " إلى الحجاز بعد أن أكمل دراسته في " جامع الزيتونة " ، وذلك سنة ١٩١٣ م فالتقى بالشيخ " محمد البشير الإبراهيمي " في المدينة المنورة ، وتوالت الاجتماعات بينهما كل ليلة ، طيلة ثلاثة أشهر قضاها الشيخ " عبد الحميد " في المدينة . وخلال هذه الاجتماعات المتوالية كانا يتناقشان في أوضاع الجزائر ، وما حاق بها من التأخر والجهل ، وما سببه المستعمر

(١) المغرب العربي لصلاح العقاد ، ص ٣١٨ .

لها من الإذلال وإهدار الكرامة. (١) وكان يشاركها بعض لداتها من أبناء الجزائر الذين هاجروا إلى المدينة المنورة فاتخذوها موطناً لهم كـ " الطَّيِّب لابن محمد بن ابراهيم المقيي " .

وكان همُّهم الأكبر هو تخليص الجزائر ما أصابها ، ودُرُسُ حالتها درساً موضوعياً متأنياً ، ومن ثمَّ علاجها . فأخذوا يفكرون في إنشاء رابطة إسلامية تضم العلماء والمشائخ من أبناء الوطن ، وجعلوا يخططون لهذه الفكرة بكل عزم وتصميم .

ومن هذا نرى أن الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إنما وضعت في المدينة المنورة أو أرض المهجر ، نلمس هذا من قول الشيخ " الإبراهيمي " رحمه الله : " وأشهد الله على أن تلك الليالي من سنة ١٩١٣ م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين " (٢)

وعاد الشيخ " عبد الحميد بن باديس " إلى الجزائر ، وبدأ في تنفيذ الاتفاق الذي تم بينه وبين صحبه خطوة خطوة ، فأخذ يلقي الدروس والمحاضرات ، ويعقد الندوات ، ويعط أبناء الأمة الجزائرية ، ويصبرهم بما يحوكه المستعمر لهم من مؤامرات وما يببته لهم من مكائد . ثم عاد " الإبراهيمي " و " المقيي " من المدينة أيضاً ، كما قدم الأستاذ " أحمد توفيق المدني " من تونس ، وراحت هذه النخبة المفكرة تساند الشيخ " عبد الحميد " في مشروعه ، وتَجَمَّعُ حولها طلاب العلم والمعرفة إلى أن ظهرت نتائج هذا العمل المثمر ، وطاب للأربعة تطبيق فكرتهم التي ولدت فسي المدينة المنورة ، فأعلنوا تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . وهذا ما يذكره

(١) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر لمحمد طه الحاجري ، ص ١١٠ .

(٢) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر لمحمد طه الحاجري ، ص ١١١ .

الشيخ (الإبراهيمي) في حديثه عن الجمعية حيث يقول :
" تكامل المدد ، وتلاحق المدد ، المدد الذي نستطيع أن نعلن به تأسيس
الجمعية ، والمدد من إخوان لنا كانوا بالشرق العربي مهاجرين أو طلاب علم
فأعلننا تأسيس الجمعية في شهر مايو سنة ١٩٣١ م ، بعد أن أحضرنا لها
قانوناً أساسياً مختصراً من وضعي ، أدركته على قواعد من العلم والدين ، لا تثير
شكاً ولا تخيف . وكانت الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت تستهين بأعمال العالم
السلم ، وتمتدق أنا لا نضطلع بالأعمال المظلمة ، فخبينا ظننا والحمد لله . (١)

وما تقدم نرى أن إعلان تأسيس الجمعية كان في سنة (١٩٣١ م) ، ومع ذلك
تضاربت آراء المؤلفين في تحديد سنة إنشائها مع قرب هذا الحدث ، فذهب الأستاذ
علال الفاسي (٢) إلى أن إنشائها كان في سنة ١٩٢٨ م ، وتبعه الأستاذان " حمدي
حافظ ومحمود شرقاوي " (٣) ، كما تبصم "سعود مجاهد الجزائري" (٤) .
وبالمكس ذهب الأستاذ : " عبد الله الركيبي " (٥) ، فهو يقول إن إنشائها كان سنة
١٩٣٦ م . وما كان الأمر يحتمل مثل هذا الخلاف .

ولقد كان مبدأ الجمعية صريحاً وواضحاً منذ كانت فكرة ، فقد التزمت تجنب
السياسة ، وقصرت نشاطها على الإصلاح الديني والتربوي التعليمي ، ووضعت
لذلك عدة بنود ، وأخذت تثير عليها . وقد ذكر الشيخ الإبراهيمي شأنية من هذه
البنود وهي : .

والله اعلم بالصواب .

- (١) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر للدكتور محمد طه الحاجري ص ١٢٩ .
- (٢) في كتابه : (الحركات الاستقلالية في المغرب العربي) و (المغرب العربي
منذ الحرب العالمية الأولى) .
- (٣) في كتابهما : (الجزائر بين الأمن والغد) . وهذا الحدث ، قاله الأستاذ
(٤) في كتابه : (الجزائر عبر الأجيال) .
- (٥) في كتابه : (دراسات في الشعر الجزائري الحديث) ص ١٧ .

مؤلف : محمد شرقاوي .

مؤلف : محمد شرقاوي .

مؤلف : محمد شرقاوي .

- ١- تنظيم حملة جارفة على البدع والخرافات والضلال في الدين ، بواسطة الخطب والمحاضرات ، ودروس الوعظ والإرشاد في المساجد والأندية والأماكن العامة والخاصة حتى في الأسواق ، والمقالات في جرائدنا الخاصة التي أنشأناها لخدمة الفكرة الإصلاحية .
 - ٢- الشروع العاجل في التعليم العربي للصفار ، فيما تصل إليه أيدينا من الأماكن وفي بيوت الآباء ، ربحاً للوقت قبل بناء المدارس .
 - ٣- تجنيد المثات من تلامذتنا المتخرجين ، ودعوة الشبان المتخرجين من جامع الزيتونة للعمل في تعليم أبناء الشعب .
 - ٤- العمل على تعميم التعليم العربي للشبان على النمط الذي بدأ به ابن باديس .
 - ٥- مطالبة الحكومة برفع يدها عن مساجدنا ومعاهدنا التي استولت عليها ، لنستخدمها في تعليم الأمة دينها ، وتعليم أبنائها لغتهم .
 - ٦- مطالبة الحكومة بتسليم أوقاف الإسلام التي احتجتها ، ووزعتها على مُمَرِّبِيهَا ، لتصرف في مزاربها التي وقفت عليها .
 - ٧- مطالبة الحكومة باستقلال القضاء الإسلامي في الأحوال الشخصية مبدئياً .
 - ٨- مطالبة الحكومة بعدم تدخلها في تعيين الموظفين الدينيين . (١)
- وقد سارت الجمعية على هذه الخطة زماناً ، ولم يكن لها من غاية سوى إنقاذ الدين واللغة ما أصابها . فهي إذن لم تخرج إلى ميدان السياسة إلا عندما اضطرت إلى ذلك ، حيث أرغمتها شبح الإدماج على المشاركة السياسية .

(١) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر للدكتور محمد طه الحاجري ، ص ١٣١ .

موقف المستعمر وأعدائه من الجمعية

رأى المستعمر أن الوعي القومي يزداد يوماً بعد يوم بين أبناء الجزائر ، وأن شبح الجهل أخذ يتلاشى ويضمي ، وذلك - بلا شك - يشكل خطراً على بقاءه ، ويهدد وجوده . فأخذ يضيق الخناق على الجمعية ورجالها ، وأصبحت مدارسها وندواتها هدفاً لحملات البوليس التفتيشية ، والفرامات الفادحة . بل لقد ذهب المستعمر إلى أبعد من ذلك فحرم العمال الذين يتردد أبناءهم على مدارس الجمعية من الإعانات الاجتماعية التي كانوا يتقاضونها .

ومشور " ديمشيل " الذي صدر سنة ١٩٣٣ م مشهور ، والذي يندد بهؤلاء (الوهابيين الخارجين عن الدين) ويطالب المؤمنين بعدم الاستماع إليهم أو الصلاة خلفهم (١) ، وقد فرضت بمقتضاه رقابة دقيقة على العلماء للاشتباه فيهم بأنهم يحطون على النيل من القضية الفرنسية ، وقصرت مهام الوعظ في المساجد على الأئمة ورجال الإفتاء دون سواهم من رجال العلم والبيان (٢) . وعين " ميشيل " نفسه رئيساً للمجلس الاستشاري .

ولن ننسى القرار الذي أصدره الوزير الفرنسي " شوطان " سنة ١٩٣٨ م ، والقاضي باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية ، وأن تعليمها محاولة عدائية لصبغ الجزائر بالصبغة العربية (٣) .

كان هذا هو موقف المستعمر من جمعية العلماء المسلمين ، رغم مجاملتهم ومداراتها له (٤) ، تلك المجاملة التي نلمحها من الشيخ " عبد الحميد بن باديس "

-
- (١) المغرب العربي لصالح العقاد ، ص ٣١٩ .
(٢) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر لمحمد طه الحاجري ، ص ١٣٧ .
(٣) أضواء على القضية الجزائرية لابراهيم كبه ، ص ١٦٧ . * الجزائر عبر الأجيال لسعود مجاهد ، ص ٢٣ ، * الجزائر أرض اللهب والدم لمحمد عودة وآخرين ص ١٤ ، ومراجع أخرى .
(٤) مجلة المجتمع الكويتية ، العدد (١٤٣) ، ص ١٦ .

عندما زار " وهران " فاستدعاه " السوريفي " الفرنسي فيها وسأله عن سبب زيارته ، وأبدى رغبة في الحديث عن أهداف الجمعية ، فكان جواب الشيخ : " إن الجمعية إنما تسمى في جميع نشاطاتها إلى الرقي بالشعب الجزائري ، وإبلاغه في المعارف والفلاحة والصناعة إلى مستوى إخوانهم الفرنسيين ، ليتعاون الجميع بقوى متكافئة على خدمة الجزائر تحت الراية الفرنسية ، ويكونوا مثل جيرانهم أوادم على الحقيقة ، وتكون حالتهم مناسبة لسمعة فرنسا ، أم الرقي والتمدن " (١)

وصدق أبو الطيب المتنبي حين قال :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بُدّ

أما رجال الدين الرسميين ، وصنائع الاستعمار من الطرفين ، وحتى بعض العامة الذين وقموا تحت تأثيرهم . فكان موقف هؤلاء جميعاً من الجمعية وعلمائها أشدّ وقماً وأعقّ جرحاً وأغزر نزفاً ، فقد أطلقوا على الشيخ " عبد الحميد ابن باديس " اسم (إبليس) وآذوه ومقتوه ، حتى أنهم كانوا يرمونه بالحجارة والطماطم عقب إلقاء خطبة ومواعظه .

وأوعز المستعمر إلى طائفة من هؤلاء المأجورين أن يباعدوا ما بين المصلحين من رجال الجمعية وما بين الأمة بأن يتهموهم بكل خبيثة ، وأوصوهم بأن يبالفوا في الإساءة إليهم ما استطاعوا ، على أن تضمن الدولة حمايتهم من أي عقاب ، فقالوا في رجال الجمعية إنهم ملحدون زنادقة ، وأنهم كفرّة مارقون ، وقالوا إنهم وهابيون بكرهون النبي - صلى الله عليه وسلم - وآله ، وقالوا إنهم صنّاع دول أجنبية مأجورون ، وقالوا إنهم شيوعيون ونازيون ، وفاشستيون وإنكليز ، وهلمّ جرا . . . (٢)

(١) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر لمحمد طه الحاجري ، ص ١٣٧ .
(٢) الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني ، ص ١٣٨ .

كما استفحل هؤلاء العملاء، ضاهضة الجمعية للتوسل بالأولياء، والاستفائة بالأضرحة، فأوقموا الخصومة بين أعضاء الجمعية في هذه المسألة، وقد كان لهم ما اشتهاوا، حيث خرج بعض أعضائها عليها وانشقوا عنها، كالمولود الحافظي، الذي كَوّن مع الخارجين جمعية ضاهضة لجمعية العلماء المسلمين، وأسماها "جمعية علماء السنة" (١)، وكان شعارها حماية الصوفية، واتخذت لها ثلاث صحف هي: "الإخلاص" و"البلاغ" و"المعيار"، وأخذ يهاجم من خلال هذه الصحف الثلاث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. (٢)

وفي آخر المطاف نرى المستمصر وقد اعتقل الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" (١) ^{٢٢} إبان قيام الحرب الكونية الأولى، ونفاه إلى الصحراء الوهرانية. كما دس السم للشيخ عبد الحميد بن باديس، وشرد بقية الأعضاء حتى كادت الجمعية أن تلتفظ أنفاسها وتدفن مع موتى الحرب.

(١) مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٤٣، ص ١٦-١٧.

قال الشيخ الرئيس، لمؤلفه محمد الطاهر فضلا، ج ١، ص ١٢٥، ٢٦٣.

(٢) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر لمحمد طه الحاجري، ص ١٤١.

(٣) الصواب الحرب العالمية الثانية لونه إبراهيم خاد الـ الجزائر ليدانتر، الحرب العالمية الأولى وأثر جمعية العلماء ولدت بعد الحرب العالمية الأولى، وقد اعتقل الإبراهيمي ١٠/٢/١٩٤٠ م.

رؤساء الجمعية وأعضاؤها

عرفنا فيما تقدم أن التفكير في تأسيس للجمعية إنما كان بالمدينة المنورة حين اجتمع الشيخ عبدالحميد بن باديس ، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، والشيخ الطيب العقبي ، وعزموا على إنشائها ، فراحوا يسودون المخططات التي ستسير عليها . كما عرفنا أنهم عادوا إلى وطنهم ، وبدؤوا في تنفيذ تلك المخططات ، وأن الأستاذ أحمد توفيق المدني انضم إليهم وسار معهم في هذه الطريق الشائكة ، فأنشؤا جمعية العلماء سنة (١٩٣١م) .

فالمؤسسون لها إذن أربعة هم : عبدالحميد بن باديس ، وقد انتخبوه رئيسا لها ، ومحمد البشير الإبراهيمي ، وكان نائبا للرئيس حتى سنة ١٩٤٠م حيث توفي ابن باديس فخلفه الإبراهيمي على الرئاسة ، والطيب بن محمد العقبي ، وأحمد توفيق المدني .

وقد كان الثلاثة الأول ، يضاف إليهم مبارك بن محمد الميللي العمودي والفضيل الورتلاني يكوّنون مجلس الإدارة . أما الأعضاء الذين كانوا يبرزون نشاط الجمعية فكثيرون ، ومن أبرزهم : العربي بن بلقاسم التبسي ، ومحمد الهادي الزاهري ، ومحمد السعيد الزاهري ، ومحمد الأمين العمودي ، ومحمد العيد ، وأبو اليقظان ، والطيب المهاجي ، وعبدالعزیز الهاشمي ، وعبدالقادر آل زيان ، وسعيد الصالحي ، ومحمد خير الدين ، وأحمد بن مميّزه ، ومحمد بن منصور العقبي ، ومحمد الطاهر الجيجلي ، وحمزة بوكوشه ، وبلقاسم اللجاني ، ومصطفى حلوش ، وإبراهيم بيوض ، وفرحات بن الدراجي ، (١) وغيرهم .

(١) ابن باديس حياته وآثاره لمؤلفه : عمار الطالبي ، ج ٣ ، ص ٢٢ .
* قال الشيخ الرئيس لمؤلفه : محمد الطاهر فضلا ، ج ١ ، ص ٢٠١ .
* تاريخ الأدب الجزائري لمؤلفه : محمد الطمار ، ص ٣٧١-٣٧٨ .

وقد افتتحت الجمعية - فيما بعد - مكتباً لها في القاهرة ، يمثله البشير الإبراهيمي والفضل الورتلاني ، وكان هذا المكتب يشرف على البعثات الطلابية الجزائرية التي تبصمها جمعية العلماء في شتى الأقطار العربية الشقيقة (١) .

وقد صار الشيخ العربي التبسي فيما بعد رئيساً للجمعية بعد أن تفرغ رئيسها الإبراهيمي للسفر من أجل عرض قضية بلاده على طوك وروساء الدول العربية والإسلامية لإقناعهم بالتعاون مع ثوار الجزائر .

وفيما يلي تراجم لبعض هؤلاء الرجال ، نقف فيها على ما تزودوا به من ثقافة إسلامية جمّة ، ونلمس من خلالها روح التفاني وإنكار الذات من أجل الأمة ، ونرى فيها صورة واقعية للكفاح المستمر في سبيل الوطن ، وهي - زيادة على ما تقدم - توحى إلينا بالصلة الوثيقة والرابطة القوية بين أولئك الرجال ولغتهم العربية وآدابها .

(١) الجزائر النائرة للفضل الورتلاني ، ص ٢٠٧ .

" عبد الحميد بن باديس "

مولده ونشأته :

ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس في سنة ١٨٨٩م (١) بمدينة " قسنطينة " (٢) في أسرة مشهورة . بالمعلم والثراء والجاه والفضل ، وكانت منذ القدم ذات نفوذ وسلطة في المغرب الإسلامي ، وقد لعت في هذه الأسرة شخصيات تاريخية مثل " بلكين بن زيري " و " أبي الفتوح المعز لدين الله بن باديس " الذي كان يفخر به الشيخ عبد الحميد ، والذي كان يحارب الاسماعيلية الباطنية ويدع الشيعة في أفريقية ، وقد تميز كثير من أجداده بالمعلم والورع ك " أبي المباس أحمد بن باديس " قاضي قسنطينة الشهير ، و " مكي بن باديس " القاضي بها أيضا .
أما أبوه فهو محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس ، وهو عضو في المجلس الجزائري الأعلى والمجلس العام ، كما أنه عضو في المجلس العمالي ، وعرف دائما بدفاعه عن مطالب السكان المسلمين بقسنطينة .
أما أمه فمن أسرة مشهورة في قسنطينة وهي أسرة " عبد الجليل " واسمها " زهيرة بن جلول بنت علي بن جلول " (٣) .

بدأ عبد الحميد في حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ " محمد المداسي " واستمر على ذلك حتى أتقنه ، وقد أعجب به شيخه فقدمه ليصلي بالناس صلاة التراويح ثلاث سنوات متتابة في الجامع الكبير .

دراسته :

وقد بدأ دراسته الأولى سنة ١٩٠٣م في " قسنطينة " حيث انتخب له أبوه أحد الشيوخ الصالحين من ذوى المعارف الإسلامية ، وهو الشيخ " أبو حمدان أحمد لو نيسي "

(١) وذهب الزركلي في الأعلام ، وعمر رضا كماله في معجم المؤلفين الى أنه ولد سنة ١٨٨٧م . وهو غير صحيح (٢) مجلة المربي العدد ١٢٠ ، شعبان ١٣٨٨ - نوفمبر ١٩٦٨م ، ص ١٢٥ . (٣) زهيرة (هو اسمها) و (ابن جلول) هو لقبها .

الذي كان منتقياً إلى الطريقة التيجانية ، فأخذ يحلمه بجامع "سيد محمد النجار" ببادي العربية ومعارف الإسلام ، ويوجهه وجهة علمية أخلاقية ، ثم أخذ الشيخ عهداً على تلميذه ألا يعمل موظفاً في الحكومة (١) لكي يتفرغ لخدمة دينه وأمه فنفذ عبد الحميد هذا العهد فيما بعد مع من كان يتوسم فيهم الخير من تلاميذه . ثم هاجر شيخه "أحمد لونيسي" إلى المدينة المنورة متبرماً من الاستعمار ، ومجاوراً ومدرساً للحديث بها ، ورغب تلميذه "عبد الحميد" في السفر معه ولكن أباه منعه وصرفه عن ذلك . (٢)

وفي سنة ١٩٠٤م تزوج "عبد الحميد" وأنجب ولداً أسماه "عبد اسماعيل" ، إحياءً لذكرى الشيخ "محمد عبده" الذي زار الجزائر وقسنطينة ، وأخذ يمظ الناس ويدعوهم إلى إصلاح سرائرهم . (٣)

ثم جاء دور الرحلة في حياة "ابن باديس" فسافر إلى تونس سنة ١٩٠٨م وعمره إن ذاك أربعة عشر عاماً ، وانتسب إلى جامع الزيتونة ، وقد عرف في دراسته بالجد والنشاط ، وأخذ يتلقى الثقافة العربية الإسلامية ، ويأخذ عن جماعة من أكابر علماء الجامع أمثال العلامة المفكر "محمد النخلي القيرواني" المتوفى سنة ١٩٢٤م ، وكان هذا العلامة قد قرظ الرسالة التي ألفها "عبد الحميد بن باديس" في الرد على "ابن عليوه" الصوفي ، وكان عنوانها "جواب سؤال عن سؤال مقال" (٤) .

ومن أساتذته أيضاً الشيخ "محمد الطاهر بن عاشور" الذي كان له تأثير كبير في تكوين "عبد الحميد" اللقوى ، وشفقه بالأدب العربي واعتزازه به ، يقول عبد الحميد :

-
- (١) قال الشيخ الرئيس ، لمؤلفه محمد الطاهر فضلاً ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .
 - (٢) الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية للدكتور محمود قاسم ، ص ١٥ .
 - (٣) ابن باديس : حياته وآثاره لمؤلفه : عمار الطالبي ، الجزء الأول ، ص ٧٢ * الأدب الجزائري المفاصل لسعاد محمد خضر ، ص ٥٠ .
 - (٤) ابن باديس : حياته وآثاره لمؤلفه : عمار الطالبي ، الجزء الثاني ، قسم الإصلاح والثورة على البدع .

" وإن أنس فلا أنسى دروساً قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور ، وكانت أول ما قرأت عليه ، فقد حببتي في الأدب ، والتفقه في كلام العرب ، وبثت في روحاً جديدة في فهم المنظوم والمنثور ، وأحيت في الشعر بمزج العروبة ، والاعتزاز بها كما أعتز بالإسلام . "

ومنهم الشيخ " الخضر بن الحسين " الجزائري الأصل ، وقد حضر عند عبد الحميد دروساً في المنطق من كتاب " التهذيب " للسَّعدي ، كما أخذ عنه دروساً في التفسير في أوائل كتاب " البيضاوي " .

ومن أساتذة عبد الحميد كذلك : " أبو محمد بلحسن بن الشيخ المفتي محمد النجار " و " محمد الصادق النيفر " و " سمد العياض السطايفي " و " محمد بن القاضي " و " البشير صفر " ، وغيرهم .

وتخرج عبد الحميد بشهادة " التطويح " بين سنتي (١٩١١ - ١٩١٢ م) ، وعمره ثلاث وعشرون سنة ، وعلم سنة واحدة في جامع الزيتونة على عادة المتخرجين فيه في ذلك الوقت .

ولا شك في أن البيئة الثقافية والاجتماعية التي احتك بها عبد الحميد ، والعلاقات التي كانت له مع بعض العلماء قد أثرت في تكوينه وشخصيته ، وأكثر ما كان اتصاله قوياً وعميقاً ومؤثراً إنما كان بالشيخ " محمد النخلي القيرواني " والشيخ " محمد الطاهر بن عاشور " اللذين كانا يعتبران زعمي النهضة الفكرية والعلمية الإصلاحية في الحاضرة التونسية ، لأنهما كانا من أنصار أفكار " جمال الدين الأفغاني " و " محمد عبده " .

ويذكر لنا الشيخ عبد الحميد أن الشيوخ الجامدين كانوا ينفرونه من الاتصال بزعمي النهضة التونسية ، وأنه بقي بعيداً عنها تحت تأثير التقليد ، إلى أن أتاحت له فرصة الاتصال بمحمد الطاهر بن عاشور أولاً ، ثم سهد له فتعرف على محمد النخلي وتأثر به وذلك

في الفترة الأخيرة من دراسته العليا ، وقد اتصل بالأول ثلاث سنوات وبالثاني سنتين دراسةً عليهما (١) .

ثم عاد من تونس وهو شملة من الحماس ، وشهاباً واريماً من الدين ، فقصد " الجامع الكبير " وأخذ في القاء الدروس ، وابتدأ بتدريس كتاب " الشفاء " للقاضي عياض . ولكن المكائد حيكته له ، حيث عمل أعداؤه على إقلاقه ثم منعه ، وأطفأوا عليه الضوء . وهو في الدرس ، فقرر السفر لحج بيت الله الحرام ، ولقاء شيخه " أحمد لونيسي " . فاستأذن أباه ، وسافر سنة ١٩١٢ (٢) . وقد أتيح له في رحلته هذه أن يتصل بأطراف من العالم الإسلامي في الشرق ، وأن يجتمع بحدود من المفكرين والعلماء المسلمين ، فقد لقي شيخه " أحمد لونيسي " وغيره من علماء مصر والشام ، وتلمذ على الشيخ " حسين أحمد الهندي " ، وقد سجل أعمالاً يشكر عليها أثناء إقامته بالأراضى المقدسة ، فكان يقوم بالقاء دروس في الحرم النبوي الشريف على مشهد كثير من المسلمين بحضور شيخه (٣) . ويقول عن نفسه : انه طلب من أستاذه أحمد لونيسي وحسين الهندي النصيحة فيما عساه يفعل . فأشار عليه الأول بالبقاء في المدينة المنورة ، ونصحه الثاني بالعودة إلى الجزائر من أجل العطل ، إذ لا خير في علم ليس بعده عمل . فقرر العودة إلى الجزائر ، وجعل طريقه على الشام (دمشق ولبنان) . ومن هذا نرى أن ابن باديس قد أتم دراسته بالرحلة في البلاد الإسلامية ومحاضرة العلماء (٤) .

عاد إلى الجزائر سنة ١٩١٣م فنزل مدينة قسنطينة ، وشرع في العمل التربوي وأخذ يعلم صفار الصبيان مبادئ الدين وعلوم العربية متدرجاً معهم حسب مستوياتهم وكان طلابه يأتون إليه في مسجد " سيدي قموش " و " الجامع الكبير " و " كتاب سيدي فتح الله " ، فيبدأ دروسه بعد صلاة الفجر ، ويستمر إلى صلاة العشاء الأخيرة ، لا يقطع تدريسه إلا للصلاة وتناول طعامه ، فير أن عمله لم يقف عند هذا الحد

(١) ابن باديس : حياته وآثاره ، لمؤلفه : عمار الطالبي ، الجزء الأول ، ص ٢٤-٢٦ .
(٢) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر لمحمد طه الحاجري ، ص ١١٠-١١١ .
(٣) ابن باديس : حياته وآثاره لمؤلفه عمار الطالبي ، الجزء الأول ، ص ٢٤-٢٦ .
(٤) الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية لمحمود قاسم

بل كان يستأنف التدريس لكهول " قسنطينة " وشيوخها إلى منتصف الليل ، يفسر لهم القرآن الكريم في " الجامع الأخضر " ويدعوهم إلى الله وإلى تفسير ما في نفوسهم عسى الله أن يغير ما بهم ، وكان يجتمع عنده في كل ليلة ما يزيد عن الألفين من سكان قسنطينة (١) .

وقد أتاحت له ثروته أن يمد نشاطه إلى المدن الجزائرية الأخرى كالعاصمة وهران وتلمسان ، فكان يلقي فيها دروساً في التفسير كل أسبوع ، وغالباً ما يكون سفره إلى هذه المدن أثناء الليل بعد انتهائه من دروسه في " الجامع الأخضر " ، فقد كان على عجلة من أمره . وإذا أنصفنا في القول قلنا إنه يندر أن يوجد في القديم من الحديث من يضارع هذا الرجل في إخلاصه لأتته وشعبه ، رغم ضعفه في بنيته ، وكثرة في أعماله الأخرى من مساهمة في الصحافة ولقاء مع الأقران الذين بدؤوا يتجمعون حول دعوته ، مما أدى إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . وقد استمر في تدريسه وجهاده إلى أن توفاه الله ، رحمه الله رحمة واسعة .

اشتغاله بالصحافة :

لما أحس الإمام بصلابة الأرض تحت قدميه ، شرع يهاجم أصحاب الطرق الصوفية من ارتضوا لأنفسهم أن ينفثوا روح التخاذل بين أتباعهم ، ليحققوا ما أرادت لهم فرنسا من تذويب شخصيتهم الجزائرية الإسلامية تمهيداً لإدماج الجزائر نهائياً في فرنسا .

فبدأ حملته على " الطريقة " سنة (١٩٢٥م) في إطار محاربة الآفات الاجتماعية والبطالة والجهل ، فأخذ يحذر من بناء القبور ووقد السرج عليها ، والذبح من أجلها ، والاستغاثة بأهلها ، كما نهى عن الفلوف في " الشيخ " وخدمة داره ،

(١) قال الشيخ الرئيس ، لمؤلفه : محمد الطاهر فضلاً . ج ١ ، ص ٥١

وأولاده ، وصار يبين أن هذه الأعمال من البدع الصوفية المستحدثة ، والتصوف الخادع . وأصدر جريدة "المنتقد" سنة ١٩٢٦م (١) ، واتخذها لساناً لهـذه الخطة ضد الطريقة ، وجعل شعارها : " الحق فوق كل أحد ، والوطن قبل كل شي " ، وهو شعار جري ، خصوصاً في تلك الفترة المسيرة التي كان الحق فيها مجعوداً ، والوطن سلوباً ، ولكن هذه الجريدة لم تكتب لها الحياة ، فقد أوقعتها الحكومة بعد صدور ثمانية عشر عدداً . فلم تتوقف الحركة حيث أصدر الشيخ جريدة "الشهاب" في السنة نفسها ، وسار فيها على خطة المنتقد في فضح الطرق الصوفية ، وكانت أسبوعية في بدء صدورها ثم غدت شهرية في عام ١٩٢٩م (٢) ، ومبدؤها في الإصلاح الديني والديني هو : " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها " ، وقد كتب هذا على غلافها ، كما كتب على أركانها الأربعة أربع كلمات هي " الحرية " و " العدالة " و " الأخوة " و " السلام " ، وفي سنة ١٩٣٧م تغير هذا الشعار بأخر أكثر جرأة وهو : " لنعمل على أنفسنا ، ولننتكل على الله " .

وقد أصدرت الجمعية - كما عرفنا - عدة صحف أخرى ، منها " السنه " ، و " الشريعة " و " الصراط " و " البصائر " (٣) ، وقد ساهم الشيخ عبد الحميد في هذه الصحف جميعها بالقول والعمل ، وساندها بالمال وال مقال ، ووقف قصة في فسم الاستعمار الجشع وأتباعه المستغلين ، حتى كاد يودي ذلك بحياته سنة ١٩٢٧م ، حيث خيل لأعدائه أن اغتياله ربما كان أنجح وسيلة للقضاء على الدعوة إلى القومية الجزائرية في مهدها ، وعهد التأمرون بتنفيذ هذه الخطة إلى أحد أتباع الملوثين ، إذ خرج هذا القاتل الأجير على الإمام ليفتك به عند عودته إلى بيته بعد انتهائه

(١) اشترك عبد الحميد من قبل في جريدة "النجاح" ولكنه تركها وأنشأ جريدة "المنتقد" .

(٢) المغرب العربي للاستاذ علال الفاسي ، ص ٨٩ .

(٣) مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ١٤٣ ، ص ١٦ .

من دروس التفسير عند منتصف الليل ، غير أن هذا الغادر لم يفلح في خطته
إن قبض عليه أتباع الإمام فصفى عنه ، ونهى أصحابه عن الفتك به متشلاً بقول
الرسول — صلى الله عليه وسلم — : " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون " . (١)

وأكبر دليل على إخلاص الإمام شجبه لفكرة الإدماج الذي نادى به فرنسا
وأتباعها واغتر به الكثير من المثقفين الجزائريين ، فقد نادى الإمام بمقعد مؤتمر
إسلامي كبير (٢) ، فاجتمع المؤتمر في ١٩٣٦/٦/٧ م وكان معظمهم من مؤيدي
فكرة الإدماج ، أشال الدكتور " ابن جلول " و " فرحات عباس " ، فاقنعوا بشجب
فكرة الإدماج ، وسافر وفد منهم إلى " باريس " في العام نفسه ، وكان الشيخ
من بينهم ، ولقيهم الوزير الفرنسي " دلا ديه " (٣) ، فهددهم وذكرهم بقوة فرنسا
قائلاً : " إن لدى فرنسا مدافع طويلة " ، فرد عليه عبد الحميد بن باديس : " إن
لدينا مدافع أطول " . (٤)

كذلك فإن في تأسيس جمعية العلماء المسلمين ، ومن قبلها " نادي الترقى " ،
أكبر وثيقة على إخلاص ابن باديس لوطنه وأمه ، فقد كان يلقي المحاضرات في
نادى الترقى كما جاء إلى العاصمة ليلقي دروسه في التفسير ، حيث كان هذا
النادى مكان لقاء المثقفين الذين سرت في نفوسهم دعوة القومية العربية الإسلامية
فكانت هذه اللقاءات البذرة الصالحة للنهضة الجزائرية ، إذ تكونت لجنة تحضيرية
سهدت لنشأة جمعية العلماء ، فتأسست هذه الجمعية في الخامس من شهر مايو
سنة ١٩٣١ م .

-
- (١) الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، لمحمود
قاسم ، ص ١٥ .
(٢) الجزائر النائرة للفضيل الورتلاني ، ص ٤٤ . * الجزائر عبر الأجيال
لمسعود مجاهد ، ص ١٢٥ .
(٣) قال الشيخ الرئيس ، لمؤلفه محمد الطاهر فضلا* ، ج ١ ، ص ١٠٩ — ١١٦ .
(٤) الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، لمحمود
قاسم ، ص ١٥ .

وتعد السنوات ما بين سنتي (١٩٣١م و ١٩٣٩م) الفترة الحاسمة في تاريخ الجزائر المعاصر ، ذلك أن جمعية العلماء وضعت نصب عينيهما فكرة عبقرية حددها الشيخ عبد الحميد مع أعوانه ، وهي أن يكون تحرير الجزائر على أساس إنشاء جيش من الشبان يحمل فكرة الجمعية وعقيدة الإسلام .

وفاته :

لم يمهل الأجل هذا الزعيم الكبير ، بل اختاره الله إلى جواره في السادس عشر من شهر أبريل سنة ١٩٤٠م (١) ، ولعل المستمر قد وضع له السم (٢) أيام حملته الشمواء ضد علماء المسلمين في الجزائر ومفكرهم . وهكذا طوى الزمن صفحة مشرقة من تاريخ الجزائر في كفن الإمام عبد الحميد بن باديس .

نموذج من كتابته :

كتب عبد الحميد في أبريل سنة ١٩٣٦م بمجلة "الشهاب" ، يرد على "فرحات عباس" في مقاله المتقدم ، فقال :

"إننا نرى الأمة الجزائرية موجودة ، ومكونة على مثال ما تكونت به سائر أمم الأرض ، وهي لا تزال حية ولم تنزل . ولهذا الأمة تاريخها اللامع ووحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها وتقاليدها الحسنة والقيمة كمثل سائر أمم الدنيا . وهذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا تريد أن تصبح هي فرنسا ، ومن المستحيل أن تصبح هي فرنسا ، حتى ولو جنسوها" (٣)

-
- (١) مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ١٤٣ ، ص ١٨ .
(٢) الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية لمحمود قاسم ، ص ٣٤ .
(٣) قال الشيخ الرئيس لمؤلفه محمد الطاهر فضلا* ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

وهاجم سنة ١٩٣٨ م سياسة التجنيس ، فقال :

" إن التجنيس الذي هو في الحقيقة اختيار جنسية غير إسلامية للمسلمين ينطوي على التنكر للشرائع المقدسة التي تنظم شؤون حياة المسلمين وتضع لهم قوانين دنيوية وبشرية " ، ثم ينتهي إلى القول :

" ستكون الثمرة لدعايتنا إنهاء عهد سياسة الإدماج التي يسير عليها بطرق مميية بمض الموظفين الذين يؤثرون الإضرار بالمرورية والإسلام إرضاءً للسلطات الفرنسية . وستؤدي دعايتنا إلى الانتهاء من ذلك الإدماج (الروحي) المثل في بمض الأشخاص المتفرنسين الذين يجهلون ما لمنصرهم من نبل وعراقسة ، ويتزبون بأزياء الغرب بحيث يصعب التمييز بينهم وبين ساداتهم المستعمرين " (١) .

(١) المغرب العربي لصلاح العقاد ، ص ٣٢٠-٣٢١ .

محمد البشير الإبراهيمي

سئل مرة وهو بإدارة مجلة " البصائر " عن تاريخ ميلاده ، ومبدأ تعلمه ونشأته فقال : " ولدت أنا والشيخ عبد الحميد بن باديس في سنة واحدة وهي ١٨٨٩م ، فاتفقنا في الميلاد زمنًا واختلفنا مكانًا ، وهو شي * لا يضر مادام الوطن واحدًا . فولد هو بقسنطينة ، وأتم تعليمه الابتدائي فيها ، وهاجر بعد هذه النشأة إلى تونس ، وانخرط في سلك طلبة المعهد الزيتوني " . إلى أن يقول : " أما أنا فقد ولدت بقرية " قصر الطير " من نواحي (سطيف) فنشأت في بيئة اجتماعية مختلفة كثيراً عن بيئة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ولكن الطابع التربوي والتعليمي يومئذ كان يكون واحداً في تنشئة الأطفال لدى الأسر التي بقيت تنتسب إلى الدين ، وتحفظ ببقايا من علومه رغم ما كان يحيط بكل هذا من أمية في الشعب قاتلة ، وبدع وضلالات فاشية ، وقوة استعمارية غاشمة ، فحفظت القرآن مثله ، وقمشت ما تيسر من مبادئ العربية والدين على بعض شيوخ ذلك العهد . ثم هاجرت بدوري ، وأنا في عنفوان الشباب ، إلى المدينة المنورة لألتحق بمن كان لي فيها من الأهل والإخوان ، فأعانني جوهًا وطول إقامتي فيها على الدراسة والبحث والأخذ عن بعض شيوخها ، ثم المساهمة في حلقات نشر العلم بين طلابها ، وأراد الله أن يكتب لي العودة إلى الوطن ، فعدت إلى سقط رأس في فوجدت الاستعمار كما تركته " (١) .

وهذه ترجمة أخرى كتبها في مقال ، ووجهه إلى مجمع اللغة العربية : (٢)

" نشأت في بيت والدي كما ينشأ أبناء بيوت العلم ، فبدأت في التعلم وحفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمري ، على التقليد المتبع في بيتنا ، الشائع في بلدنا .

(١) مجلة العربي - العدد (١٢٠) شعبان ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، ص ١٢٥ .

(٢) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر لمحمد طه الهاجري ، ص ١٠٣ وما بعدها .

وكان الذى يعلنا الكتابة ، ويلقنا حفظ القرآن جماعة من أقرنا من حفاظ القرآن ويشرف علينا إشرافاً عالياً عالم البيت ، بل الوطن كله فى ذلك الزمان : عمى ، شقيق والدى الأصغر ، الشيخ " محمد المكي الإبراهيمي " رحمه الله ، وكان حامل لسواء الفنون الصربية غير مدافع ، من نحوها وصرفها واشتقاقها ولغتها ، أخذ كل ذلك عن البقية الصالحة من علماء هذه الفنون بإقليمنا ، منهم العلاء المثقن الشيخ " ربيع قرى اليعلاوى " ، ومنهم العلامة الشيخ " محمد أبو القاسم البوجليلي " ، ومنهم العلامة الشيخ " محمد أبو جمعة القلي " خاتمة المتبحرين فى الصربية والفقهاء .

ويقول فى موضع آخر من هذه الترجمة : " فلما بلغت سبع سنين استلمني عمي من معلمي القرآن ، وتولى تربيتي بنفسه ، فكنت لا أفارقه لحظة ، حتى فى ساعة النوم فكان هو الذى يأمرني بالنوم ، وهو الذى يوقظني منه ، على نظام مطرد فى النوم والأكل والدراسة ، وكان لا يخليني من تلقين ، حتى حين أخرج معه وأماشييه للفسحة ، فحفظت فنون العلم المهمة فى ذلك السن مع استمرارى فى حفظ القرآن فما بلغت تسع سنين من عمري حتى كنت أحفظ القرآن مع فهم مفرداته وغريبه ، وكنت أحفظ معه " ألفية ابن معطي الجزائرى " و " ألفية ابن مالك " ، ومعظم " الكافية " له ، و " ألفيتي الحافظ الصراقي فى السير والأثر " ، وأحفظ " جمع الجوامع فى الأصول " ، و " تلخيص المفتاح للقاضي القزويني " ، و " رقم الحلل فى نظم الدول لابن الخطيب " وأحفظ الكبير من شعر " أبي عبد الله بن خميس التلمساني " شاعر المغرب والأندلس فى المائة السابعة ، وأحفظ معظم رسائل بلغاء الأندلس مثل " ابن الشهيد " و " ابن برد " و " ابن أبي الخصال " و " أبي المطرف ابن أبي عميره " و " ابن الخطيب " ، ثم لفتني عمي إلى دواوين فحول

المشاركة ، ورسائل بلغاتهم ، فحفظت صدرًا من شعر المتنبي ثم استوعبته بمد رحلتي إلى الشرق ، وصدرًا من شعر الطائيين ، وحفظت ديوان الحماسة ، وحفظت كثيراً من رسائل " سهل بن هارون " و " بديع الزمان " .
ويستمر الشيخ يترجم لنفسه فيبين أفضال عمه عليه واهتمامه به ، ويذكر الكتب التي ساعدت على تنمية ملكته اللغوية والتصويرية .

أما أبوه فهو " طالب الإبراهيمي " الذي هاجر إلى المدينة المنورة سنة ١٩٠٨ م هارباً بدينه ولغته من كيد المستعمر واضطهاده ، وقد لحقه ابنه محمد البشير سنة ١٩١٢ م ، ليسلم - هو الآخر - على ما كسب من ثروة دينية ولفوية . وقد هاجر في هذه الحقبة وقبلها خلف كبير . ويتطرق الأستاذ علال الفاسي (١) إلى هذه الهجرات فيقول : إن أعداداً كبيرة من العائلات المحترمة هاجرت إلى المشرق وتركيا سنة ١٨٩٨ م ويقول أيضاً : " إن تنفيذ التجنيد الإجباري سنة ١٩١١ م أدى إلى حركة هجرة عظيمة من المسلمين لا سيما في نواحي تلمسان ، إذ هاجر ثمانمائة عائلة إلى سوريا ومصر ، مصرحين بأنهم لن يدخلوا الحرب تحت علم غير المؤمنين " (٢)

وبعد سنة وبضعة شهور من استقرار الإبراهيمي بالمدينة ، وصل إليها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فكان الاثنان يؤديان صلاة العشاء الآخرة - كل ليلة - في المسجد النبوي ، ثم يخرجان إلى بيت الإبراهيمي ، فيستمران منفردين إلى آخر الليل حين يفتح المسجد فيدخلان مع أول داخل لصلاة الصبح ، ثم يفترقان إلى الليلة الثانية ، طيلة ثلاثة أشهر قضاها عبد الحميد بالمدينة المنورة .
فكانت هذه الأسرار كلها تدبيراً للوسائل التي تنهض بالجزائر ، وقد وصف الإبراهيمي

(١) في كتابه : (الحركات الاستقلالية في المغرب العربي) و (المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى) .

(٢) المغرب العربي لصالح العقاد ، ص ١٧١ .

— كما تقدم — هذه الليالي من سنة ١٩١٣ م بأنها هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء. (١)

وقد مكث الإبراهيمي عدة سنوات بالمدينة ، درس خلالها على الشيخ " حسين أحمد الفيض آبادي الهندي " كتاب " صحيح مسلم " ودرس على " الوزير التونسي " كتاب " الموطأ " للإمام مالك .

عودته إلى الجزائر :

عاد الإبراهيمي إلى الجزائر حوالي سنة ١٩٢٠ م فجعل طريقه على " مصر " ومكث فيها ثلاثة أشهر^(١) ، وجالس العلماء والشعراء والأدباء فيها أمثال الشيخ " محمد بخيت المطيعي " والشيخ " يوسف الدجوي " والشيخ " سليم البشسري " والشاعر " حافظ إبراهيم " والشاعر " أحمد شوقي " (٢) .

وعندما وصل أرض الجزائر وقف على النتائج الطيبة لتلك الحركة التي انفرد بها عبد الحميد بن باديس ، كما وصل في هذه المدة الشيخ " الطيب العقبي " والأستاذ " أحمد المدني " فاجتمع هؤلاء الأقطاب الأربعة ، واتفقوا على دفع عجلة النهضة الجزائرية ، وشد عضد الدعوة إلى الصروة والإسلام ، فكان عبد الحميد يلقي دروسه في قسنطينة في الوقت الذي صار البشير الإبراهيمي ينشر التعليم في " سطيف " كما كان " الطيب العقبي " يحمل لواء الدعوة في " بسكرة " ، أما الأستاذ " أحمد المدني " فقد تولى الدعوة في مدينة " الجزائر " .

ويخبرنا الشيخ الإبراهيمي عن أعماله بعد عودته وعن موقف الاستعمار منه فيقول :

" وحللت بلدي ، وبدأت من أول يوم في العمل الذي يؤازر عمل أخي ابن باديس "

(١) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر للدكتور محمد طه الحاجري ص ١١١ .
(٢) مجلة : سجل الثقافة الرفيعة — السنة التاسعة — العدد (١٠٦) — أكتوبر ١٩٦٥ م ، ص ٩٤ . من مقال بعنوان : (محمد البشير الإبراهيمي في ذمة الله) .

① ملخص: ألفت الإبراهيمي ثلاثة أشهر في القاهرة حينما كان ذاها الإبراهيمي لرحيل العودة لما لقيم من كلام الباحث، والدليل على صحة الملخص قول الإبراهيمي في تحقيقه به تمهيداً... ومرت في وظيفته في الجزائر

بدأت أولاً بمقد الندوات العلمية للطلبة ، والدروس الدينية للجماعات القليلة
فلما تهيأت الفرصة انتقلت إلى إلقاء الدروس المنظمة للتلامذة التلاميذ ، ثم
تدرجت لإلقاء المحاضرات التاريخية والعلمية على الجامع الحاشدة في المدن
النامرة والقرى الأهلة ، وإلقاء دروس في الوعظ والإرشاد الديني كل جمعة في بلد .
ثم لما استمد الجمهور الذي هزته صيحاتي إلى العلم ، أسست مدرسة صغيرة لتنشئة
طائفة من الشبان نشأة خاصة ، وتمرينهم على الخطابة والكتابة وقيادة الجماهير ،
بعد تزويدهم بالفداء الضروري من العلم ، وكانت أعالي هذه في التعليم الذي
وقفت عنائتي عليه فاترةً أحياناً لخوفي من مكائد الحكومة الاستعمارية ، إذ ليس
لي سند آوى إليه كما لأخي ابن باديس ، وكانت حركاتي منذ حطت بأرض الوطن مثار
ريب عند الحكومة وبعث شكوك ، حتى صلاتي وخطبي الجمعية ، فكنت أتغطى لها
بالوان من المخادعة حتى أنني تظاهرت لها عدة سنين بتعاطي التجارة وغشيان
الأسواق لإطعام من أعطهم لأفراد أسرتي ولكنها لم تنخدع ، ولم تطمئن إلى حركتي
فكان بوليسها يلاحقني بالتقارير ويضيق الخناق على من يزورني من تونس أو الحجاز .
كل هذا وأنا لم أنقطع عن الدروس لطلاب العلم بالليل .

وقد كان رحمه الله يلاقي عناءً شديداً من مشروعه التربوي للجهل المخيم على
مدينة " سطيف " وقصة إقبال أهلها على تأييده في مشروعه العلمي التثقيفي هذا
فكان يقول : إن الجهل عزب في أنحاء الجزائر كلها إلا في سطيف فقد تزوج ،
وهذا بعينه ما قاله الإمام محمد عبده عندما زار الجزائر : " إن إيجاد أمة من العدم
أهون من إصلاح هذه الأمم " .

اشتفاله بالصحافة :

لقد شارك الشيخ " محمد البشير الإبراهيمي " في الصحافة الجزائرية مشاركة
تشكر حين تذكر (١) ، ولم يدخر وسماً ولم يأل جهداً في الكتابة لجرائد الجمعية

(١) الأدب الجزائري المعاصر للدكتور سعاد محمد خضر ، ص ٥٢ .

جميعها : كالشهاب والسنة والشريعة والصراط ، وقد كان لجريدة " البصائر " حظ وافر من مقالات الإمام .

وقد رأت الحكومة الفرنسية خطر هذا العالم المسلم على بقائها في أرض الجزائر فاعتقلته في أوائل سنة ١٩٤٠ م ، ونفته إلى الصحراء الوهرانية في أيام الحرب العالمية الثانية . ولكن ما لبثت أن أطلقت سراحه بعد انتهاء الحرب ، فأُسند رجال الجمعية إليه رئاستها بعد وفاة الشيخ عبد الحميد .

مكانته وأعماله :

كانت للإبراهيمي مواقف وأعمال خالدة محمودة تجل عن الحصر فقد كان موضع ثقة رجال الجمعية جميعهم ومن بينهم ابن باديس الذي كان ينزل عند رأي الإبراهيمي وقتنع بأفكاره واقتراحاته . وأكبر دليل على علو منزلته أن رفاقه أوكلوا إليه وضع مشروع الجمعية ، وطلبوا منه رسم لائحتها الداخلية التي تعين أهدافها وتحدد نظمها وأسلوب العمل فيها ، فكان عند حسن ظنهم به ، وقد انتخبه الجميع نائباً للرئيس . وبعد وفاة رئيسها نرى الإبراهيمي يمتلي رئاستها سنة ١٩٤٠ م ، فيقودها خير قيادة .

ثم نراه بعد أن ظهرت بوادر الثورة على المستعمر اللئيم ينتقل من بلد إلى بلد يجمع المساعدات للشوار ، ويشرح قضية بلاده ، ويصوغها في قصة واقعية حزينة تستجدي العطف والرحمة ، فقد سافر - رحمه الله - إلى الرياض في شتاء سنة ١٩٥٤ م والتقى بالطك الراحل " سمود بن عبدالعزيز آل سمود " وسيط بين يديه قضية بلاده المقهورة ، وشرح له قصة الجزائر المأسورة ، فتمهد له الطك

ببذل الغالي والرخيص ، وصدق وعده ، فبعد أسابيع قليلة أخذت مصانع السلاح بمدينة " الخرج " (١) تزود ثوار الجزائر بالذخيرة والتمتاد ، وبدأت الحكومة السمودية تقطع علاقاتها مع فرنسا تدريجياً ، وتمد المجاهدين الجزائريين بالعمون السياسي والمادي . إلا أن حكومة الاستعمار لم تصبر على ذلك ، فأوعزت المخابرات الفرنسية إلى العمال الأجانب الذين كانوا يعملون في مصانع الخرج بوضع ألفام فيها لتدميرها ، وكان لهم ما أرادوا ، ولكن الحكومة السمودية أعادت بناءها من جديد ، واستمرت تزود الثوار حتى آخر يوم من أيام الثورة الجزائرية . (٢)

وقد مرض الشيخ في " الرياض " وظل عدة أيام في حال غيبوبة ، وأخذ المرض يزداد عليه ، ولكن ثورة الجزائر كانت تطلب منه مزيداً من الجهد ونسيان النفس ، فتعامل على جسم هزيل تمصّف به الحمّى ، وتهدّه الشيخوخة ، وتفتك به العليل ، وانتقل إلى ليبيا وتونس حيث كان الواجب ينتظره .

أما مؤلفاته فلم يظهر منها إلا القليل بسبب الصعوبات والحروب العنيفة المتصلة التي نظمها الاستعمار على اللغة العربية فحرقلت حركة النشر في الجزائر وجعلتها معدودة ، فالمطابع قليلة ، ولملها لا تمدو المطبعة العربية في مدينة الجزائر ، والمطبعة الجزائرية الإسلامية في مدينة قسنطينة ، وبسبب هذه الصعوبات لم يجد كثير من الكتب طريقه إلى النشر ، ومن هذه الكتب نحو خمسة عشر كتاباً ورسالة للشيخ لم يطبع منها سوى كتاب " عيون البصائر " ، أما سائرها فقد بقيت - كما يقول - مسودات في مكتبته بالجزائر . (٣)

(١) مدينة الخرج تقع جنوب العاصمة " الرياض " وتبعد عنها حوالي ثمانين كيلاً .

(٢) مجلة حضارة الاسلام - العدد الثاني - السنة السادسة ، ص ٢٩ .

* الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر للدكتور محمد طه الحاجري

وفاته :

لقد أمدَّ الله في عمر الشيخ محمد إبراهيم حتى شاهد بلاده التي نافع وكافح من أجلها ، شاهدتها تنعم بالخطوة الأولى من خطوات الحياة الحقة ، ورآها ترفل في ثوب فضاخ من الحرية . فتمنى لو أن شبابه يعود إليه ليجد العمل على تحقيق كل آمال أتمه ، وليشارك في إزالة بقايا الاستعمار الفكري بعد التحسُّر من الاستعمار السياسي والاقتصادي . ولكن الله اختاره إلى جواره في شهر ربيع الثاني سنة (١٣٨٥هـ) (١٩٦٥م)^(١) ، فنام راضياً مطمئناً على مستقبل بلاده ، — رحمه الله رحمة واسعة — .

نموذج من كتابته :

كتب الشيخ محمد إبراهيم بجريدة " البصائر " في زاوية " من ثمرات الأقلام " تحت عنوان " كلمتنا عن الأئمة " ، كتب كلمة مطوّلة نقطف منها الأسطر التالية :

" وانتهى إلينا من تسقط الأخبار ، وقصّ الآثار ، أن الأمة كانت بعد تلك الكلمات (٢) أزواجاً ثلاثة : فأما الذين استنارت بصائرهم وآمنوا بأن الدين لله ، وأن بيوتهم لا يصرها إلا من خشي الله ، وأن تراث الإسلام لا يرثه إلا المسلمون ، فزادتهم تلك الكلمات إيماناً بذلك واستبصاراً فيه وثباتاً عليه ، وأما المومنون المبرورون بالمداورة والأتباع المبرورون بالمجاورة ، فقد نظمهم صدى تلك الكلمات من رتبة اليقين بصحة الباطل إلى رتبة الشك فيه ، فهم يتساءلون ، ثم تغلبهم العادة فيتساهلون . وأما الذين في قلوبهم مرض من الأئمة وأتباعهم ، والمتشوّقين إلى الوظائف من أشياعهم ، فزادتهم مرضاً إلى مرضهم ، وأصبحوا يخطبون بسبنا ، والمائل من يعرض بذلك ولا يصرح " .

(١) مجلة حضارة الاسلام ، العدد الثاني ، السنة السادسة ، ص : ٢٢ .

(٢) يقصد بهؤلاء الأئمة : أئمة الدين الذين عينتهم حكومة الاستعمار .

(٣) سبق أن كتب الشيخ عدة مقالات في هذا الموضوع ، وهو يشير إليها في هذا المقال .

ويتكلم الشيخ في موضع آخر عن عملاء المستعمر والهيئات التي اصطنعها وأبسها
ثوب التقى والزهد فيقول :

” إن هذه الظواهر الفرارة التي أبقاها الاستعمار من الأسماء والصفوات
والهيئات ، لا تحجب عنا الحقيقة ، ولا تسكتنا عن كلمة الحق فيها ، وهي أن
تولية حكومة غير مسلمة لأئمة المسلمين إفساد للدين ، وإبطال للمبادات لأنها
نسخ لأحكام القرآن ، وتعطيل لحكمته وإطفاء لروحانية الإسلام في نفوس طائفة
أخذ عليها المهد أن تنشر هدايته ، وتنطق باسمه ، وتتقدم الصفوف للدفاع
عنه ، وأن الرضا بهذه الحالة إقرار للإفساد وإعانة عليه . إن للاستعمار في
إفساد المقائد والأديان طريقة هو فيها نسيج وحده ، يعتمد إلى الأسماء
فببقيها ويثبتها ، وإلى الظواهر فيسبغ عليها ألواناً تجعلها قائمة الذات في رأى
العين ، جميلة الوضع في حكم الذوق ، محتفظة بالمقومات السطحية في لمس
اليد ، ثم يعتمد إلى الحقائق والمعاني بوسائل المنوم الساحر فيمسخها ويفيرها .
هل رأيت الجوزة الموءوفة ؟ إن رأيتها رأيت ظاهراً جميلاً ، وقشرة صلبة ، ثم تكسرهما
فتجد نخالة ما أسأَرَ الدود ، أو سواداً ما فعل الماء المتسرب ، وهي - مع ذلك -
جوزة تُشترى ، ويدفع فيها الثمن ، وتقدم تكربة للضيف . . . وذلك شأن الاستعمار
في رجال الدين معنا .

أيها القوم لسنا لكم خصوماً ، وإنما نحن لكم نصحاء ، ولا خصم لنا في القضية إلا
الاستعمار . إننا نريد تحريركم ، وتصحيح بناكم ، وإرجاعكم إلى الله ، وتقوية
صلتكم بالأمة التي تصلي وراءكم ، حتى تكونوا شفعاءها إلى الله ، وإن نزاعنا
مع الاستعمار في ميدان من صميم الدين ، فلا تقفوا في طريقنا ، ولا تكونوا عوناً له
علينا ، وإنما لا نسكت حتى نوّدى حق الله فيه وفيكم إن أبيتم ذلك ” (١)

(١) مجلة حضارة الاسلام ، العدد الثالث ، السنة الحادية عشرة ، ص ٤٧ .

الطيب بن محمد العقبي

ترجم لنفسه فقال : (١)

" ولدت ببلدة " سيدي عقبة " ليلة النصف من شوال سنة (١٣٠٧ هـ) ،
ووالدي هو محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح ، وعائلتنا من أوسط سكان البلدة
ويتصل نسبنا بالرجل الشهير عند أهل تلك الجهة " سيدي محمد بن عبد الله " .
أما والدتي فمن بلدة " ليانة " بالزاب الشرقي من عائلة " آل خليفه " .
وقد انتقلت عائلتنا بقضها وقضيضها سنة ١٣١٣ هـ إلى الحجاز قاصدة " مكة
المكرمة " للحج ، وبعده سكنت في المدينة المنورة واستقرت هناك . وبعد وفاة
والدي بقيت مع شقيقي وشقيقي وأختي للأب تحت كفالة والدتي ، وتربيت في
حجرها يتيماً غريباً ، ولولا فضل الله لما اهتديت إلى سواء السبيل .

قرأت القرآن على أساتذة مصريين برواية حفص ، ثم شرعت بقراءة العلم
بالحرم النبوي لا يشغلني عنه شاغل ، ثم بعد أن أصبحت أنا القائم بشؤوني
والمتولي أمراي أخذت إن ذاك من العلم بقسط شعرت معه بواجباتي الدينية
والدنيوية ، وما كدت أدرك معنى الحياة ، وأتناول الكتابة في الصحف السبارة ،
وأنظم الشعر ، وأتكن من فهم الأدب حتى فاجأتنا حوادث الدهر ، فعدني
بعض رجال " تركيا الفتاة " من جملة السياسيين وأخرجوني في جطة أنصار النهضة
العربية بعد أن عن المدينة المنورة على إثر قيام الشريف حسين بن علي " في وجوههم
بعد الحرب - إلى المنفى في أرضهم " الروم إيلي " ثم " الأناضول " ، وبقيت هناك
أكثر من سنتين ، ثم انتهت الحرب الكبرى بعد الهدنة يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ م ،
ونحن إن ذاك مع عائلتنا التي التحقت بنا بعد خراب المدينة في بلدة " أزميز "

ومنها كان رجوعنا إلى الحجاز ، وما وصلت " مكة " حتى لقينا من لدن الملك
" حسين " كل حفاوة وشكر ، وهناك عينت مديراً لجريدة " القبلة " والمطبوعة
الأميرية " . ثم رجعت إلى الجزائر في ٤ مارس ١٩٢٠ م لبعض الأسباب
وهأنذا أسكن منذ ست سنوات بلد " بسكرة " إلى هذا اليوم . ولم أشغل
من حين قدومي بعمل عمومي ، ولم أتعاط الكتابة أو النشر في الصحف ، لأنني
أعتبر نفسي قد خرجت عن الحياة السياسية بالكلية ، وبعدت عن العلم وأسبابه
بعند ما بين المشرق والمغرب . ولكنني منذ أشهر أهديت بواسطة صحافتنا
الجديدة بعض الآراء والأفكار في رسائل تخص العلم والدين . فلم يرق ذلك
لبعض الجامدين فثاروا في وجهي يصدون عن سبيل الله . وإني لمواجه لهم
صدماتهم ومجابهتهم وجهاً لوجه . فالجاهل آخذه بالتي هي أحسن ، وأما
المنافق المارق فاني أغلظ له القول ، وأعامله بما يستحق ، وما سلاحي في كل
ذلك إلا صباغة ما طق بالذهن وبقي في الوطاب من آثار التربية الإسلامية والعلم
الصحيح . وقد تماطيت الشعر بالمدينة المنورة ، قبل الحلم ، فكنت أخلط الفث
بالسمين حتى جمعت منه ما سميت ديواناً ، ولكن بعد أخذى بحظ من العلم وذوق
العربية حكمت على شعري ذلك بالإعدام ، ثم جمعت ما يقارب ذلك للمرة الثانية
وأنا بالمدينة المنورة ، وعندما طوحت بي طوايح الحرب والإبعاد عن تلك البلاد
بفتة ودون اعتماد ، تركت كتي وكل نظم ونثر لي بالمدينة التي أخرجت منها
في ٢٣ محرم ١٣٣٥ هـ . فذهب ذلك الديوان أيضاً ، ثم أصبح الشعر بعد ذلك
أمراً لا يهمني كثيراً ، وطالما صرفتني عنه الصوارف . ولكنني على كل حال أستطيع
النظم وقول الشعر ، غير أنني تارة أجيد الرماية وأصيب الغرض ، وتارة يستعصي
عليّ ، ولكن ذلك حسب الدواعي والبواعث (١)

(١) شعراء الجزائر في العصر الحاضر لمحمد الهادي الزاهري ، ص ١٢٥ .

كانت عودة الشيخ الطيب العقبي سنة ١٩٢٠ م ، وكان من دعاة النهضة
المربية في الحجاز ، وكان يهدف بعد عودته إلى الجزائر إلى تجديد الإسلام
على أساس العودة إلى مذهب السلف (١) . وقد أنشأ جريدة (الإصلاح) فسي
"بسكرة" سنة ١٩٢٧ م (٢) . وكان يحاضر في "نادى الترقى" عشية كل أحد
في آداب الدين وتعاليمه السامية ، وهو أحد المؤسسين له سنة ١٩٢٦ م ، كما اشترك
في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١ م . وكان من بين الوفد
الذي سافر إلى فرنسا سنة ١٩٣٦ م ، وبعد عودة الوفد كان المستعمر للشيخ بالمرصاد
فاتهمه بقتل المفتي "ابن كهول" (٣) ، وطلق الاتهام ، فكان لذلك أثره في نفس الشيخ
"الطيب" ، وأخذ يتقرب إلى السلطات الفرنسية ، ثم قدم استعفاءه للجمعية في سنة
١٩٣٨ م .

نموذج من شعره :

قال في رثاء أخيه فؤاد الإسلام الشيخ أبي مصطفى محمد المكي بن عزوز
قصيدة طويلة تقتطف منها هذه الأبيات (٤)

هي الدار في أحداثها تتجرّم سرور فأحزان وعرس فماتم
عجبت لذي لب يفر بسلمها وما سلمها إلا خسار ومفترم
أما (ابن عزوز) وأودت طومره أم الركن ركن الدين أمسى يهدم
بلن إنها الأقدار وافت برزئه وما كان ظني أن يدك يلمم
أتاني نعي الحبر في جنح ليلة ويا ليتها في الدهر لم تك تعلم
أطار بها (برق) حديث وفاته فطار لها ظلي وما كان يسلم

-
- (١) الفكر والثقافة المفاصرة في شمال افريقية للاستاذ أنور الجندی ، ص ٦٨-٦٩ .
(٢) الصحافة المربية للاستاذ أديب مروه ص ٣٩٥ .
(٣) مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ١٤٣ ، ص ١٨ .
* قال الشيخ الرئيس ، لمؤلفه محمد الطاهر فضلاً ، ج ١ ، ص : ١٣٢-٢١٩-٣٢٠-
٣٧٧ وما بعدها .
(٤) شعراء الجزائر في العصر الحاضر لمحمد الهادي الزاهري ، ص ١٣٩-١٤١
وجميع التراجم الأتية مع نماذجها مأخوذة عن هذا الكتاب .

ويت كما بات " ابن زبيان ^(١) ساهداً ونار الأسي بين الجوانح تضـرم
وباتت دموع العين تجرى غروبها وقد كان دمعني في الشدائد يعصم
فدمعي حلال سكبهُ بَعْدَ بُعْدِهِ وصبري عنه ما حبيت محـرم
(محمد) يا (المكي) مالك راحل أزهـد بنا أم في سبيلك مـم ؟
إلى الله أشكو ما لفقـدك مسـني من البؤس والضراء والقلب يكـم
فقد كنت لي ركناً شديداً فخانسي زمني وأمر الله في الخلق مـم
تكتفني جيش من الحزن عارم فولت له جيشات صدري تـم
ونادت بي الأحلام : حسبك فأتد فأجرك في الاستاذ بالصبر أعظـم
" أبا مصطفى " هل تشرحن قضيتي برزك أم أودي الذي أنت تعمـم
" أبا مصطفى " قد هاضني فيك حادث لأشاله قد كنت تُرجى فيحسـم
" أبا مصطفى " قد باح قلبي بسرره وما كل وجه بالمحبين يكـم
لعمرك ما رشدي عليّ بأيب وقد وسدوك الترب لا تتكـم
لك الله قد أودي بك العلم والتقى وأودي الهدى والجود بعدك يـم
حياة فموت فادكار فبعشـة فجنة مأوى في ذراها تحكـم
سأبكيك محمول المقاصد ما بكت مطوقة في أيكها تترنـم
وتسكب عيني عبرة بمد عبـة تؤازرها أخرى فرادى وتـم
عليك سلام الله هيلاً وميثلاً فأخر عهدى أنني بك مـم

(١) يقصد النابغة الذبياني حين قال :

فبت كأنني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناع

محمد الأسين العمودي

ترجم لنفسه فقال (١)

"نشأت بوادي (سوف) في عائلة كان لها مقام معتبر ، وحظ من النعيم الذي جرت المادة بتسميته نعيماً ، ثم دارت عليها الدوائر وتوالت عليها النكبات . تربيت في أحضان أم هنون ، وعم أشفق عليّ من نفسي ، وتعلمت بالمكتب الفرنسي الابتدائي ، وبالمكتب القرآني على الكيفية والطريقة اللتين يتعلمهما الناس أجمعون ، وليس هنا محل انتقادهما . ولما بلغت السادسة عشرة من عمري دخلت مدرسة "قسنطينة" ، وتعلمت بها ما كان يتعلمه معي نيف وأريمون تلميذاً ، وما حصلت به وحصله أولئك التلاميذ إنما هو من مزايا الصدق ، ولا فضل لأحد من بني حواء في ذلك عليّ أبداً .

أما حياتي فحياة كل سلم جزائري . . حياة بلا غاية ولا أمل ، حياة من لا يأسف على أمسه ، ولا يفتبط بيومه ، ولا يثق بفرده . تلك حياتي من يوم عرفت الحياة ، وها قد دخلت السابعة والثلاثين من عمري ولم أظفر بمقد هدنة مع الدهر الذي أشهر عليّ حرباً عواناً لا أدري متى يكون انتهاؤها ، ولا أظن أن يكون لها انتهاء . لأن هذا المدو القوي الظلوم لا يمك عني إحدى يديه إلا ليصفقني بالأخرى " (٢)

وكان يميل كاتباً عاماً للجمعية ، وقد أصدر جريدة (لاديفانس) باللغة الفرنسية (٣)

نموذج من شعره :

قال من قصيدة يشكو فيها الدهر ، ويصف فيها حالة البؤس والعذاب اللذين يعرشن فيهما :

(١) بتصرف .

(٢) شعراً الجزائر في العصر الحاضر لمحمد الهادي الزاهري .

(٣) قال الشيخ الرئيس لمحمد الطاهر فضلاً ، ج ١ ، ص ٣٠٢

خير^(١) غصال الفتى حزم واقدام وشرها عن قضاء الوطر إجمام
نفسى ثريد الملا والدهر يمكسها بالقهر والزجر إن الدهر ظلام
إن الزمان سطا عني بسطوته كما سطا عن ضعيف الوحش ضرغام
أبكي إذا اشتد إرزام الحوادث بي وللحوادث مثل الرعد إرزام
إن هل عام جديد قمت أسأله قل لي : بماذا أتيت أيها العمام ؟
هذا القضاء على من خصمه ملك لا يعترى فاه وقت الحكم تبسام
قل للذين تمادوا في غوايتهم هل في ظلوكم يا قوم إسلام ؟
إني وإن حظ سوء الحظ منزلتي وقد علا شرفي بالظلم أقوام
ففي خلقي رجل بر وفي أدبي^(٢) فحل لأثمن در الشمر نظام
لو اتخذت خليج البحر محبرة وصيغ لي من يراع العلم أقلام
وكان لو الجو قرطاساً أمهده ضاقت على ذكر ما قاسيت أعوام
لي أسوة بالألى غارت كواكبهم ولم تهب لهم الأقدار ما راموا

* * * * *

محمد العيد

كتب مترجماً لنفسه فقال (بتصرف) :

" ولدت بمين الرياض ، ٢٧ جمادى الأولى ١٣٢٢ هـ ، وفيها نشأت وبها قرأت القرآن ، وتلقيت دروساً ابتدائية بمدرستها . ثم انتقلت أسرتي إلى " بسكرة " فكنيت أدرس العلم بها على بعض شيوخ أجلة ، وفي سنة ١٣٤٠ هـ غادرت بسكرة إلى تونس ، حيث انخرطت في سلك تلامذة جامع الزيتونة المعمور ، وزاولت كل دروسي بجد ونشاط ، وما كان ينقضي عام ١٣٤٢ هـ حتى غارت قواي ، وضعفت عزيمتي

(١) لو قال : أحلى . . . ، فكان أحسن .
(٢) يظهر أن هذا الشطر مكسور ، وأرى صحته هكذا : فإن في خلقي برّ وفي أدبي .

لما طرأ عليّ من الآلام التي كانت حجر عثرة في سبيلي فاضطرت للرجوع إلى
بسكرة . وليس لي بمد هذا شيء يذكر فيشكر سوى أنني أحب الأرب وذويهم ،
وأتعاطى مهنة الشعر وأتمنى أن أكون مجيداً فيه " . (١)

وقد شارك محمد الصيد في الثورة الفكرية في الجزائر فأخذ يعلم ويكتب في
شتى الجرائد ، وفي سنة ١٩٢٧م أدار مدرسة الشبيبة الحرة في العاصمة ، ثم
أدار مدرسة التربية التعليمية في "بتانه" (سنة ١٩٤٧م) ، وفي سنة (١٩٥٤م)
أدار مدرسة العرفان في "عين مليلة" ، ثم ألقى القبض عليه بمد اندلاع الثورة ،
وفرضت عليه الإقامة الجبرية في "بسكرة" . ويحاز شعره ببلاغة التعبير ، وصدق
التصوير . (٢)

نموذج من شعره :

قال الشاعر في مأساة حادثة الباخرة "فروش" وثناء شهدائها قصيدة طويلة
تبلغ أربعين بيتاً ، وفي أولها يشكو من الدهر ثم يذكر ضيق العيش في الجزائر
وهجرة الجزائريين إلى فرنسا لطلب الرزق ، ويبين ساهمتهم في حروب فرنسا
ثم يفصل في حادثة هذه الباخرة التي هزت القلوب وأثارت المواطف . يقول :

علام يظل دهرك مستترها	تُساغله ويأبى أن يجيبها ؟
ويغضي عن شكاتك مستخفا	كأنك في شكاتك لن تصيبها ؟
فيا لله من دهر تفاقس	عن البلوى ولم يبصر قريبها
ويا لله من دهر تجافس	عن الذكرى وأكبر أن ينيبها
ألم يوقن بأن الخطب خطب	تكاد له البصائر أن تفيبها
ألم يوقن بأن الخطب أنحس	على العمال شبّاناً وشيبها

(١) شعراء الجزائر في العصر الحاضر لمحمد الهادي الزاهري .
(٢) تاريخ الأرب الجزائري لمحمد الطيار ، ص ٢٨٦ .

قسي البلد المريج وضاقت ذرعاً بهم فتميموا البلد الرحيم
وأدرك ريمهم جذب مشقت لهم فاستقبلوا الريح الخصيم
وقالوا إن في باريس عيشاً بروق غضاضة ويلذ طيباً
وقالوا إنها تسلى المعنى وقالوا إنها تؤوى الغريب
وإن لها من الحسن لحظاً وإن لها من الحسن نصيباً
ألسنا المخلصين لها حضوراً؟ ألسنا المخلصين لها مضيماً؟
محضاتها المحبة واغتنينا نظارحها التفزل والنسيماً
ولبينا صهيب الحرب لما أهاب بنا فأرضينا المهيباً
فسدت في وجههم النواحي سالكها ولم ترحم حبيباً
وقامت ضجة في الغرب كبرى تصب عليهم النقد المريب
فكم من قاتل أخشى وحوشاً تدب بأرض باريس دبيباً
وكم من قاتل أخشى زواجاً تبيح القتل والذام المميباً
فقل للقائين على فرنسا أنيبوا وأرتؤوا رأياً لبیباً
وقل للقائين على فرنسا تمالوا فاشهدوا الخطب المجيباً
مصاب يدهش الجلد المريب عليه، ويرعش الحبر النجيباً
وتفدو حوله الأفكار: فكراً سلبياً يمتلي فكراً سلبياً
فحسبك أيها الخطب المفاجي لقد أشهدتنا اليوم العصيباً
فأبكت الهلال به وطنه وأبكت ابن مريم والصليباً
وسر في ذمة التاريخ خطباً رهيباً في سامعنا مهيباً
وحسبك أن أثرت شجون نضو كتيب يألف النضو الكتيباً
إذا ما صوت الناعي بأرض تراه بسفك عبرته مجيباً
يناغي البائسين كما يناغي لمصرى المندليب المندليباً
ويحيي في رثائهم الليالي وينهض في مصارعهم خطيباً
بقلب يلفظ الأنفاس حرياً وعين تذرف الدمع الصيباً
فيا ظئر الجزائر يا فرنسا أيجدر بالجزائر أن تخيباً؟

محمد السعيد الزاهري

وقد ترجم لنفسه فقال (بتصرف) :

" في ٢٥ شعبان ١٣٤٤ هـ نفضت يدي من ستة وعشرين عاماً تمت لي من عمري وما أنا بآسف على شيء فيها مثل ما أنا آسف على أيام الصبا .
عشت سعيداً في دور حياتي الأول لا أكلف شيئاً . ولما بلغت السابعة من عمري دخلت المكتب القرآني ببلدة "ليانه" مسقط رأسي (وهي قرية من قرى الزّاب الشرقي) ، ولبثت في قراءة القرآن زمناً ، ثم حفظته وحذقت فيه . بلغ خبري إلى سامع جدّي الشيخ علي بن ناجي الزاهري ، فأمر أن يكثر إحضاري بين يديه لأسأله عما يخطر ببالي فيجيبني بما يملأ صدري إيماناً . وعندما فرغت من القرآن ألزمني أن أطلب العلم ولو في الصين ، فأخذت في دراسة العلوم على العم الشيخ عبد الرحيم الزاهري ، فكنت أقرأ عليه غالب النهار وزلفاً من الليل . وقرأت علم الفرائض على الشيخ محمد بن ناجي الزاهري . وكنت كثيراً ما أجلس إلى الشيخ علي ابن العابد السنوسي وأراجعه في تصحيح معلوماتي . أقمت سنتين عند هؤلاء الأساتذة ، ثم ارتحلت إلى قسنطينة أقرأ على أستاذنا عبد الحميد بن باديس فأقمت بمدرسته زهاء أربعة عشر شهراً ، ثم هاجرت إلى تونس أستكمل معارفني بجامعة الأعظم ، فقدمت هنالك أقرأ بحرية مطلقة حتى حصلت على شهادة العالمية " التطويج " في رفقة من إخواني الجزائريين . فقرأت في تونس على أشياخ كثيرين كالشيخ محمد النخلي رحمه الله ، والشيخ عثمان بن الخوجه ، وكنت أُلزم للشيخ معاوية التميمي . قضيت أعواماً بتونس ، ولما لم يعد لي غرض رجعت إلى الجزائر العاصمة في سبيل صحيفة عربية القلم ، أسسها بعاصمة البلاد ، فأنشأت جريدة " الجزائر " وجعلت شعارها : " الجزائر للجزائريين " أصدرت منها أعداداً ثلاثة لم تبصر الإدارة على حرارتها وصدق وطنيتها فمطلتها ، غير أن العزيمة التي أوجدت جريدة " الجزائر " لم يزد لها الضغط الإداري إلا حدة ومضاء .

نموذج من شعره :

يقول من قصيدة له في الإفراط مدحاً وذكماً للأشياء ، ولعله يعني فكرة

إدماج الجزائر بفرنسا :

لا تظلم الشيء إطراءً وتنويهاً لحاجة أنت في التنويه تنويهاً
فالمعدل إن راح للأشياء يذكرها فليس يذكرها إلا بما فيها
وإن ذمت من الأشياء مكسبية فاقصد لعلك بعد اليوم تطريها
وأكثر الناس يفلو في مقالته إن راح ينعت تنقيصاً وتنزيهاً
فرب مادح شيء لا يزال به حتى يؤلّبه في الناس تأليهاً
وعائب رجلاً ما انفك يظلمه حتى يشوهه في الناس تشويهاً
كيف السبيل إلى نيل الحقائق والذم الإفراط في الذم والإطراء يخفيها
لا أحسب الناس تهديدهم عقولهم إلى الحقيقة والأموء تمميهما
هل كان في الناس ذوعقل بصيرته لم يفشها غرض الدنيا فيصميهما
أم في التواريخ تاريخ بلا غرض يجلو الحقيقة في أجلى مجاليهما
يا لهف نفسي أن تبدو الحقائق لا تكسب من الناس تلبيساً وتمويهاً

* أبو اليقظان * (١)

في ليلة الإثنين من شهر صفر سنة ١٣٠٦ هـ ولد شاعرنا أبو اليقظان . والده
هو الشيخ الحاج عيسى بن يحيى ، وكان عضواً في المجلس الديني .
في غضون سنة ١٣١٤ هـ أخذ في تعلم القراءة والكتابة ، وحفظ سوراً من القرآن
الكريم في بعض كتاتيب البلد المسماة بالمحاضر ، وفي سنة ١٣٢٢ هـ حفظ القرآن
عن ظهر قلب ، وامتحان في ذلك فأجاد ، وفي سنة ١٣٢٣ هـ تربع أمام أول أستاذ له

(١) كتب هذه الترجمة محمد الهادي الزاهري في كتابه : شمراة الجزائر في العصر
الحاضر .

وهو الشيخ الحاج عمر بن يحيى ، وأخذ عنه مبادئ التوحيد والفقه والأخلاق والنحو والصرف . وفي سنة ١٣٢٥ هـ يم مع رفاقه بلدة " بني بسجن " عاصمة ميزاب العلمية ، وأخذوا عن العلامة " اطفيش " ما أخذوا عن الأول مع زيادة عنه بالأصول والبلاغة والمنطق والتجويد والعروض والوضع . وفي سنة ١٣٢٨ هـ قصد الحجاز فمر بتونس فطرابلس فمصر . وفي سنة ١٣٢٩ هـ زار الروضة المشرفة ثم عاد إلى بلاده متخذاً طريقه على دمشق فبيروت فأزمير فطرابلس فتونس . وفي سنة ١٣٣١ هـ عزم على الذهاب إلى تونس للدراسة في معهدها المعمور ، فدرس مختلف العلوم والفنون على أساتذة كبار ، وخصص في أثناء دراسته أوقاتاً لمزاولة شيء من الفرنسية والإنشاء والتاريخ ومبادئ الرياضيات بالمدرسة الخلدونية .

وفي سنة ١٣٣٢ هـ أقلت المدرسة الصديقة في " تبسة " والتي أسسها بعض الأحرار ، فتكونت بعثات طمية إلى تونس وأوكلوا أمرهم إلى الشيخ يدير شؤونهم وهرشدهم حتى رجعت هذه البعثات سنة ١٣٣٣ هـ .

وفي أثناء إقامته بـ " القرارة " عين مدرساً في دار التلاميذ ، وفي أثناء ذلك أسس مكتباً عربياً قام فيه بجدّ ونشاط ونصح وإرشاد ، وما فتئ يبذل ما في جهده حتى أحس بشبه قصور نسبيّ بالنظر إلى ما يرومه لقومه ، فقلل إلى تونس سنة ١٣٣٥ هـ واتفق مع عدد من زملائه على وضع خطة أوسع من ذي قبل تكون نتيجتها مشروعاً كبيراً يخرج العلماء والأدباء والكتاب والخطباء في الوطن ، فأثار عظيم هذا ضجيرة كبرى في الأوساط المتحجرة الجامدة ، فقامت قياضهم حول هذا المشروع الجليل سنة ١٣٤٠ هـ ولكن الأقلام الحرة تصدّت لدفع هؤلاء العالة ، وتبارى الكتاب والشعراء الفحول في مكافحتهم ، وسار أولئك بمشروعهم بعد انتصار باعسر على المحافظين والرجعيين .

وقد انتقل في سنة ١٩٢٦م إلى الجزائر فأنشأ جريدة (وادي ميزاب) . ومن مؤلفاته في الفقه كتاب " سلم الاستقامة " ، وله أيضا كتاب عن سليمان باشا البارونسي وله ديوان جمع فيه أثماره كلها . (١)

نموذج من شعره :

عندما أراد الشاعر مفارقة بلاده أقيمت له بالنادي الأدبي حفلة وداع في ١٢ محرم ١٣٤٣ هـ ، فقال القصيدة التالية مودعاً بها وطنه :

فقد أزف الرحيل بنا سراعاً	بلادي منبت المظما وداعاً
تحيي دائماً تلك البقاعاً	سرحل والقلوب لديك تبقياً
علاك فتصبح المرّ المطاعاً	سنرحل يا " مزاب " غداً لتحيي
لشعب حلّه ضعف وضاعاً	فكم في السير من نفع عظيم
بفضل السير في الأرض اطلعاً	وهل نهضت بلاد الضعف إلا
بإذن الله عزّاً وارتفاعاً	سنعمل ما يببض منك وجهاً
وراموا الإزديراء والابتلاعاً	إذا كادت لك الأعداء كيداً
نفوس لك المعائل والقلاعاً	بذلنا ما لدينا واتخذنا النـ (م)
ويأبى الله إلا أن تراعياً	فنعلمهم بأن لنا حقوقاً
هزرتا نحوهم ذاك اليراعاً	وإن رامت لك الأوغاد كيداً
فيضحوا خامدين ولا نزاعاً	فأصمقهم بنار الشهب فوراً
" يداوي رأس من يشكو الصداعاً " (٢)	يراعي كان في الدنيا طبيياً
نريد لشعبنا حقاً مشاعاً	ألا فليعلم الأضداد أننا
وإن ضدّاً فإن لنا لباعاً	فإن سلماً فنحن لذاك أهمل
سلاحاً فاتكاً لن يستطاعاً	فإن لنا من الحق العزيز
بأن لك الضائر لن تباعاً	فثق يا أيها الوطن الفسدّي
ومدّ لعونها ذاك الذراعاً	فأيدها وناصرها دواصلاً
ويكشف عن شاكلها القناعاً	وسل مولاك يلهمها رشاداً
وبارحنا المنازل والضياعاً	فها إننا أولاء لقد ضمننا
وحياك انفراداً واجتماعاً	قدم جدلاً هباك الله عزّاً

(١) تاريخ الأديب الجزائري لمحمد الطمار ، ص ٣٧١ .

(٢) هذا الشطر لمنترة بن شداد في الحماسة حيث يقول :

حسامي كان في الهيجا طبيياً يداوي رأس من يشكو الصداعاً

محمد الهادي الزاهري

ترجم لنفسه فقال :

أنا محمد الهادي بن علي بن محمد بن العابد بن محمد السنوسي الزاهري نسبة إلى جدنا الأكبر " أبي زاهر الحسيني " نسبة إلى الحسن السبط رضي الله عنه . ولدت بـ " ليانه " قرية من قرى " الزاب الشرقي " في ربيع الأول سنة ١٣٢٠ هـ . أدخلني والدي الكتاب القرآني فمكثت فيه مدة كان المرض يماودني كثيراً حتى سئمت الكتاب ، فأخذ يطي علي والدي ما حفظته من القرآن وشيئاً من أَسْماء العرب ، ثم أدخلني مدرسة عبد الحميد بن باديس في قسنطينة فقرأت عليه كتباً في اللغة وقواعدها والإنشاء ، وكتباً في التوحيد ، وشيئاً في الفقه ككتاب " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " لابن رشد الحفيد ، وفي التفسير شيئاً ليس باليسير وقد لازمت الأستاذ زهاء سبع سنين . نويت الارتحال إلى مصر فركبت القطار إلى " سكيكده " ، فركبت الباخرة ، وما أقلت إلا والبوليس أخذ بيدي إلى الكوميساريه .

وفي سنة ١٣٤٤ هـ تألفت شبيبة من قسنطينة وأسست مطبعة وانتخبني نائباً عنها في القطر الجزائري . وفي سنة ١٣٤٥ هـ تركت النيابة مشغولاً بكتاب " شعراء الجزائر " وعرفت بالنائب الثاني وقد كنت منذ الصغر مشغولاً بأقاصيص العرب وأخبارهم ، وعلى معرفة تامة وذوق خاص في أوزان بحور من الشعر .

نموذج من شعره :

حينما أكمل الشاعر تأليف كتابه " شعراء الجزائر في العصر الحاضر " اجتمع عدد من الشبان الجزائريين وأقاموا حفلة تكريم لهذا الكتاب وصاحبه ، أقيمت فيها الخطب والقصائد ، فألقى المحتفى به هذه القصيدة :

والبلبل الشادي استغز مشاعري
إلا لرنة شاعر أو ناشد
هيجت عاطفة اللبيب الشاعر
شعب وأصبح ناعماً بأواصر
من كل مقدام أشم وكاب
ما كان منهم في الوري من ظافر
نحو ابن جلدتكم رفيف الطائر
لنظرتها. وكفى بنظرة خاطري
ستظل رابطة لكل جزاء
ما أوجدت من ألفة وتناصر
نبراس نهضتكم بشعب عاثر
لا بد أن تحظوا بعصر زاهر
من كاشح أكدي وغمر ما كسر
وزراً ذكرت الخاسر ابن الخاسر
غرضاً بأخلاق الرجال مقامر
وماذق ومفاد ومكاب
دون الهدى. أخسر به من تاجر
والمائلين بخاطري وناظر
للمجد في شم الخضم الزاخر
سرج أبت إلا احمرار العاصر
ما للفوارس بالحسام الباتر
أدناهم في الدجل مثل السامر
ما تبصرون من الفريق الساخر
بين البرية باللسان الشاكر
فيما ضى فرطاً وحتى الحاضر
ذا حظوة في الناس غير الصابر
فالحر لا يلويه قدر الفادر

"نادى الشبية" قد تمك خاطري
ما كان بين جوانحي من واثب
والقلب عاطفة إذا أيقظتها
لولا العواطف في الشموبلما اعلى
أهل الزعامة في المواطن كلها
لولا قلوبهم التي ملئت بها
هذي عواطفكم كأن رفيفها
لولا أشعة نورها وما جنة
سبب - لعرك - للإخاء وإنها
حسبي وحسب الناهضين جميعهم
صونوا العواطف بالثبات فإنها
فإذا تمشت في القلوب فإنكم
عوزتكم بالله سبحانه الحمى
ومن الذين إذا ذكرت أظلمهم
من كل مكلوم الفؤاد ومغمم
ومضلك لم يدري وجه صوابه
ومتاجر تخذ الفؤاية متجراً
أشبية النادي وفتيان الهدى
والدائنين مع الكواكب في السرى
والطالمين مع الصباح كأنهم
والمقدمين ولأسنة والضبي
والمصلحين وللؤاية ممشر
أنتم مناظ الشعب لا يلهيكم
سيرد الألهى المشط جهودكم
والدهر أحفظ للرجال مائراً
إن الحياة هي الحظوظ ولن ترى
صبراً إذا ما الدهر لم يك منصفاً

أحمد توفيق المدني

نشأ في تونس ، فتعلم بجامع الزيتونة ، ودرس الفلسفة والاجتماع والسياسة .
وقد سجن وهو شاب فأتقن اللغة الفرنسية في السجن ، وبعد خروجه شارك في
السياسة فنفي إلى الجزائر عام ١٩٢٧ م والتقى في منفاه بعبد الحميد بن باديس
فانخرط في سلك جمعية العلماء المسلمين . ومن مؤلفاته : جغرافية القطر الجزائري
وتاريخ الجزائر ، وهذه هي الجزائر ، وحياة محمد عثمان باشا ، وكتابين عن
قرطاجنه وحظية . (١)

سارك بن محمد الميلي

ولد عام ١٨٩٨ م في قرية " الميلة " من أحواز قسنطينة ، ودرس بالجامع
الأخضر ، ومن أساتذته الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ثم سافر إلى تونس ودرس
بجامع الزيتونة مدة ثلاث سنوات ، عاد بعدها إلى الجزائر فأسس مدرستين
للبنين ، وعمل على إنشاء مطبعة عربية . واشترك في جمعية العلماء المسلمين
ويصتبر من مؤرخي الجزائر ، وله كتاب : تاريخ الجزائر في القديم والحديث . (٢)

الصربي بن بلقاسم التبسي

هو الرئيس الثالث لجمعية العلماء المسلمين ، وهاجر إلى قبيلة " النمامشة " .
عمل مدرساً بمدرسة البنين بتبسه ، وكان في الوقت نفسه يدرس في مسجدهما
الحر ، وقد أسندت إليه رئاسة الفتوى في هذه المدينة ، كما كان كذلك كاتباً عاماً
لجمعية العلماء . (٣)

(١) تاريخ الأدب الجزائري لمحمد الطمار ، ص ٣٧٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٨ .

(٣) قال الشيخ الرئيس لمحمد الطاهر فضلا ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

" أثر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
في اللغة والأدب "

قد نكون تبييناً فيما مضى بعض الآثار الطيبة لحركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في محيط اللغة والدين والأدب ، وعرفنا كثيراً من المواقف المشرفة لمنسوبي هذه الجمعية ، كما رأينا نهج المستمّر الذي سلكه في القضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي قبل قيام هذا الصرح الضخيم وعمده ، حيث جند كل قواه الظاهرة والخفية لحرب فكرية عقائدية ، هدفه من ورائها نحو دين راسخ في القلوب ، ومسح لغة طاهرة أحبها القوم ، مما أدى إلى قيام أصحاب الفكرة في وجوه هؤلاء الدخلاء ، فكونوا جمصيتهم ودعوا إليها ودافعوا عنها . وطبعاً سيأتى أثر المستمّر بمؤسسة كهذه ، تدعو إلى ما ينهوا عنه ، وتنهى عما يدعو إليه . إلا أنه استهان بها في البداية ، وخاف إن هوانها وناصبها العداء أن يلفت الأنظار إليها ، فيتحمس لها أهل البلاد ، فيكون قد صفع وجهه بيده ، ولكنسه رأى أن أفكار العلماء المسلمين وتعاليمهم تسري في عقول المواطنين سريان الكهرباء في أسلاكها ، وتنتشر في البلاد انتشار النار في الحطب اليابس ، فلم ير في السكوت عنها عظيم فائدة ، وهد إلى إغلاق مدارسها ونواديها ، وساق معلمها إلى السجون في موكب اللصوص والقتلة والمجرمين (١) ، وعزل الموظفين الذين يشتم منهم راحة العلماء ، وأخذ يضري رجالها بالمناصب العالية إن هم تركوا الجمعية ووقفوا ضدها ، وقد عرفنا - قبلاً - موقف " المولود الحافظي " ، الذي انشق عنها فارتد بعد إيمان (٢) وهذه الحرب الشعواء لم تقم عبثاً ، ولم يستهلك الطرفان فيها الجهود والأموال والوقت دونما سبب ، فالمستمّر لم يحارب العلماء إلا لأنهم أرادوا صرف الشعب من منتصف طريق الضلال ليصيده إلى حظيرة الإسلام التي خرج منها ، ولأن المستمّر نفسه رأى الأعمال التي قامت بها هذه

(١) الجزائر النائرة للفضيل الورتلاني ، ص ٨٣-١٢٢ * مجلة المجتمع الكويتية

العدد ١٤٣ ، ص ١٧ .

(٢) جوانب من الحياة المغتبية والأدبية في الجزائر للدكتور محمد طه الحاجري ص ١٢-١٦

الشَّلَّة من الأحرار فأرعبته النتائج الباهرة التي تمخضت عنها جهودهم .
وسنمر فيما يلي على أعمال الجمعية لنقف على آثارها العظيمة في اللغزنة
العربية وأدبها ، ونستطيع إدراجها تحت المناوين التالية :
فتح المدارس - الحفاظ على اللغة - تخريج العلماء والشعراء والخطباء
والمرشدين - عقد الندوات - إصدار الصحف والمجلات .

* * * * *

" فتح المدارس "

لم يوقف المستعمر الفرنسي عدوانه على الشعب الجزائري لحظة واحدة
منذ حلوله في أرض الجزائر ، وقد تقدم الكلام عن العديد من تلك المواقف المخزية
ولا مجال هنا لإعادة .

والذي يهمنا في هذا الحديث هو أن جمعية العلماء شرعت منذ ساعة تأسيسها
في إنشاء المدارس ، وأخذت تضاعف جهودها ليممّ التعليم العربي كل بقعة من
يقاع الجزائر ، لأنها رأت ضرورة الثورة الفكرية قبل الثورة المسلّحة ، وقد كانت
الكتيبة الأولى تضم ألف طالب باسروا دراستهم قبل تأسيس الجمعية ، حين قدم
الشيخ عبد الحميد بن باديس من المدينة المنورة ، وأخذ يمهّد الطريق لبناء معقل
الأحرار ، وصار يجمع مواد الخام من شبيبة الجزائر ويصحبها في قوالب إسلامية
بحة ، ليتسنى له البناء الصحيح . فكانت هذه الكتيبة الأولى هي البذرة الصالحة
والأمل الشرق للجزائر عامة .

وبعد أن تأسست الجمعية صارت حركة التعليم أكثر تنظيماً ، وأشد نشاطاً
وأبلغ أثراً من ذي قبل ، ففي خلال ثلاث سنوات مرت على تأسيس الجمعية فتحت

ما يزيد على خمسين وطائة مدرسة (١٥٥) ، يتعلم فيها ما يقرب من خمسين ألف طالب (١) ، ويدرس بها حوالي أربعة آلاف مدرس . ثم أخذ رجال الجمعية يضاعفون نشاطهم ، ساعدتهم على ذلك ما يصلهم من التصرفات والمساهمات الخيرية من الشعب داخل الجزائر وخارجها ، فتضاعفت ميزانية الجمعية وزادت مدارسها على ثلاثمائة مدرسة ، وقد افتتحت الجمعية معهداً في مدينة " قسنطينة " وأطلقت عليه اسم رئيسها عبد الحميد (٢) ، وكانت بعض هذه المدارس لا تخلو من النشاط الاجتماعي والحفلات التي تقام في المناسبات الدينية فتلقى فيها الأسماء ، والخطب ، كما أن بعض هذه المدارس تضم جمعيات خيرية تمتد مواسم أدب وطم كدراسة " الشبيبة الإسلامية " في مدينة الجزائر .

والجمعية تجري في تعليمها على المنهج المصري لقرنها من مصر ولسهولة جلب الكتب منها . وللجمعية مكتب في القاهرة يشرف على بحثاتها الطلابية المنتشرة في جامعات الدول العربية الشقيقة كجامع الزيتونة ، وجامعة الأزهر وغيرها . وتجدر الإشارة إلى أن حكومة الاستعمار لا تعترف بشهادات طلاب الجمعية ولا تعتبر لها أدنى قيمة . (٣)

وقد اتجه رجال الجمعية إلى المساجد فاتخذوها أمكنة لنشر العلم والدعوة والإصلاح ومعاقل لبث الروح الجزائرية الإسلامية ، ولكن المستعمر أغلقها دونهم وحرسها عليهم ، وقصرها على أداء الشعائر ، فأخذت الجمعية تنشيء المساجد الحرة التي لا تخضع لسلطانه ، وتمكنت في سنة واحدة من إنشاء بضعة وتسعين مسجداً ، واستخدمتها في التعليم المصري (٤)

-
- (١) أضواء على القضية الجزائرية لبراهيم كبه ، ص ٧٨ . * الجزائر الناضرة للفضيل الورتلاني ص ١٩٥ . * تاريخ الأدب الجزائري لمحمد الطمار ص ٢٦٢ .
(٢) الجزائر الناضرة للفضيل الورتلاني ، ص ١٤٢-١٩٥ .
(٣) الجزائر الناضرة للفضيل الورتلاني ص ٢٠٦-٢٠٧ . * المغرب العربي لصلاح المقاد ، ص ٢٣١ .
(٤) الجزائر في معركة التحرير لسعد زغلول فؤاد ، ص ٢٤ .

أما الزوايا القديمة فقد هبت الجمعية إلى إصلاحها بحيث تلائم روح العصر
مذكرة بأنها إنما أسست لقراءة القرآن مع ما يستلزمه من العلوم العربية والشرعية (١)
منددة بما يقوله بعض المتأخرين من أنها لم تؤسس إلا لقراءة القرآن فحسب دون
فهمه . وقد بين الشيخ عبد الحميد بن باديس أهداف الجمعية من وراء ذلك
حيث قال : " لا نريد هدم الزوايا وإنما نريد إصلاحها ، لا نريد إزالتها وإنما
نريد تطهيرها من البدع ، لا نحاربها لأنها طريقة وإنما نحاربها مادامت في
ركاب المستعمرين . " (٢)

ولا يخفى ما لهذه الأعمال والإصلاحات من أثر كبير في اللغة والأدب ، فالأمة
مضى كانت على إمام بتاريخها وماضيها ، وطن طم بعقيدتها ودينها فإنها تحفظ
لفتها من الضياع والاندثار، وتورثها لأجيالها التالية ، وتزرع فيهم الاعتزاز بقوميتهم
وعقيدتهم . ومعلوم أن حفظ اللغة هو السبيل الوحيد لحفظ أدب الأجداد
وتراثهم لما بين اللغة والأدب من ارتباط وثيق ، فاللغة ترجمان الأدب ، ووسيلة
التعبير عن خلجات النفوس ، ومن الصعب على إنسان أن يفهم تراثه الأدبي بلغة
غير لفته الأصلية ، فالجمعية إذن أسدت إلى اللغة العربية أفضالاً لا تنسى ،
حيث أعادت المروية إلى شعب كاد أن يلبس ثياب المجبة ، ويتكسر للفتنه
وأدبه .

(١) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر لمحمد طه الحاجري

ز ١٢٩-١٣٦ .

(٢) مجلة المجتمع الكويتية ، الممدد ١٤٣ ، ص ١٦-١٧ .

الحفاظ على اللغة العربية

حاول الضيف الثقيل - المستعمر - قتل اللغة العربية ، واستعمل شتى الطرق للتخلص منها . فهو يطمح - كل العلم - أن هذه اللغة هي أساس الدين ، ومادام الدين باقياً فلن يهنأ له بال ، ولن يقر له قرار ، وهي كذلك تعتبر حلقة وصل بين الجزائريين وأجدادهم الماضية ، تشعرهم بكرامتهم ، وتصلهم بأجدادهم وبالمالم الإسلامي كله قديمه وحديثه . فشرع المستعمرون في حربها بكل وسيلة ، واستعملوا كل طاقاتهم لبث احتقارها في نفوس الجزائريين ، وأوحوا إلى الشعب أنها لغة لا تنوء بحمل التعليم والدواوين ، ولا تصلح للشقيين والطبقات العليا ، وإنما مكانها في المقاهي وعند عامة الناس والطبقات السفلى .

ثم أصدروا قرارهم باعتبار اللغة الفرنسية لغة الدولة الرسمية ، وصيروها لغة المدرسة ابتداءً من روضة الأطفال إلى الصفوف العالية في الجامعة ، وجعلوها لغة المعاطبة العامة ابتداءً من مختار الحارة حتى الحاكم العام للجزائر . ولم يكتفوا بذلك بل أصدروا قانوناً آخر سنة (١٩٣٨م) يعرف بقرار " شوطان " يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية بين أهلها ، وطلبه فإن المدارس والصحف العربية كلها تعتبر أجنبية (١) . إلا أن الجمعية ثارت على هذا القرار الظالم ، وطالبت بشجبه .

وكان المستعمر وعملاؤه ينظرون إلى علماء العربية والدين نظرة احتقار واستهزاء فكانوا يسمون عبد الحميد بن باديس بإيليس ، ويرمونه بالحجارة والطماطم عقب خطبه ومحاضراته ، وكذلك كانت الحكومة لا تقبل شهادات خريجي مدارس الجمعية ولا تعترف بكفاءاتهم الكبيرة . وكان المستعمرون يوهون إلى المسلمين بأن اللغة العربية هي سبب حرمانهم من وظائف الدولة ، وأنها لغة قاصرة جامدة لا تؤهل أهلها للتقدم والتطور ومشاة العصر . إلا أن هذا كله لم يزل رجال الجمعية إلا إيماناً بربهم ومحافظة على

(١) الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني ، ص ٨٣-١٣٢ . * الجزائر عبر الأجيال لسمود

مجاهد ، ص ٢٣ . * الجزائر أرض اللهب والدم لمحمد عودة وآخرين ص ١٤ .

* أضواء على القضية الجزائرية لابراهيم كبه ، ص ١٦٧ .

(٢) نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة لمحمد علي دبو، ج ١ ، ص ٢٥ .

لغتهم ، فلم يرضوا بها بدلاً أولها انتقاصاً ، وساروا في طريقهم بكل ثقة وعزم وجعلوا من أنفسهم دروعاً واقية وحصوناً تحمي هذه اللغة السامية من نواب الدهر . وقد عرفنا - فيما تقدم - أن بعض الأسر المسلمة عزَّ عليها أن تهان في بلادها فتجسَّمت الصواب وفرت إلى تركيا وسوريا ومصر وغيرها من بلدان الشرق لتضمن البقاء لدينها وافتها .

وقد خُدع كثير من أبناء الجزائر بهذه المكائد المدبرة للغة وطومها وآدابها فدلَّقوا إلى المدارس الفرنسية ليصبحوا فيما بعد عالمة على بلادهم وأرضهم ، يثبِّطون المزائم ، ويؤننون بكل ما تطيه عليهم فرنسا من مشروعات تخدم مصلحتها على حسابهم وإخوانهم الجزائريين ، فأدى انسياقهم وراءها إلى أن يصبح التفاهم بالمربية بينهم متعذراً ، بل وصل التأثير إلى نسبة كبيرة جداً من سكان الجزائر ، وصار من يتكلم بالمربية إنما يتكلم ببقايا بميدة كل البعد عن اللغة العربية الفصحى . (١)

وهنا نتبين فضل جمعية العلماء على اللغة حيث لم تتخذ غيرها وسيلة لتسليط تعاليمها أو نشر آرائها ونشوراتها ، وجعلتها لغة المدرسة والصحافة والنادي ، بل اجترتها وسيلة التخاطب بين مؤيدي الجمعية وأفرادها ، واستبعدت جميع اللهجات العربية الجزائرية فضلاً عن اللغة الفرنسية الدخيلة .

تخريج العلماء والشعراء والخطباء والمرشدين

بعد مرور قرن من الزمان على استثمار الجزائر ، برزت جمعية العلماء إلى الوجود فكان عليها أن تصلح ما أفسده المستعمر خلال هذا القرن ، وترد ما أخذ ، فتنهض بالشعب من غفوته الطويلة لينال حقه في الحياة والحرية والاستقلال . ولكن الجهل

(١) الجزائر أرض اللهب والدم لمحمد عودة وآخرين ، ص ٨٩ .

المخيم ، والواقع المرير يقربان اليأس ويبعدان الأمل عن أراد أن ينفذ غبار
الذلّ والخنوع عن الرؤوس المطأطئة لسيّانها . وصدق محمد عبده حيث قال :
" إن إيجاد أمة من العدم أهون من إصلاح هذه الأمم " .

إلا أن الجمعية لم تعبأ بهذه العقبات ، ولم تثن عزيبتها تلك العراقيل . بل قامت
- بكل جد ونشاط - بفتح المدارس ، ومقد الندوات ، وإلقاء الدروس والمحاضرات
والوعظ في المساجد والأماكن العامة ، تحثه يقول الشاعر العربي :

إذا الله أحيأ أمة لن يرتدها إلى الموت قهّار ولا تجبر

وأخذت تشحن طاقتها وتجمع قدراتها لتخفف عن هذا الشعب الجاهل بعض ما
يعاني ، ولتسير به قدماً إلى حياة أفضل ، وقد حقق الله لها ما أرادت ، فظهرت
النتائج تبشر بالخير ، وهذا ما نلمسه في قول (١) محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله -
" ورأيت بمينيّ النتائج التي حصل عليها أبناء الشعب الجزائري في بضع سنوات من
تعليم ابن باديس ، واحتقدت من ذلك اليوم أن هذه الحركة الملمية المباركة لها
ما بعدها ، وأن هذه الخطوة المسددة التي خطاها ابن باديس هي حجر الأساس
في نهضة عربية في الجزائر ، ولمست ببديّ آثار الإخلاص في أعمال الرجال . ورأيت
شباناً من تخرجوا على يد هذا الرجل وقد أصبحوا ينظمون الشعر العربي بلغة
فصيحة ، وتركيب عربي حرّ ، ومعان بليغة ، وموضوعات منتزعة من صميم حياة الأمة ،
وأوصاف رائمة في المجتمع الجزائري ، وتشريح لأدوائه . ورأيت جماعة أخرى من أولئك
التلامذة وقد أصبحوا يحبرون المقالات البديعة في الصحف ، فلا يقصرون عن أمثالهم
من إخوانهم في الشرق العربي ، وآخرين يحتلون المنابر ، فيحاضرون في الموضوعات
الدينية والاجتماعية ، فيرتجلون القول البليغ المؤثر والوصف الجامع ، ويصفون الدواء
الشافى بالقول البليغ " .

(١) مجلة العربي ، العدد (١٢٠) ، ص ١٢٥ .

ثم يعرض الشيخ الإبراهيمي للطريقة التي تتبعها الجمعية في تخريج هؤلاء الشباب فيقول : " فملى أبنائنا أن يصححوا إنشاءهم على أساتذتهم ومعلميهم قبل أن يبرزوا إلى ميدان القلم والأدب وهم عَزَلٌ من سلاحه . وما يمنعمهم - حفظهم الله - أن يكتروا من مطالعة أمهات الأدب وآثار المجيدين من الكتاب والشعراء قديماً وحديثاً ، حتى يروّضوا عقولهم ثم أقلامهم على خير أساليب العرب ، ويتجنبوا كل سخيّف من التعابير والألفاظ التي يرفضها الذوق الراقي ، والأسلوب العربي الأصيل " .

وقد كانت صلة الجمعية وتأثرها بالشرق قويين ، فهي تمدُّ من حركات الإحياء السلفي التي انتشرت في العالم الإسلامي منذ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله . وقد كان التخطيط لهذه الجمعية - أول ما بدأ - في المدينة المنورة . كذلك فإن رجالها قد استقوا جُلَّ علومهم من الشرق الإسلامي ؛ فالشيخ عبد الحميد ابن باديس أكمل تعليمه بالرحلة في بلاد الشرق العربي ، والشيخ الطيب المقبي تلقى تعليمه بالحجاز فاتصل اتصالاً مباشراً بالحركة السلفية في الجزيرة العربية وعمل زمناً مع جلالة المففور له " عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود " . أما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فقد مكث مدة طويلة في الحجاز ، وتلقى تعليمه الديني في دمشق (١) ، وهناك مؤثر آخر وهو أولئك الدعاة المسلمون أمثال محمد عبده ، ورشيد رضا ، وجمال الدين الأفغاني ، وغيرهم ممن كان لكلماتهم وآرائهم التأثير الكبير على ابن باديس وأصحابه . (٢)

وقد أنجبت الجمعية ثلة من الشباب الواعي المثقف ، راح ينشر آراءه الإسلامية وأفكاره السليمة ، ويدافع - بكل قوة - عن هذه الجمعية ومبادئها الإصلاحية ، ويبازر - بكل جرأة - أعداءها والخارجين عليها ، فهو يرى فيها الأمل ، ويعلق عليها الرجاء لتخليص شعب طالما أوهنته أغلاله ، وأذله أسر أعدائه .

(١) قال الشيخ الرئيس ، لمؤلفه محمد الطاهر فضلاً ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٢) المغرب العربي لصالح المقاد ، ص ٣١٨-٣١٩ .

" عقد الندوات "

لقد هال رجال الجمعية أن يروا أندية القمار واللُّهُو والخمر والدُّعارة منتشرة في البلاد بشكل مريع ، فعرفوا هدف المستعمر من وراء هذه السياسة التي تنخر الشعب دون أن يتنبه لخطورتها ، وعمدوا إلى سياسة مضادة لسياسته ، وساروا على خط مصادم لخطه ، فاهتمت الجمعية بإقامة النوادي والأمكنة التي تتيح اللقاء بين أبناء الجزائر الحقيقيين من شباب وغير شباب ، يسمعون العلم ، ويذكِّرون بالحياة والحرية والكرامة ، ويكشف بعضهم لبعض عن ذات نفسه ، ويفضي إليه بما يرى ويعرف . وقد انتشرت هذه النوادي في المدن والقرى الجزائرية حتى أصبحت تمتد بالمشرات ثم بالمئات ، ولم تترك الجمعية الجاليات الجزائرية في فرنسا ، بل أسست كثيراً من النوادي في " باريس " و " مرسيليا " (١) وصار العمال والطُّلاب وغيرهم من الجزائريين يترددون عليها ويشاركون فيها ، والجمعية إنما تهدف من وراء ذلك إلى أن يبقى هؤلاء المهاجرون على عروبتهم وأن يستمروا على دينهم ، فيكونوا بعد عودتهم إلى بلادهم دعاة لها في شتى أنحاء الجزائر .

ويتكلم محمد المبارك عن نوادي الجمعية في فرنسا فيقول (٢)

" وقد حضرت الكثير من اجتماعاتها في (باريس) حينما كنت طالباً في جامعتها ما بين (١٩٣٥ م و ١٩٣٨ م) ، وكان عدد هذه النوادي التي يتسع كل منها لآلاف المستممين ثمانية ، وكان من قادة هذه الحركة المجاهدان : الشيخ الفضيل الورتلاني ، والشيخ سعيد الصالحي "

ومهمة هذه النوادي - عموماً - هي أن تكون مكاناً لإلقاء المحاضرات والمواعظ التي تفتح الآفاق أمام روادها ، وتخدم أغراض الجمعية ، وتمكن الناشئة من ممارسة الخطابة ومواجهة الجمهور وفن القيادة .

(١) المغرب العربي لصالح العقاد ، ص ٣٢١ . * مجلة المجتمع الكويتية ، العدد

١٤٣ ، ص ١٨ .

(٢) مجلة حضارة الاسلام ، العدد الثاني ، السنة السادسة ، ص ٢٢ .

ولناخذ " نادى الترقى " كنموذج لهذه الأندية، فهذا النادي رغم تأسيسه قبل الجمعية - حيث تأسس سنة ١٩٢٦م (١) - فإنه ظل قائماً إلى ما بعد نشأتها، فلم تبخل عليه بالمحاضرة والاجتماعات، بل لعلها أولته اهتماماً أكبر حين جعله ابن باديس وأصحابه مجالاً لإبراز نشاطهم وبتدعوتهم وتنظيم صفوفهم، واجتذاب النخبة المفكرة إليهم من خلاله، وقد كان من خطبائه الأستاذ أحمد توفيق المدني وكان شعاره في جميع محاضراته " الإسلام ديننا، والجزائر وطننا، والمربية لغتنا ". وكان منهم الشيخ الطيب العقبي، وكان يحاضر به كل عشية يوم أحد في آداب الدين وتماليمة. كما كان كثير من الشبان الذين تخرجوا من مدارس ابن باديس يلقون المحاضرات والخطب والأشعار في هذا النادي، ويمرض له الأستاذ أحمد توفيق المدني فيقول عنه: (٢) " لم يكن الجزائريون يعرفون الاجتماعات منذ الاحتلال الفرنسي، وكانت قوانين " الانديجيا " تحرم الاجتماعات، فكانت كل الحركات الجزائرية تتسم بقلّة النظام داخل القطر الجزائري، إلى أن وفقنا الله لوضع معقل بعاصمة القطر الجزائري، كان له تأثيره العظيم على الحياتين: السياسية والاجتماعية وذلك هو نادى الترقى الذي تمكنا من تأسيسه بعد جهود عظيمة في أحسن موقع من عاصمة الجزائر. فكانت قاعاته الفسيحة تجمع النخبة المفكرة كلها، سواء بالعاصمة أم بداخل البلاد، وكانت المحاضرات والسامرات والحفلات الكبرى تتوالى فيه، ويقبل الناس عليها إقبالاً عظيماً".

ولن ننسى " نادى الاتحاد " بقسنطينة (٣)، والذي افتتح في السادس عشر من شهر يولييه سنة (١٩٣٢م)، فقد كان يوم افتتاحه يوماً مشهوداً، بما اجتمع فيه من الشخصيات، وما ألقى فيه من الخطب، وما أنشد فيه من الشعر. فكان من خطبائه الأستاذ عبد الحميد بن باديس، والأستاذ مبارك بن محمد الميلي، والأستاذ المرعي ابن بلقاسم التبسي، والأستاذ محمد البشير الإبراهيمي، وكان شاعر الحفل هو شاعر قسنطينة: أبولبينة الخوجه.

(١) هذه هي الجزائر، لأحمد توفيق المدني، ص ١٦٥، ص ٤١.
(٢) جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر لمحمد طه الحاجري، ص ١٢٩-١٣٦.

وحين شعرت الحكومة بخطر هذه الأندية سنت لها قوانين التمييز ، فمنعت بيع جميع المشروبات فيها حتى القهوة والشاي اللذين هما مصدر إيرادها واشترطت أن يكون النادي مستكماً لشروط صحية وغير صحية لا تتوفر إلا في قصر الحاكم العام . ولكن الجمعية لم تنمياً بهذه القوانين الجائرة ، واستمرت ترعى هذه النوادي ، وتبعت من خلالها النور والهدى ، رغم ملاحقة الاستعمار لها وتضييقه عليها . (١)

إصدار الصحف والمجلات

الصحافة لسان الأمة المعبّر عن واقعها وأحاسيسها ، والميزان القويم لمدى ثقافتها ونهضتها ، وهي بُعد المنظار المقرب الذي نرى من خلاله أبعاد التطور والتفكير لهذه الأمة أو تلك .

وقد عرف المستعمر هذه الحقيقة فأصدر بعد دخوله أرض البلاد الصحف الناطقة بالفرنسية ، وأعطاهم مطلق الحرية مادامت في ركابه ، ومنع دخول الصحف العربية إلى الجزائر إلا الحيادية أو الموالية .

ولما اشتدت الثورة الفكرية بعد قيام جمعية العلماء سمح المستعمر - مضطراً - لبعض الصحف العربية بالصدور ، ولكنه وضع المراقيل وأقام العثرات في طريقها ، وأنشأ إلى جانبها صحفاً عربية مأجورة ، بعضها يطبع في الجزائر ، والبعض الآخر يطبع في فرنسا نفسها ، وأخذ يوزعها على الجزائريين مجاناً ، ومن بين هذه الصحف جريدة تدعى " الحقائق " ، تصدر باللغة العربية العامية ، ويطلع منها مائة ألف نسخة توزعها الحكومة في السهل والجبل ، ويقول أحد الفرنسيين إن ضباط الجيش يجبرون الناس على أخذ هذه الجريدة ، فيأخذونها مضطرين ولا يقرؤونها . وليست هذه الجريدة هي الوحيدة من نوعها ، فهناك جرائد أخرى من مثل " بلادي " و " الجزائر " و " المناظر " و " البرق " و " المستقبل " وغيرها من صحف الاستعمار العربية . (٢)

(١) الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني ، ص ١٤١ . * قال الشيخ الرئيس لمحمد الطاهر

فضلاء ، ج ١ ، ص ٣٤٩ .

(٢) الجزائر العربية ، لاحسان حقي ، ص ١٤٣ وما بعدها .

ومن هذا كان اهتمام جمعية العلماء بالصحافة بالفأ، إذ كانت وسيلتها الأولى إلى تكوين رأي عام حول مبادئها، وكانت أدواتها في رد الشبهة ومناقشة الاعتراض، كما كانت سبباً قوياً في تمكين اللغة العربية، والاحتفاظ بها لفة حيّة قادرة على التعبير عما في نفوس أصحابها، وقد جعلتها الجمعية - كذلك - معرضاً لأعمال الناشئة، فتباروا في تحرير المقالات لها .

وقد كان عبد الحميد بن باديس قبل إنشاء الجمعية يصدر جريدة " المنتقد " (١) التي يدل اسمها على معنى النقد، وهو ما يخشاه المستعمر وأعدائه فيقاومونه بتلك العبارة المعروفة: " أعتقد ولا تنتقد "، وكان شعار هذه الجريدة صريحاً وخطيراً: " الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء "، فلما رأّت الحكومة خطر هذه الجريدة على بقائها أمرت بإغلاقها بعد أن صدر منها ثمانية عشر عدداً (٢)، فلم يؤثر ذلك على عزيمة الشيخ ابن باديس، حيث أسس جريدة " الشهاب " (٣) سنة ١٩٢٤ م، واستمرت تصب جام غضبها على المستعمر وعملائه حتى قيام الثورة، وقد تحولت سنة ١٩٢٩ م إلى مجلة شهرية . وقد تقدم أن لغة الصحافة وجميع المطبوعات العربية غير مرغوب فيها وتعتبر لفة أجنبية، يعاقب كل من يعمل على نشرها أو استعمالها كما يعاقب بائع المخدرات أو مزيف النقود، ومع ذلك فقد استمرت الجمعية في إصدار صحفها بالعربية الفصحى، واستمرت الحكومة - كذلك - تعطلها واحدة تلو الأخرى (٤). ومن هذه الصحف " صحيفة السنة " التي تأسست سنة ١٩٢٣ م فمنعتها الحكومة فخلقتها جريدة " الشريعة " في العام نفسه، وفيه أيضاً استشهدت " الشريعة " فخلقتها

-
- (١) قال الشيخ الرئيس، لمؤلفه محمد الطاهر فضلاً، ج ١، ص ١٧١ .
(٢) قال الشيخ الرئيس، لمؤلفه محمد الطاهر فضلاً، ج ١، ص ٨٠ .
(٣) الأديب الجزائري المعاصر، لسعاد محمد خضر، ص ٥٢ . * جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر لمحمد طه الحاجري، ص ١٢-١٦ . * المغرب العربي لصلاح العقاد، ص ٣٢٠ . ومراجع أخرى .
(٤) الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني، ص ١٤٢ .

جريدة " السراط " (١) فمنعتها الحكومة سنة ١٩٣٤ م . وبعد ذلك أسست الجمعية
جريدة " البصائر " (٢) سنة ١٩٣٥ م ، واستمرت إلى قيام الثورة في أول نوفمبر سنة
١٩٥٤ م . وهناك جريدة أخرى أسسها الشيخ الطيب العقبي في " بسكره " سنة
١٩٢٧ م تدعى "الإصلاح" (٣) . كما أنشأ محمد الأمين العمودي جريدة أخرى باسم
" الدفاع " وكانت تصدر باللغة الفرنسية ،

وقد كانت هذه الصحف والمجلات مفتوحة لكل من أراد أن يشارك فيها بمقال
أو قصيدة أو غير ذلك من الأمور النافعة . وقد تطرح بعض هذه الصحف مسابقة في تأليف ^{مقالة}
أو نظم قصيدة لتدفع الشعب إلى الاستزادة من مناهل الثقافة الإسلامية وتحثه على
البحث والدرس ، وتورده على مناهل الأقدمين فيفتخر من تراثهم الثمين ، وهذا
جريدة " الشهاب " في العدد (١٢٨) تجرى مسابقة في كتابة مقال في موضوع
" كيف يكون إصلاحنا ؟ " وكانت الجائزة مائتي ألف فرنك . وكذلك فإن جريدة " المنتقد "
قد أجرت مسابقة في نظم قصيدة رثاء لرشيد الخيال الشهيد الجزائري ، وخصصت
لذلك جائزة سخية (٤) فتسابق الشعراء إلى رثائه وتنافسوا على بكائه كما سنرى في
الصفحات التالية .

وما تقدم نرى أن صحافة الجمعية كانت لسان الشباب الجزائري الناهض ، وأنها
وسيلتهم لخوض معترك السياسة ، وطريقتهم المثلى لبث الوعي ونشر الثقافة بسين
أفراد الأمة ، كذلك نرى أن بينها وبين اللغة ارتباط عميق ، وأن صلتها بالأدب وثيقة .
وقد رسمت الجمعية الطريق لمن أراد أن يخوض غمار الصحافة : فعليه أن يتسلح بالملم
الكافي والاطلاع الواسع وأن يقف على مآثر الأجداد فهو السبيل إلى تنمية الطُّكَّة
وصقل العقل والذهن ، يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله - :

١) قال الشيخ الرئيس ، لمؤلفه محمد الطاهر فضلاً ، ج ١ ، ص ٥٦ .
٢) الأدب الجزائري المعاصر ، لسعاد محمد خضر ، ص ٥٢ . * الجزائر الثائرة
للفضيل الورتاني ، ص ١٥٤ . * المغرب العربي ، لصالح المقاد ، ص ٣٢٠ .
٣) الصحافة العربية ، لأديب مروه ، ص ٣٩٥ .
٤) شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، لمحمد الهادي الزاهري ، ج ١ ، ص ١٢-٢٥ .

" إن للنظم أمانة يجب أداؤها فمن عجز عن مراعاتها وحفظها حين يكتب ، فحقه أن ينحى النظم عن أنامله ويريح القراء من أباطيله " (١).

ولعل الدليل الأكبر على أهمية صحف الجمعية وتأثيرها في اللغة والأدب، أن المستمرته إلى خطرها فأصدر أمراً استبدادياً على لسان الحاكم العام يقضي بتمطيل كل صحيفة تصدرها جمعية العلماء مسبقاً قبل ظهورها رغم مخالفة ذلك للقانون . إلا أن ذلك لم يزد الجمعية إلا إصراراً على موقفها ، واستمرت تفدّي الشعب الظمان بلبان النور والمعرفة والثقافة. (٢)

* * * * *

(١) مجلة العربي ، العدد (١٢٠) ، ص ١٢٥ .

(٢) الجزائر الثائرة للفضيل الوتلائي ص ١٤٢ .

ألوان من شعر رجال الجمعية

نعود مرة أخرى إلى رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لننظِّب الطرف في نتاجهم الشعري وننمِّع العين بما خلفوا من سحر اللفظ وباهر المعنى . فتراهم قد خاضوا عباب أغراض شعرية عديدة ، ولم يكفوا بتلك الأغراض التي طرقها غيرهم من أدباء الشعوب المستقلة ، فواقمهم المرير يحتم عليهم الدخول من أبواب مهجورة إلا لدى فئة معينة من الأدباء .

وقد رأيت أن أقسم شعرهم إلى عدة أغراض ، وأن أدخل كل مجموعة أبيات تحت الفرض الذي يناسبها . وقد بدأت بالكلام عن هذه الأغراض حسب أهميتها ، وراعى ذلك الترتيب في الكلام عنها . وقد خرجت من اطلاعي على هذا النثر المسير من أعمار بعض رجال الجمعية بالأغراض التالية :

- (١) الاستعمار .
- (٢) أعوان الاستعمار .
- (٣) قوة الإيمان بالله .
- (٤) التوجيه الاجتماعي .
- (٥) الإسلام .
- (٦) اللغة والأدب .
- (٧) التعليم .
- (٨) الصحافة .
- (٩) الوحدة .
- (١٠) التحريض على الثورة .
- (١١) الفخر .
- (١٢) المدح .
- (١٣) الزهد .
- (١٤) الوصف .
- (١٥) الحكمة .
- (١٦) الفسزل .

وزيادة على هذه الأغراض سأعرض بعض الصور الأدبية الرائعة التي جاءت عرضاً في بعض القصائد . ولن يفوتني أن أقول إن كل ما جاء في هذا البحث إنما هو قطرة من محيط عظيم ، فالجزائر كلها - كانت في ذلك الوقت - شملة متقدة بالأحاسيس والآمال التي يصورها أصحابها بطرق عديدة : بالشعر ، والنثر ، والقصة ، وباللغة العربية ، واللغة الفرنسية ، واللهجات المحلية .

وسلاحظ القارئ العزيز أنني اكتفيت عند التعليق على الأبيات بذكر عنوان القصيدة، أو تفسير بعض الكلمات الغريبة، أو ما شابه ذلك .
وقد رجعت في الأشعار التالية إلى أربعة مراجع هي : كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر لمحمد الهادي الزاهري ، وكتاب : ابن باديس حياته وآثاره ، لعمار الطالبي ، وكتاب : تاريخ الأدب الجزائري ، لمحمد الطمار ، ومجلة حضارة الإسلام الممدد الثاني - السنة السادسة .

الاستعمار

لعل هذا الغرض يعتبر البوابة الرئيسية التي دخل منها فكرو الجزائر إلى قلوب شعب الجزائر ليظلموا فيها الحق والكراهية للمستعمر، وهي التي خرج منها هؤلاء المفكرون فاجتازوا الحدود إلى إخوانهم العرب والمسلمين فسي فجاج الرقعة الإسلامية ليكسبوا عطفهم ومؤازرتهم لهذا الشعب المظلوم ضد فزاز ظالم .

ولنستمع إلى أنين الشاعر محمد الأمين الممودي في قصيدته " الشكر للنعمى يفرها " حيث يقول :

ما ساءني إلا انحطاطي في الوري^١ والانحطاط مذلة وهوان^٢

ويوضح أكثر فيعرض صورة واضحة لهذا الانحطاط في قصيدته " نار عصابة التلهاب " حيث يتكلم عن تنكر شائخه ومدرسيه وأصحابه له نظراً لقلّة المال في يده، فيقول :

غفت أحوال كل مدرسة من قلّ مالي وخانني أصحابي
ورماني مشائخي بدنايما وأصور يجلّ عنها اتسايي
كان للإمتحان قبلاً دخولي كدخول الإمام للمحراب
صار لي الإمتحان أصعب من يو (م) م لقاء العدا ويوم الحساب
لا أرى فيه منصفاً يظهر الحق (م) ق جلياً أو يهتدي للصواب

وها هو في نفس القصيدة المليئة بالحزن والشكوى يصف حياته العامة بقوله :

في قسنطينة قضيت شبابي	في عناء ومحنة وعذاب
وخطوب تحلّ بعد خطوب	ومصاب يجيء بعد مصاب
حزني دائم بها مستمر	وسروري يمرّ مر السحاب
كفروض الطويل قد طال قبضي	وكبعض البحور دام اقتضائي
كاسة طوها الحوادث شربي	وهموم تجيء من كل باب
ذاك ألكي لا هذا الأكل ألكي	لا ولا هذا الشراب شرابي

ولكن الشاعر يعرف أنه ليس وحيداً فـ، المذاب ، لأن الاستعمار استعمل جميع الوسائل التي تودي بالجزائري وتحطمه ، فيصور لنا رجلاً جزائرياً انساق خلف شهواته حين اغترّ بمفريات المستعمر من لعب القمار وشرب الخمر وتتبع الباغيات وغير ذلك . يقول في رواية زوجين يتحاكمان إلى القاضي :

كان ذا مال وبالإسـ (م) راف قد أُلّف ماله
شغله حب بنات الـ (م) لهو من عود وآلـه
وتعاطى لعباً ضرب الـ (م) بنط * والكاس أصلـه

ويختتم الشاعر هذه الرواية بالنهاية الحتمية، وهي الفراق بين الزوجين ، تلك النهاية التي يتوق إليها المستعمر ، لأن هدفه الأول هو تفكيك أواصر المجتمع الجزائري ، وهذا كيانه ، لذلك كانت الأخلاق صرحاً شهماً يجب هدمه ليتسنى لهذا الدخيل أن يسرح ويسرح في البلاد كيفما يريد ، وصدق الشاعر حين قال :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

فلا غرابة إذن أن تشكو الجزائر من فساد الأخلاق على لسان شاعرها : محمد السعيد الزاهري ، ومع فساد الأخلاق الجهل والفرقة اللذان زرعهما المستعمر بين أفراد الأمة وظل يتعهدهما ويرعاهما . يقول هذا الشاعر : (١)

فيا نشأنا هذي بلادك تششتكي إلى الله من شؤم الجدود العواشير
وتشكو من الأخلاق لما فسادها فشا حتى ما بين البنين الأصغر (١)
وتشكو من الجهل الذي لم يزل بها يعض عليها بالنيوب الكواشير
وتشكو من القوم الذين قضا بها زماناً ولكن في قبيح التنافر

ويتساءل الشاعر في يأس عن صلاح هذه الأمة فيقول : (٢)

هيئات نبلغ مأملاً من دهرنا مادامت الأخلاق ذات فساد ؟
فلرب عاتلة تبیت على الطوى وأبوهم في غيِّه تمادي
وأخي سماح في الخبائث مسرف لكنه في البر غير جواد
هيئات تصلح أمة ذي حالها حتى ينادي للحساب منادي

ثم يعمد ليعطينا صورة صادقة لشعبه المنكوب فيقول : (٣)

لقد كسر الناس القيود وحطموا ونحن بقينا في قيود وأغلال
بقينا بأغلال من الفقر لم يكن ليكرها إلا تكسب أموال
وقد لبس الناس العلوم جديدة ونحن لبسناها من الخلق البالي
وقد لبس الناس الفخار مطارفاً ونحن بقينا في جرود وأسمال
وأصبح هذا الناس أحياء كهم ونحن بقينا اليوم في زى تشال

ويأتي الشاعر " أبو اليقظان " ليدلي بدلوه في تبیان حظ الجزائر العاشر فيقول : (٤)

أما البلاد الراقيات فحظها ال (م) حرمان والخسران والويلات
مثل الجزائر مقتل الإحساس مجد (م) زرة الحياة فحظها الحسرات
في عصر توزيع الحياة على بني ال (م) إنسان نابت أهلها ضربات
سقيت بكل مخدر أعصابهم فتراكت عنهم به سكرات

(١) هذا الشطر مختل الوزن ، والأفضل أن يقول : فشاني كيار القوم بل في الأصغر .

(٢) ويح الجزائر .

(٣) الجزائر تحيي الجزائر .

(٤) الصحافة .

أما الشاعر محمد الهادي الزاهري فيصف هذه النكبات المتوالية على الشعب الجزائري
الأعزل ، ويرسم لنا لوحة شاكية لآلاف البشر التي شردها طوفان " سد فرقوق " فيقول (١)

رزايا الدهر ليس لها مـررٌ	وليس لنا من المقـدور بـدٌ
رزايا تـمـتري وطني تـبـسـاعاً	وليس لها مـدى الأيـام حـدٌ
تقاذفت الهموم بها فكانت	شظاياها الوبيـلة لا تـمـدٌ
بلادي ما توخاها قـضـاء	وليس لهن كالأقـدار ضـدٌ
توالى الشؤم يطؤها نـكـالاً	وجلبها من الأوقات بـرـدٌ
رماها الأغلبون بكل رزء	فظمـع فيه للأفـكار وأد
وفيه لموطني وسـاكنيه (٢)	قواصف لا يماثلهن رعد
لهم فينا فعائل لو أخذنا	نمـددها استـشـاط المسـتـبـد
فمسبك من مظاهرها حياة	عليها الحرّ في دنياه عمد
سُلبنا باقياً من سؤر عيش	وهل يبقى على الإقلال فـرد ؟
رياح الموت هوج في خطاها	فلا يدرى الحرير متى يُقـد

ويحاول الشاعر محمد العميد أن يوقف الدهر فيشكو منه ويشكو إليه ويسأله ، ولكن
الدهر لا يصفى إليه ، بل يستخفه ويسخر منه ، فيكرر الشاعر شكواه مرة أخرى
من هذا الدهر الظالم التعمنت (٣)

علام يظل دهرك مسـتـرياً	تُساـله ويأبى أن يجيبـاً ؟
ويغضي عن شكاتك مسـتـخفاً	كأنك في شكاتك لن تصيبـاً
فيا لله من دهر تغافـى	عن الهوى ولم يبصر قريبـاً
ويا لله من دهر تجافـى	عن الذكرى وأكبر أن ينبـاً

(١) نكبة الجزائر بطوفان سد فرقوق .
(٢) هذا الشطر مختل الوزن والافضل أن يقول : وفيه لموطني ولساكنيه .
(٣) في ذمة التاريخ .

والدهر دائماً سبب الشكوى ، وما أكره شكاته ، ولعل الشاعر الجزائري إذا ذكر الدهر فإنما يقصد به دولة الاستعمار الظالمة ، لأنها تعودت أن تذيب الشعب الجزائري أطباقاً متنوعة من المظالم وكؤوساً طوينة من العذاب . يقول الشاعر محمد السعيد الزاهري: (١)

وجائر ما توخى العدل ساحتَه يدعى أخا عضد بالحق مشدود
تلك الليالي ترينا كل آونة ما لم يكن عندنا يوماً بمهمود
كأننا الدهر طوفان ونحن على سفينة ما استوت يوماً على الجودي
ويؤيده الشيخ الطيب المقيبي فيبدي استياءه للوضع الذي وجد عليه أمته بعد أن رجع من هجرته إلى المدينة المنورة ، فقد أقام هذا الشاعر في بلاده المتوترة خمس سنوات لم يرف فيها ما يفرح القلب أو يسرّ الخاطر (٢)

إن خمساً من السنين قضينا (م) ها بأرض الجزائر المحرومة
لسنين من العذاب طوال حزنات لأهلها مشؤومة
أطل الفكر في الجزائر وانظر هل ترى أمة الهدى المعلومه ؟
بل ترى أمة تهان وتخزى وهي في الحق دائماً مخصومة
أمة جهلت كثيراً وظننت أنها في الضلال غير طومومه

لكن المسؤول عن ذلك كما يقول أبو اليقظان هو فرنسا ، فهي الدهر الذي اشتكى منه محمد العيد ومحمد السعيد . وقد كان أبو اليقظان أكر جراً حيث وضع النقط على حروفها ، وجابه فرنسا وأدانها فاعتبرها مسؤولة عن هذا الوضع المؤلم: (٣)

إن أهل الغرب خطوا خطة لبني الشرق بدت منها خفايا
أرسلوا الرسل على تمدينهم قوة النار وأهـمـوال الشظايا

(١) الناس والدهر .

(٢) خمسة أعوام تمر بعد الرجوع الى أرض الوطن .

(٣) مدارج الخلاص والتحرير .

وبأيدي هادي باســـــــــــــــــتيلهم هدموا في الشرق هاتيك البقايا
حرروا الزنج ولكن ســـــــــــــــــخروا أمم الشرق عبداً وسببايا
لا تتبه يا غرب فالظلم لـــــــــــــــــه أمد إن حل حلتك بلايا

وإن سأل سائل عما يستفيدة المستعمر من نهجه هذا ، فإن الشيخ الطيب المعقبي يتكلم بالجواب : (١)

غاض العدا مجدنا قدماً وقد عطوا لنيل ما زرع الآباء تلقينا
حتى سقونا حميماً لا مساغ له وجرعوا الكل زقوماً وفسلينا
بالأمس كنا طوكاً في عروشهم واليوم صار قضي الدار يقصينا

نعود بعد ذلك إلى الشاعر محمد العيد وأسطره الكونية لنستزيد منه فصلاً وصوراً
تضح بالمويل، وتدعو إلى الشفقة والرحمة ، يقول : (٢)

وأقرأ من آي الشقاوة أسطراً على صفحات الكون مرتسامات
فسطر: عيايل أمهم الطـــــــــــــــــوى عراة على لفح الأثير حفاة
وسطر: يتامى مرهقين تكبهم على جرف البلوى يد العشرات
وسطر: شيوخ كالأهله شـــــــــــــــــيب وهل شيبهم إلا نذير وفسااة ؟
وسطر: مشائم غرار أنلــــــــــــــــة يسامون بالأرزاء والنكبــــــــــــــــات
وفوقهم سطر من الخلق كـــــــــــــــــه جناة - لعمر الحق - فوق جناة

ويقول أيضاً :

فيا ويح الفقير يضيع جوعاً ولميس له من الأفـــــــــــــــــوام حسامي
يطوف على المزابل حيث يرجو فتات الخبز أو قطع العظام
ولولا الجوع لم ينبش قماماً ولم يشتق ، إلى ما في القمام

(١) رد التحية فرض .

(٢) أسطر الكون .

ثم نأتي إلى الرائد الثاني للنهضة الجزائرية الحديثة ، ذلكم هو الشيخ محمد
البشير الإبراهيمي الذي آلت له ذكرى يوم (٨ مايو ١٩٤٥ م) (١) ، فأطلق العنان
لقريحته الموتورة بذلك اليوم : (٢)

تحرز في الأحشا	نكرارك يا يوم
وحش تلا وحشا	إن أقبل القوم
شمس طلى مثلك	يا يوم لم تشرق
والملتجى مهلك	أل الضحى مفرق
والأهل في غفله	ربيع الحمى فيكما
طفلاً ولا طفله	لم يقف عافيكما
رهطاً من الشمس	فيك اعترت لّمه
أحيتهم أمس	فقتلوا أمّه
جأزوه بالكسر	سأقت لهم نصرا
فبات في الأسر	كمن فدى الأسرى
على شفا الممر	لهفي على هـاو (٣)
فخر للصدر	قد تله غـاو
قد غفرت أمه	لهفي على مرضع
إلا السقا أمه	ما خب أو أوضع
لم تسبح البـالا	يا يوم نكـراكما
بالليث ما صـالا	لو طاف سـراكما

(١) في هذا اليوم أقيمت الاحتفالات الكبيرة في كثير من بقاع الأرض ، بمناسبة انتصار الحلفاء ، فأراد الجزائريون مشاركة الفرنسيين في هذه الاحتفالات إلا أن المستعمر الذي تعود إذلال صاحب الأرض لم يتركه في يوم الفرحة الكبرى .
و حين اجتمعت آلاف الجزائريين في ساحة الاحتفال (ميدان الشهداء حالياً)
انقضت عليهم و هوش فرنسا الظالمة فحصدت منهم بالرشاشات والمدافع قرابة
(٤٥٠٠٠) سلم جزائري .

(٢) ذكرى يوم ٨ مايو ١٩٤٥ م .

(٣) الهاوي : هو الساقط على الأرض .

وطن ننسى أن نمرج على الشاعر محمد الهادي الزاهري لنرى ما في جمبته من صور
الظلم والاستبداد : (١)

هات ما قدمت من غير وشر
ليتأخى كيكبوا في الهاوية
عدد الرمل من الجوع انتهر
بين عينيك مئات عاربه
سئموا الدنيا ومن يسأم يذر
جثت هلكت احتوتها العاديه
هذه أسراب أطيار وقوع
لم تذرف في العظم من لحم طري
نازلات لم تغادر من صريع
غير مبقور الحشا والمنحبر

تلك هي حال الشعب المسكين التي فرضها عليه ضيفه الثقيل . إن المستعمر اللثيم
قد اتبع سياسة " التفجير والتجهيل " ضد شعب الجزائر ، ولم يكتف بذلك بل أخذ
يميب عليهم جهلهم وفقدهم ، فاتهمهم بالقصور والنقص ، والأبيات التالية لمحمد
الهادي الزاهري تشهد عليه وتدينه بذلك : (٢)

قل لمن لا يرى الأهالي شيئاً
إنهم في الخطوب أهل البدار
قل لمن يحسب الأناسي وحشاً
ثم يأتي بمديعة الجزار
إننا لم نكن وحوشاً ولكن
ذلك السائق المهيم ضاري
قل لمن أسدلوا الستار طينا
ثم عابوا غشاوة الأبصار
كم لمستعمر البلاد فضول
مئت من وراء ذاك الستار
ولقد أصاب هذا الشاعر حين قال : (٣)
في كل يوم عبرة وحوادث
تترى ولأحداث فينا مبتدع

(١) مأساة " وريده " ، وستأتي قصة هذه الفتاة .

(٢) اننا لم نكن وحوشا .

(٣) شباب تونس والجزائر .

ولنأخذ وصفاً آخر لهذه المسرحية الحزينة من الشيخ الطيب العقبي : (١)

كم قربوا من بعيد في وعودهم ولقنوا الكل من غيِّ أفانينا
كم أرهقونا وسيف البغي منصلت وأوسمونا هواناً من تجافينا

وهذه الفئة الاستغلالية ذات ضرر بالغ ، حيث استطاعت رغم قلتها بالنسبة للشعب المسلم في الجزائر أن تحيل النور الساطع إلى ظلمة دامية . ونعرف هذا إذا تلونا أبيات محمد الهادي الزاهري : (٢)

مئة لقتل مواهبي مرت على شمعي وشمعي لم يزل في وادي
مئة لو أن سوادها متفـرق ملأ العوالم كلها بسواد
ولو أنها مرت على (الرايوم) في أضوائه طمست ضياء المراد
سرنا على ظلماتها في وحشة يا ويلنا فيها من الإبعاد

ويرثي الشاعر محمد السعيد الزاهري لهذه البلاد حالها فيقول : (٣)

ويح الجزائر كم تمض على الجزا (٤) ثمر من حوادث يمترين شداد
كل الشعوب تبیت فيما تشستهي ويميش شمعي في ضنوا وسهاد
وهذه مدينة " تلسان " التي كانت طتقى الملماء وقبلة الأنظار تقع في أسر المدوّ
فيستبدل نهضتها بتأخر وازدهارها باندثار . يقول فيها الشاعر محمد الهادي
الزاهري : (٥)

هذي لمرك يا خلي تلسان فليهنأ القلب وتجرحه أشجان
تلك التي أشيع الراوي روايته منها وتاريخها تاج وعرفان
تلك التي قد توغى النحس ساحتها حتى تمادى خلال الدور ذئبان
كأنها وهي تحت الأسر هامدة دين من الله قد غطاه كهران

(١) برد التحية قرص .
(٢) أمل تطل في فؤاد حائر .
(٣) ويح الجزائر .
(٤) تلك المدينة كم دان الزمان لها .

إن هذه السياسة هي التي ترضى فرنسا ، ولن ترضى بغيرها بدلاً . فلماذا يسألها الشاعر محمد العيد أن تنيب وتراجع عنها في قوله :^(١)

فقل للقائمين على فرنسا أنيوا وارتلوا رأياً لبيبا
وقل للقائمين على فرنسا تمالوا فاشهدوا الخطب العجيبا

وأنتى لفرنسا أن تستجيب لهذا الشاعر أو غيره وهي تتعمد قهقرة شعب الجزائر وتتخذ التفرقة العنصرية سبيلاً إلى ذلك ، فتفرق بين الجزائري والفرنسي في الحقوق والواجبات ؟ والأدلة على هذه التفرقة كثيرة ، نأخذ منها تلك القصة التي نشرتها جريدة الجزائر وتتلخص فيما يأتي :

" رشيد الخيال رجل جزائري صميم ، حصلت بينه وبين رجل أسباني يدعى (فرنسو) -تجنس بالجنسية الفرنسية- ألفة شديدة ، نشأت ألفتها منذ الصغر حتى أنهما قضيا صباهما مما متحابين هيباً لم يكن الزمان ليطمع في إزالته من قلبيهما . قرأا في كتاب واحد إلى أن ترقيا إلى الكليات الكبرى . وكان أساتذتهما كبيراً ما يوهسون إليهما بمساواة فرنسا الفرنسي بالمصري ، فترعرا وانخرطا في الجندية فما راعه إلا (فرنسو) ارتقى إلى قائد حربي كبير ، ولم يزل هو في الدرجة الثالثة رغم تفوقه في المعارف واقتحامه المخاوف ، فاغتم لذلك ثم غادر الجندية مدافعاً عن حقوق بلاده حتى مات شهيد العدل والمساواة " (٢) . وقد اقترحت جريدة " المنتقصد " رثاء هذا الشهيد في مسابقة شعرية اشترك فيها الشاعر محمد العيد حيث قال : (٣)

نعم لك في الملا عمل مجيد ولكن ما جزاؤك يا رشيد ؟
قضيت على الصبا أسفاً وحرزناً كذلك ينتج الضغط الشديد
علام (فرنسو) يملوك كمبلاً وأنت لملته الكفو الوهيد ؟
ألم تك يا رشيد له شقيقاً زمان أبوكما العلم المفيد ؟
وكنت بجنبه في الحرب لما أمض قواكما الجهد الجهيد ؟

(١) في زمة التاريخ .

(٢) عن كتاب شعراء الجزائر .

(٣) رثاء رشيد .

حياتك كلها مأساة حسـزن يشيب لهول منظرها الوليد
وقفت عليك أشعاري عـطات بما أطلت لك الدهر العنيد
وإن تك قد قضيت العيش بؤسا فعند الله طالـمك السـعيد

كما شارك في رثاء الشيخ الطيب العقبي بقوله: (١)

مات الرشيد شهيد العلم مظلوما لم نقضه حقه إذ عاش محروما
رأيتـه في فراش الموت منطرحاً يقلب الطرف حتى مات مرحوما
يناشد الكل عدلاً ثم يسألهم عن المساواة لما بات مهزوما
بيكي وينمي سنيماً في دراسته ما كان أثناءها فوق السبق مذموما

والقصة الآتفة الذكر تهون إذا وضعنا بجانبها قصة الفتاة الجزائرية المفتـبصة
والتي يرويها الشاعر محمد الهادي الزاهري نشرّاً وشعراً فيقول :

" كانت (وريدة) فتاة جزائرية تلعب أمام المنزل ، تبلغ من العمر ثلاثة عشر
ربيعاً ، فما هي إلا عشية حتى فقدتها خالتها الكافلة لها . أما الخاطف فهو
دكتور فرنسي عظيم ، اختطف البنت وهي تلعب في (سانتوجين) قرب الجزائر في
١٣ جيليت ١٩٢٧ م . وذهب الفاصب بالفتاة إلى مقاطعة (الجورا) بفرنسا
وهو يعيش معها بكل اطمئنان ، ورغم محاولة ذويها والمحاميين عنها بردها إلا أن
هذه المحاولات قوبلت بالتجاهل " . (٢) ثم يردف متحدثاً ومصوراً حال خالتها فيقول : (٣)

هالها ما هال جمهور الشهود من صراع جنـدل الحق فـمات
والذي يحزن من بيت القصـيد أنهم همّوا بإنكار الفتاة
لم ذا يا أيها الظلم العتيـد ؟ لم تـزرى في البنين الأمهات ؟

(١) رثاء رشيد الخيال .

(٢) عن كتاب شعراء الجزائر .

(٣) مأساة وريده .

ويتحدث عن حال تلك الفتاة قائلاً: (١)
حادث لم تروه الأنبياء قط
يسرق الإنسي من بين الوسط
صرخت طالبة غير شطط
لا ولا فوضى الوهوش المهج
ظبية الحي وروح المهج
أمها . صرخة موشوق فجي

ليس غريباً - إذن - أن يستفيث الواعون من الشعب الجزائري بالصلحين في شتو
أقطار الأرض .

ولتكن خاتمة هذا الفرض صيحة ستفيث يرسلها الشاعر الطيب العقبي في قصيدته
" رد التحية فرض " :

بالله يا مبتغى الإصلاح إن عرضت لكم سوانح من فكر تواتينا
عرج طي قطرنا وانظر لحالته فحاله اليوم بين الناس تخزينا

* * * * *

(١) مأساة وريده .

أعوان الاستعمار

وما أدراك ما أعوان المستعمر ؟ إنهم أناس لا خلاق لهم في الدنيا ولا في الآخرة . أشخاص تنصلوا من دينهم وقوميتهم ، وتكروا لبلادهم وانساقوا حسب ما تطيه عليهم رغباتهم وأهوائهم الدنيوية ، فصاروا عبيداً لإنسان غريب عنهم وعن إخوانهم دماً ولساناً وروحاً . جاء إلى بلادهم بحجةٍ ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب . جاء ليحضرهم رغم تفوقهم عليه في التحضر فإذا به يذيقهم الهوان والمذلة ألواناً وأصنافاً .

وعلاؤه هؤلاء لا يسألون عن نتيجة انسياقهم خلفه ، ولا يتنبهون إلى ما في طريقهم من أشواك ستحيط بهم كما أحاطت بغيرهم ، فهم كما يقول الشاعر محمد الأمين الممودي : (١)

أسفي على قوم لهم دين وهم	عن دينهم في غفلة وذهول
صمّ ولو خاطبتهم ووعظتهم	بفصاحة الخنسا وفقه خليل
بكم إذا فرض الجوار عليهم	أمراً بمعروف وترك رذيل
عمي عن الآيات أعداء لمن	يبغى السلوك بهم لخير سبيل

فما الذي أصم هؤلاء وأبكمهم وأعماهم ؟ سيجيبنا الشاعر محمد السعيد الزاهري بأنه الأنانية والشعور بالنقص اللذين ترتب عليهما حب السيادة والمال : (٢)

وزعانف زعموا بأنـ (م)	نهم الضراغمة الأسود
ظنوا السيادة في اللهي	وبطولهن وبالجمود
أبصرتهم يتفاخرو (م)	ن على البرية بالجدود
شغفوا بتعبئة الجيو (م)	ب فأفرغوا فيها الجهود
فرايت فيهم ذا الجهها (م)	لـ سيداً وهم العبيد

(١) أمر دبر بليل .

(٢) الشمر الفحل .

ويتلو أوصافهم الشاعر محمد الهادي الزاهري فيجيد حين يقول : (١)

ومن الذين إذا ذكرت أظلمهم وزراً ذكرت الخاسر ابن الخاسر
من كل مكلوم الفؤاد ومفهم غرضاً بأخلاق الرجال مقامر
ومضل لم يدر وجه صوابه ومما نق ومفادر ومكابر
وماجر تخذ الفواية تجراً دون الهدى . أخسر به من تاجر

ولقد صدق فيما قال ، حيث أن هذه الفئة لا ترعوي ولا تسمع النصح . فإن حاول
عائل ردهم إلى الطريق السوي استنكروا عليه وعظه ، وظنوه كما يقول الشاعر
الطيب المعيني يوماً ينمق : (٢)

مات الرشيد شهيد العلم مظلوماً لم نقضه حقه إذ عاش محروماً
فتى لنا بلبلاً في روح عزتنا فظنه القوم من شؤم لهم يوماً

بل إن هذا الشاعر " الطيب " لم يسلم منهم ، إذ طعنوه بحرابهم المسمومة : (٣)

وإذا الزمان أراد حراً بالأذى تخذ اللثام لمبتفاه سلاها
كم راضي بنكاية فرددتسه وبهم لقد جرح الفؤاد جراحا

غير أن العاقل لا يهتم بأولئك السفلة ، فهم كالنفايات التنتنة التي تؤذى المسارة ،
ويجب ألا تكون حجر عثرة في سبيل السابل العازم . يقول الشاعر محمد الزاهري : (٤)

فلا يهملك ما في القوم من إحسن ومن أراجيف ذي إفك وتفنيـد
هم يحسدونك في فضل وفي أدب وغير ذي الفضل لم يكن يحسود (٥)

(١) ان الحياة هي الحظوظ .

(٢) رثاء رشيد الخيال .

(٣) من أبياته التي لا تحط عنوانا .

(٤) الناس والدهر .

(٥) هذا الشطر مختل الوزن والأفضل أن يقول :

ولم يكن غير ذي فضل يحسود .

قد أجمعوا لك أمرهم وجمعهم (١)
وديرُوا الكيد لكن كان كيدهم
والجمع إن كان ذا كيد لتبديد
على نحوهم كالطوق في الجيد

ويقول أيضاً : (٢)

إمض لحالك قدماً يا أبا الهمم
ولا يهتك ممن يحسدونك أن
في خدمة الشعب لا تتعب ولا تلم (٣)
لم يعرفوا لك من فضل ومن كرم
لولم يروك أبا نعيم لما حسدوا
علاك فالمرء محسود على النعم

ويؤيده أبو اليقظان بقوله : (٤)

لا تحفلن يا صاح عنهم لا تقم
إن أجمعوا فلكيدهم أو دبّروا
لكلامهم وصنعهم أوزاننا
فلضرمهم أو قاوصوا فسوانا
فلحتفهم أو هاجموا فمداننا
إن شحذوا فلنحرمهم أو عمقوا

ويقفو سبيلهم محمد الهادي الزاهري فينزه الشباب الواعي المتعلم عن أن يتأثر
بهذه الحفنة من المارقين في قوله : (٥)

هونتكم بالله شبان الحمى
أشبيبة النادي وفتيان الهدى
من كاشح أكدي وضمير ماكر
والمائلين بخاطري وناظر
أنتم مناط الشعب لا يلهيكم
سيرد الألى المشط جهودكم
بين البرية باللسان الشاكر

إن هذا الفريق الساخر كالمجموعة من الكلاب ، صنعها المستمر بيديه ، ثم جعلها
غصة في حلق كل مستفيث ، ولست أدعي السبق إلى هذا المعنى حيث أن الشاعر
محمد السعيد الزاهري فاز بذلك حين قال : (٦)

-
- (١) هذا الشطر مختل الوزن والأفضل أن يقول : قد أجمعوا أمرهم كيدا وجمعهم .
(٢) الإفراط .
(٣) تحتاج حركة الفعل في أول البيت إلى اشباع .
(٤) تهنئة بنفي .
(٥) ان الحياة هي الحظوظ .
(٦) الشعر الفحل .

قد يعتلي ذو حِطَّةٍ ما إن طيها من مزيد
والكلب منزله لدى الـ (م) إفرنج مرفوع بعيسد
ولرب رائمة البها تفر عن طلع نضيد
لثمت بمبسمها اللذيذ (م) إذ شوارب الكلب الطربيد

ولم يقف هؤلاء الشعراء مكتوفي الأيدي إزاء هذه الكلاب الإنسانية ، بل وقفوا
في وجوهها وناصبوها المدا . وها هو الشيخ الطيب المقبي يدعو عليها (١)

تبت يدا من سمى بالإفك في فثة تدعو إلى الخير ما انفكت على دأب

ونراه - كذلك - عندما يرثي زميله الشيخ "المكي بن عزوز" ويذكر مآثره ، لا ينسى
أن يشيد بجهاده ضد هؤلاء الخونة (٢)

خفافك عن قيل الخنا ودعاته قضوا لِمِداك الرزق أن يتخرموا
وكم صال صل منهم فقهرته بخر يراع إذ يراعك أرقم
لئن سر أعداء الإمام وفاته فقد ساءهم منه القضاء المحتم
وقد بشروا لو يعقون بثلها ولكنهم صموا عن الحق إذ عموا
فكم قام غي وجه الحسود مراغماً يذب ويردى الخصم لا يتلمثم
وقاوم جيش المارقين بعزمه وقد كان عند الحق لا يتجمم

أما الشاعر محمد العيد فإنه حين يربهم ينظر إليهم شزراً ، ويطلق لمقوله عنان
الفخر بمحاربتهم (٣)

وقافية أمست تمثل يوسفاً بما فيه من يمن وحسن صفات
خلعت عليها من شعوري مطارفاً وكللتها ما شئت من خطراتي
وقوم رموها في غيايات جههم وما كثر ما في الجب من هشرات

(١) من أبياته التي لا تحمل عنوانا .
(٢) أول مرتبة له في الشيخ المكي بن عزوز .
(٣) أسطر الكون .

أذقتهم كأساً من السم عطقاً وأوسعتهم طعناً بحدّ قناتسي
وقلت لهم : من يمش عن نفع قومه أقيض له جيشاً من الكلمات

وبالمقارنة بينهم وبين المخلصين من أبناء الوطن نجد الفرق الشاسع ، ونرى المهوة
الصميقة . وما دام تراث أبي اليقظان موجوداً فلن نكلف أنفسنا إلا بالإنصات
إليه وهو يقول : (١)

بشراكم بشراكم بشرانا خابوا وفزنا كلنا بمنانا
رُمنّا لهم ولنا الحياة سميدة لكن أرادوا الموت والحرمانا
شئنا لهم مجداً وعزاً بانخاً لكن رأوا إزلالنا وهواننا
قمنا لتنوير العقول وفكهنّا وأبوا لها الأنوار والعرفاننا
قصدوا الوقيعة والنكايه ضدنا فاستزلوا كلّ البلا عدواننا

ومقارنة أخرى من الشاعر محمد السعيد الزاهري بينهم وبين الأمير خالد الجزائري : (٢)

وشتان ما بين الأمير معارفاً وما بين من لم يعرف الدهر مكتبا
عجبت لمن يقضي الليالي ساهراً إلى رشاً عذب المراشف أشنبا
يباري لفرط الحمق من كان كادحاً يحاول من فوق السماكين منصباً
رعوا الله شعباً بالجزائر كما بدا شارق يهديه إلا تحجبنا
ولولا رعاغ يخذلون هُداتنه لما راح في نار الهوان مككبنا
له الله من شعب تحير رشده فأصبح عن نهج الهدى تنكبنا

ولا ينسى هذا الشاعر أن يعرض بهم حين يمدح المتطوعين من شباب الجزائر الأبي
الذين اتخذوا العلم سلاحاً والإخلاص للوطن غاية وهدفاً . والتعريض كما في علم
النفس ضرب من ضروب السياسة التوجيهية ، فلن نستغرب إذا اتخذها شاعرنا محمد
السعيد الزاهري سبيلاً له في قوله يمدح الشباب المتعلم : (٣)

(١) تهنئة بنفي .
(٢) إلى الزعيم الجزائري بالاسكندرية .
(٣) الجزائر تحيي المتطوعين .

هم النشر لا نشره أضاع شبابه وأمواله بين الخنا والمخامر
شباب يرى تفريطه في بلاده وتضييعه للقوم إحدى الكباير

ونعود - والعود أحمد - إلى المقارنة بين المشتري لوطنه والبائع . فخرى جريدة
"المنتقد" تسطع على الجزائر بعد غياب طويل ، فيظهر الفريقان مرة أخرى
على حلبة المصارعة ، ويتطوع الشاعر محمد الهادي الزاهري للتطبيق على هذه
المباراة على لسان الجريدة فيقول : (١)

قضيت زماناً في الغيوب محجياً وفي الناس سؤال وما أحد سالي
فمنهم ولوع بالمعارف مفسـمـم يقدر أعمالي ويرقب إهلالـي
وذو شجن منه الفؤاد مسـدّب يحاذرنـي كرهـاً ويحذر أقوالـي
وها أنذا وافيت محتقياً هـدي وحقاً وصدقاً للمحب وللقالـي

وبعد . . . فإن القلم ليكاد يتوقف خجلاً من تسطير ما فعله أبناء جلدتنا بإخوانهم
في الدم واللسان والمقيدة ، ولعل ما مضى من صفحات سوداء أوقفنا على أخطار
المستمر وصنائعه .

* * * * *

(١) من المنتقد الى الناطقين بالضاد .

قِسْوَةُ الْإِيمَانِ

لقد عاش الشعب الجزائري محنة الاستعمار ، وقاسى شدايدها وأهوالها ،
وذاق الأمرين من الدخلاء المستعمرين ، ولقد خرج في النهاية منتصراً حيث نال
ثمرة صبره وإيمانه القوي بالله . صبر على الذل في بلاده ، حيث كان أدلّ من
اليتيم على مائدة اللثيم ، فنال بغيته . وآمن بربه كامل الإيمان حين حافظ على دينه
ولغته وتقاليده فكفاه الله شر الكافرين . ذلك الإيمان الراسخ الذي يمثله محمد الأمين
الصمودي فيقول : (١)

لسعادتي نجم أراه كما ترى نجم السماء مهتدداً بأقول
لم أتمض من ذاك قط لأنني أرضى بكل مقدر فمقول
فهو يرى أن الصبر والإيمان هما مطية النجاح وأن من صبر ظفر ، وأن " من توكل
على الله فهو حسبه " لذلك نجده يواسي نفسه في قوله : (٢)

داري زمانك يا " أمين " وأهلكه واصبر على ما قدر الرحمن
فلقد ترى الإنسان يوماً ذائقاً سوط المذاب ويصبر الإنسان
فإذا صبرت على احتمال مصيبة يوماً تولى أمرها الديان
واجعل من الإيمان قوتك كسبه ما خاب من في قلبه إيمان
ولننتقل إلى الشيخ الطيب العقبي لنراه وقد تجرد من جميع أساليب التوصل إلا بالله ،
فلا القبور ولا المشائخ ولا غير ذلك بكاشف غمة أو فرج كرباً : (٣)

الله ربي وحده لا أرتجي إله عوناً عند كل طمسة
وإليه أضرع في الشدائد كلها لا للقبور ولا لصاحب عمسة
ويطرق الشيخ عبد الحميد بن باديس هذا المعنى ، فيكون قوله تفسيراً للآية الكريمة :
" ادعوني أستجب لكم " حيث يقول : (٤)

(١) أمر دبر بليل .
(٢) الشكر للنعمى يوفرها .
(٣) من أبياته التي لا تحمل عنواناً .
(٤) القومية والانسانية .

أدعو إلى الله لا أدعو إلى أحمد وفي رضى الله ما نرجوا من الرغب
وإن كنا قد قصّرنا فاقصرنا على أبيات قليلة في هذا الغرض ، فليس معنى ذلك أن
المؤمنين قلة من الجزائريين . فالإيمان بالله ، والإيمان بالنصر ، والإيمان بحق
الحياة الحقّة ، هذه الأشياء جميعها هي أنشودة كل مسلم ومواطن جزائري
مخلص .

التوجيه الاجتماعي

ما من داء إلا وله دواء ، وما من طالح إلا وله ناصح ، وشعب الجزائر - كما
عرفنا وكما سنعرف - لم يخل من الطالح والصالح ، فمنهم من اغتر وخدع بالرجل
الغريب ووارداته السامة ففرق في الخطايا والآثام بعد أن وقع في شباك اللذة ،
وتردّى في بؤر الفساد ، ومنهم من نذر نفسه لوطنه ومواطنيه فصار شعلة تتقدّة
من الإصلاح والتوجيه . ومن القسم الأخير شاعرنا محمد السعيد الزاهري ، فهو
يرسم طريقه ويبين هدفه حتى لكأنه يتلو الآية الكريمة * وما أريد إلا الإصلاح ما
استطعت وما توفيقي إلا بالله * ، ويتبع ذلك ببيان حال الجزائري المخدوع ، ويشتكى
من تلك الحال فيقول : (١)

ما كان لي من حاجة ومـراد	إلا تيقظ أُنسي وبلادي
هَيْبَتُ جميع الناس من نوم وطم	تزل الجزائر في لذيذ رقاد
هيهات نبلغ مأملاً من دهرنا	مادامت الأخلاق ذات فساد
هيهات تصلح أمة ذي حالها	حتى ينادي للحساب سنادي

(١) ويح الجزائر .

وها هو يشكو مرة أخرى ، على لسان بلاده : (١)

فيا نشأنا هذى بلادي تششتكي إلى الله من شوم الجدود الفواثر

إلى آخر الأبيات (٢) وهذه الظلمة التي يتخبط فيها الجزائري لها أسباب وبواعث

فالشاعر الطبيب العقبي يرى أن البعد والصدود عن الدين هما شر كل بلية فتاكة (٣)

بالأس كنا طوكاً في عروشهم واليوم صار قصي الدار يقصينا

هذا جزاء الألى من دينهم صدقوا وأعرضوا عن حدود الله نائينا

ولقد صدق ، وصدق الله قبله حيث قال عن هذا الدين : " إن الصلاة تنهى عن

الفحشاء والمنكر " وقال : " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أحسن " ، والدين

والدنيا مترابطان ، فمن أضاع دينه فقد أضاع دنياه ، وعاش عيشة ضنكاً ، وحشر

يوم القيامة أعمى ، وصار مثل ذلك الزوج الذي يروي قصته محمد الأمين العمودي

والذي خسر أمواله ، وفقد عقله ، وطلق زوجته بسبب إفراطه في الطذات وابتعاد

عن تعاليم الدين : (٤)

كان ذا مال وبالإس (م) سراف قد أثلف ماله

شغلته حب بنات الـ (م) لهو من عود وآله

وتعاطى لعب ضرب الـ (م) بنط " والكاس أصاله

ولنأت إلى مزيد من التفصيل عن إحدى هذه المبيدات البشرية . يقول الشيخ الطبيب

العقبي محذراً من الخمر : (٥)

شر الوري من عاش طوط حياته في الخمر منهكاً وفي لذاتيه

لا يرعوي من غيبه وضلاله وإذا انتشى فإلى الشقاء بذاتيه

(١) الجزائر تحيي المتطوعين .

(٢) تقدمت الأبيات في صفحات الاستعمار .

(٣) رد التحية فرض .

(٤) رواية زوجين يتحاكمان إلى القاضي .

(٥) كيف يكون بعد ماته ؟

أشقى ذويه ووالديه وزوجه
قد ضيع الدنيا وأذهب عقله
إن عاش فهو إلى الضلالة سائر
يسطو على جيرانه في سُكره
وكفاه من خزي مقالة قائل:
وَنَسُوهُ قَدْ تَمَبُّوا وَكُلُّ بَنَاتِهِ
وَالدِّينُ أَصْحَحُ مِنْ كِبَارِ عِدَاتِهِ
أَوَمَاتُ كَيْفَ يَكُونُ بَعْدَ مَمَاتِهِ ؟
وَإِذَا صَحَا لَمْ يَأْمَنُوا عِرَاتِهِ
(لا تصحب السكران في حالاته)

ونتمق في الموضوع أكثر ، فنترت عند الشاعر محمد الأمين العمودي وهو يضمّد
جرحاً واسماً قد تسم ، ويعالج مرضاً اجتماعياً خطيراً قد استفحل ، ذلك - عزيزي
القارىء - هو البقاء . يقول الشاعر (١) :

هذا يشير لتلك وهي تجيبه
حقاً هما سبب الخيانة والخنا
حقاً هما - والبينات كثيرة -
والمرء بينهما مطيع خاضع
هي روح كل بليّة فتاكّة
هو منبع الفتن التي عنها نهوا
هي كالسراب إذا تراءت خيبت
هو كالسحاب سحاب صيف زائل
ثلاً نويت بضربه الإعراب عن
أسفي على قوم لهم دين وهم
أنا في وجودي بينهم كسافر
نفسى تحدثني بهجرهم كما
لكنها طبعته على لين بسلا

وكلاهما يصطاد للتحصيل
وخرابٌ هذا العالم المخذول
مهد الضلال ومصدر التضليل
تهيب للذهب والتذليل
حتى برب التاج والإكليل
ما جاء في الأحكام والتنزيل
لك أن تنيلك غاية الأمول
لا بالكبر أتوا ولا بظمير
شكواي من أخلاق هذا الجيل
عن دينهم في غفلة وذهول
في مهمهم قمر بغير دليل
ركنوا لهجراني وما ركنوا لي
غش وتأبى القطع للموصل

(١) أمر دبر بليل .

ولكن .. كيف تسلم المرأة من مثل هذا الداء؟ لقد طرح الشاعر محمد العيد على نفسه هذا السؤال ، وقرنه بالجواب ، فلنستمع إليه حين يقول :

كيف ينجو من الشرور نساء لا يوارى وجوههنّ لثام ؟
عصمة المرأة احتجاب وصون وإباء وفضة واحتشام
علموا المرأة الحقائق في الدي (م) من فقد طوّحت بها الأوهام
علموها كيف الوقايمة مما حاجتها بشره الأيام

والتوجيه والإصلاح ضروب وأنواع ، فقد يكون باللوم واستشارة الهمم الخاصة وذلك كقول الشاعر محمد الهادي الزاهري : (١)

أمتي والله بثست أمة ما هزّها الضرب الشديد
كل يوم تمترتها نكبنة ما طيها في العوادي من مزيد
ليس للأحداث فيها غايمة غير أن تنهار ظلماً وتبيد
ظلمة سادت كما ساد الخضوع
لا ترى غير الدجى الممتكر
ليس للنجم - وان جدّ - طلوع
هكذا قد كان عهد القيصر

وقد يكون التوجيه بالتمريض كما تقدم ، وكقول الشاعر محمد السعيد الزاهري : (٢)

كذلك ذو النفس الطموح إلى الملا يعاف على الضيم البقاء ويأبأه
ومن يركب العزم الجديد فإنسه يهون عليه أن يحصل مرماه
ومن كان في أعماله متكاسلاً فسرعان ما يكدي ويخفق مسعاه
فيا ليت قومي يعلمون بما سما إليه الوري حتى نتيه كما تاهوا

(١) مأساة وريده .

(٢) ليت قومي يعلمون .

وقد يكون بالمقارنة كما يقول الشاعر نفسه : (١)

وليس عزيزاً أن ينال مسراده أخو عزة يحكي الحسام المشطبا
ومن أين يلقى غافل ما يودّه إذا كان لم يطك من الجدّ مكسبا
عجبت لمن يقضى الليالي ساهراً إلى رشاً عذب المرافش أشنبا
بياري لفرط الحمق من كان كادحاً يحاول من فوق السماكين منصباً

إذن . . . ليس هناك سبيل إلى حياة أفضل سوى الوعي والصبر والشجاعة، فالنائم
كما يقول أبو اليقظان لا حياة له : (٢)

إنما الدنيا جهاد من ينم يومه داسته أقدام الرزاييسا
وثبات للمعالي وثبات للمعالي وخصال ومزاييسا
ليس حكم النفي والسجن ولا ال (م) حكم بالشنق له إلا مطاييسا
قلكم شممب ضعيف هب من نوميه وأفتته أصناف التحاييسا

والدعوة إلى العمل النافع هي لسان حال المصلحين أمثال الشاعر محمد السعيد الزاهري : (٣)

ربّ باكٍ على الماضين قلت له إن البكا لشأن الخرد الغييد
هيا إلى عمل يجدي فحاجتنسا إلى أخي عمل بالمزم معضود

وتأخذ الدعوة إلى العمل أشكالاً وصوراً مختلفة ، لعل من أهمها الدعوة إلى تعلم
النشء الجديد وتوجيهه الوجهة الإسلامية الطلي إذ أنه عباد الأمة وذخر الوطن
وهو الحممد الذي ستجتاز به الأمة طريقها نحو المجد والعزة والتحرر . وفي هذا
المعنى يقول الشاعر محمد السعيد : (٤)

ولا تهطوا أمر الحياة فإنها حياة نشاط بل حياة جدال
أجلّوا رجال العلم بين ربوعكم فقدرهم وافى الرجاعة عالىسي

(١) إلى الزعيم الجزائري بالاسكندرية .

(٢) مدارج الخلاص والتحرير .

(٣) الناس والدهر .

(٤) حياة نشاط .

ولا تغفلوا شأن الصغار فإنهم لمستقبل الأيام خير رجال
وأشبه شيء بالمرايا عقولهم فصوغوا لها منكم أجلّ مثال
أبينوا لهم طيبَ الفِعالِ ليقدوا بكم فحياة الطفل طيب أفعال
وهبوا إلى الإصلاح فالله كافل لمن هب للإصلاح حسن مآل

وفيه أيضاً يقول الشاعر محمد السعيد الزاهري : (١)

لقد كسر الناس القيود وهطّموا ونحن بقينا في قيود وأغلال
بقينا بأغلال من الدهر لم يكن ليكسرنا إلا تكسّب أموال
وقد لبس الناس الملوم جديدة ونحن لبسناها من الخلق البالي
وقد لبس الناس الفخارَ مطارفاً ونحن بقينا في جرود وأسمال
وأصبح هذا الناس أحياء كهم ونحن بقينا اليوم في زيّ تمثال

والصفار في أغلب الأحيان محور الارتكاز ، وبيت قصيد الصالحين والدعاة ، فهم ورثة الأرض بعد آباءهم ، وهم شموها بعد حين ، لذلك يرى الشاعر الآنف الذكر وجوب صبّ النثر في قالب سليم ليبدأ البناء القوي من الأساس : (٢)

يا قومنا سار الوري نحو الملا السير الوخيد
كسروا قيودهم ولَكُم تزل الجزائر في قيود
إن شتمت أن تلبسوا ثوب المجادة من جديد
فعليكم أولادكم لا تتركوهم كالقورود

ويتبعه محمد الهادي الزاهري فيدعو الشعب إلى البذل والاستقامة وتربية الصفار تربية سالحة ، فيقول على لسان فتاة الجزائر الجاهلة : (٣)

ناشدتكم بالله والرحم التي في الكتب مجد ذكرها تمجيدا
أن تبعثوا للعلم في أبنائكم روحاً ومن كيس المشح نقودا

(١) الشعر الفحل .

(٢) الفتاة الجزائرية .

(٣) شباب تونس والجزائر .

وتماهدوا في الصالحات فإنها أجدى إذا ما شتمت التجديدا
ربوا صفاركم على تاريخهم ذكراهم تشفى الفتى الخوذا

ويقول أيضاً أثناء ترحيبه بالمتعلمين من أبناء تونس والجزائر: (١)

عند الحياة وإن تعالى سبها لم تلف غير الملم أولها وضع
والشرق لولا الجهل عم شيبه ما دان للغرب القصي وما خضع

ويكرر نفس المعنى في قصيدة أخرى: (٢)

العلم يا قومي فإن سبيله للمهتدي أهدى لكل رشاد
إن الذي سلب العزيز عزيزه جهل أضرب بفكره الوقار
الويل كل الويل يا قومي لمن لم يبرح الأيام في الأضداد

ويستمر الشاعر في شحذ الهمم وتحريض المواطنين على الإحسان إلى إخوانهم المنكوبين
بطوفان " سد فرقوق " : (٣)

بني وطني مصابكم جليل إلى الإحسان فاستبقوا وجدوا
أعدوا يا بني وطني لجاناً لمنكوبي بلادكم أعيدوا
لنا وطن يؤلفنا جميعاً إذا ما الخطب أقبل منه جند
وهل لكم كموطنكم إذا ما فهضم ما أردت أب وجد ؟

وكان الشاعر يدعو إلى الوحدة التي سنفردها بآباً مستقلاً ، والدعوة إلى الوحدة
توجيه وإرشاد يليق بشعب تفكك كالشعب الجزائري ، وها هو الشاعر محمد السعيد
الزاهري يحاول ربط السلسلة المتناثرة أجزاؤها فيقول : (٤)

فلاتك أشتاتاً إذا جدت حادث فما ضرنا إلا انحلال الأواصر

-
- (١) شباب تونس والجزائر .
 - (٢) أمل تامل في فؤاد حائر .
 - (٣) نكبة الجزائر بطوفان سد فرقوق .
 - (٤) الجزائر تحيي المتطوعين .

بينما نرى الشاعر الطيب العقبي يستنكر على قومه هذه الرقدة الطويلة ، ويبين لهم
أن العربي لا ينام على الضيم قائلاً : (١)

يا معشر القوم هبوا من سباتكم طال الزمان وكم غنى مفتيننا
ما هكذا شيم العرب الكرام ولا هم قبلنا ولدوا الحمقى المجانينا

ويعود محمد السعيد مرة أخرى ليلقى التحية على متطوعي بلاده ، فيذكر أن خير سبيل
للنهوض من هذه الرقدة هو ما نهجه أولئك المتعلمون الذين برّوا أجدادهم بإحياء
التراث القديم ودراسته ، ولم ينسوا عصرهم الحديث حيث نشروا كنانة الحضارة
الحديثة وعجموا عيدانها ثم اختاروا ما يحلو لهم ويطابق عقيدتهم وتقاليدهم
فلم يجرّ القديم على الجديد . يقول : (٢)

وما السرّ إلا أن نقصً ونقتفي طريق جدودٍ حافراً فوق حافرٍ
وما كان برّ الوالدين بمانعٍ لنا أن نجاري في السرى كل سائرٍ
نسابق أهل العصر في كل غايصة فما الفخر إلا في سباق المعاصر

وما هو الشيخ الطيب العقبي يبحث في الشعب عن الرجل الهمام صاحب الشرف ويطلب
منه أن يرفع عقيرته وينادي النوام الذين ملّتهم مضاجعهم قبل أن يملّوها (٣)

يا صاحب الشرف الأسى وحاميه جرّب حسامك واعمل حازماً فينا
هي الحياة فسّر فيها على حذرٍ واصعد بقومك واصدع كالمحقيننا
ونادنا إننا ملّنا مضاجعنا منا الجنوب ومّل القوم نادينا

والنصيحة ليست مقصورة على الجاهل أو المنحرف ، بل لا بد منها كذلك لمن يسير في
الطريق الصحيح ، حيث أنه معرض للانحراف أو السيل ، لذلك نرى الشاعر محمد
العبد يبدي إعجابه بأولئك الشباب " الذين قالوا: ربنا الله . ثم استقاموا " ،
ولا ينسى أن ينصحهم بالاستمرار في طريقهم المستقيمة : (٤)

(١) رد التحية فرض .

(٢) الجزائر تحيي المتطوعين

(٣) رد التحية فرض .

(٤) الشهاب يحيى الشباب .

يا شباب الملا اعتصم بالتأخي زانك الله في الصلا من شباب
انشر السنّة الكريمة واعمل بهداها وخذ بحدّ الكتاب
إن تكن قد بنيت في الناس مجداً فاحرس المجد من دواعي الخراب

ولم يكن محمد الهادي عنه بيميدٍ حيث يقول : (١)

أشبية النادي وفتيان الهدى والمائلين بخاطري ويناظسري
أتم مناظ الشّعب لا يلهيكم ما تبصرون من الفريق السّاخر

ويحذو حذوهما أبو اليقظان فيقول : (٢)

يا ساسة الأفكار قتم بالذي يدعو إليه الوقت والحاجات
لا تسأموا لا تيأسوا لا ترهبوا بل ثابروا فأمامكم جنّات

وصيحة أخيرة إلى الشعب الجزائري الفارق في محيط الجهل ، يطلقها ربّان سفينة
طالما تعقبها قراصنة الإرهاب ، صيحة إنذار من الشاعر محمد الهادي الزاهري :

دعا بك من قومي خيار شباب فلا تنأ عن داعي الهدى بجناب
تيقظُ فيها تلك الحوادث أقبلت تمدّ إلى أكبادنا برقباب

* * * * *

(١) ان الحياة هي الحظوظ .

(٢) الصحافة .

(٣) هي الجنة الفيحاء .

الإسلام

كان الإسلام هو الدين السائد قبل دخول المستعمر، وكانت هناك حضارة إسلامية دفعت البلاد إلى الرقي والتقدم حتى صارت لها شخصيتها المرهوبة بين دول العالم . فلما جثم الاستعمار بكله الثقيل على هذه البقعة من الوطن العربي صار أول أهدافه محو الإسلام واستئصاله ، فأغلق المدارس الإسلامية - كما تقدم - وحرّم لغة القرآن ، وهدم المساجد وحول أكرها إلى كنائس ، بل جعل بعضها مبيتاً للخيل والبغال ، ولم يغفل الأوقاف الإسلامية التي كانت مخصصة لأعمال الخير والبر فمدّ عنقه إليها واستدناها بأنيابه لتأخذ نصيبها تحت هذا الكلكل الطاحن .

ولولا قلة آمنت بربها حق الإيمان فحافظت على دينها ولفتها وتقاليدها لاندثر الإسلام في الجزائر شرّ اندثار ، ولا تخرج الشعب الجزائري السلم بالشعب الفرنسي الدخيل فتلاشت قوصيته الأصيلة ، هذه القلة المؤمنة هي أولئك المصلحون الذين تنبّهوا للخطر المحدق بالعقيدة فراحوا يبعثون الوعي من جديد ، ويذبّون عن دينهم ما استطاعوا .

ولننظر - أول ما ننظر - إلى الشيخ الطيب المقبي وهو يصف ماضي هذه الأمة المشرق وحاضرها المظلم: (1)

وإن تسل كيف كنا ثم مال بنا ربّ الزمان فخذ ما قيل تضمينا :
(كنا قلادة جيد الدهر فانفرطت وفي يمين العلا كنا رياحيننا)
(كانت منازلنا في العزّ شامخة لا تشرق الشمس إلا في مغانينا)
(فلم نزل وصوره الدهر ترمقنا شزراً وتخدعنا الدنيا وتلمهينا)

(حتى غدونا ولا جاه ولا نشب ولا صديق ولا خل يواسينا)
هذا جزاء الألى عن دينهم صدقوا وأعرضوا عن حدود الله نائينا

ويتأسف الشاعر محمد الأمين العمودي على تضييع قومه لدينهم : (١)

أسفي على قوم لهم دين وهم عن دينهم في غفلة وذهول
ولكن هل يجدى التأسف ؟ . بالطبع لا . بل لا بد من تنبيه هؤلاء الغافلين
إلى مغبة غفلتهم ، وقد قام بهذه المهمة شاعرنا محمد العيد حيث يقول : (٢)

أفبقوا فهذا الدين بين ربوعكم تنازله الأحداث شر نزال
تحاول نكباء الضلالة نسفقه وترميه أشلاء الردى بنبال
فقوموا مقامات الدفاع حيا لسه ليأمن هذا الدين كل ضلال

وشاركه في ذلك أبو اليقظان فقال : (٣)

ذودوا عن الحوض المميز بأسركم عزماً فأنتم للجميع حمالة
لا زلتم بحسب السلام وهزة الـ (م) إسلام تكفل مجدكم رحمة

وقد استجاب الشاعر محمد العيد فأجاب داعي الله حيث وقف في وجه " آشيل " عدو
الإسلام والمسلمين ، الذي نشر عدة مقالات في جريدة " الديبش " القسنطينية
تحاملاً فيها على الإسلام ومدعياً أن القرآن كتاب مثير للحروب عنوان للهمجية
فتصدى له الشاعر بهذه الأبيات : (٤)

هيهات ، لا يمتري القرآن تبديل وإن تبدل تورا وإنجيل
قل للذين رموا هذا الكتاب بما لم يتفق معه شرح وتأويل
هل تشبهون ذوى الألباب في خلق إلا كما تشبه الناس التماثيل ؟
فاعزوا الأباطيل للقرآن وابتدعوا في القول هيهات لا تجدى الأباطيل

(١) أمر دبر بليل .

(٢) حياة نشاط .

(٣) الصحافة

(٤) ما بال آشيل يهذى ؟

وازرُوا عليه كما شاءت حلومكمُ فإنه فوق هامِ الحقِ إكليل
ماذا تقولون في آيٍ مفصلةٍ يزينها من فَمِ الأيامِ ترتيباً؟
ماذا تقولون في سفرِ صحائفه هدي من الله مضي فيه جبريل؟
ما بال آشيل في (الدَّبَّيشِ) يسخر من آياتِ مُحَكِّمِهِ لا كان آشيل؟

ولم يكتفِ المستعمر بالسخرية من القرآن ، بل استبدله بالقوانين العقلية التي
وضعها الإنسان ، فلم يراعِ في ذلك العدل والإنصاف . ويتحدث الشاعر محمد
الهادي الزاهري عنها فيقول: (١)

منعوا الأمة آيات الكتاب في تقاضيتها إلى قرآنهم
عوضاً جاؤوا بقانون كذاب لا يساوي النور من تبيانهم

ولكن لماذا هذه الحرب المعلنة على الإسلام؟ إن الجواب ليفرض نفسه ، إذ أن
الإسلام يمقت شريعة الفاب التي طبقها المستعمر في أرض الجزائر . حورب هذا
الدين لأنه يدعو إلى العدل بين الناس . يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي
عن هذه العقيدة: (٢)

قد آمنوا إلا بحق سيفك وأمنوا على الزمان حيفك
ولمعة من صارم يُسَلُّ كومة من عارضٍ ينهَلُّ
والأرض أحوج لدرء العيث (٣) منها إلى جلب الحيا والفميت

ويصف الشيخ عبد الحميد بن باديس هذا المبدأ والمنتمين إليه بأنهم أنقذوا العالم
من الظلم وحرروا الناس من الرق وأخرجوهم من الظلمات إلى النور . يقول رحمه الله: (٤)

المجد لله ثم المجد للعرب من أنجبوا لبني الإنسان خير نبي

(١) مأساة ربيده .

(٢) الإسلام .

(٣) هذا الشطر مختل الوزن والافضل منه : ما أحوج الأرض لدر العيث .

(٤) القومية والانسانية .

ونشروا طِّةً في الناس عادلة لا ظلم فيها على دين ولا نسب
 وبذلوا العلم مجاناً لطالبيه وقال رغباه ذو فقر وذو نسب
 وحرروا العقول من جهل ومن وهم وحرروا الدين من غش ومن كذب
 وحرروا الناس من رق الطوك ومن رقى القداسة باسم الدين والكتب

ويستمر هذا الشيخ المناضل في كفاحه الإسلامي فيفلق الباب في وجوه هؤلاء المستعمرين حين يدعون أن شعب الجزائر لا صلة له بالعرب أو الإسلام فخير له أن يذوب في الشعب الفرنسي ، يقف هذا المناضل منادياً : (١)

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
 من قال : حاد عن أصله أو قال : مات . فقد كذب
 أورام إداماً لـه رام المحال من الطلب

ولم يذهب كفاح عبد الحميد هباءً ، بل أتاه الشكر فوراً من الشاعر محمد العيد ليشعره أن هناك آذاناً صاغية وعقولاً واعية : (٢)

لا يعدم الحق أنصاراً تحيط به سوراً ولو كرت فينا الأضاليل
 هذا ابن باديس يحمي الحق متقدماً كذاك يتعد الشم الأماثيل
 إني أرى "عبده" المرحوم مندفعاً ينحي على زعم "هانوتو" و "برتيلو" (٣)
 عبد الحميد رهاك الله من بطيل ماضى الشكيمة لا يلويك تهويل
 دفت أقوال آشيل كما دفت أبطال أبرهة الطير الأباييل
 طميك مني وإن قصرت في كلمي تحية ملؤها بشر وتهليل

ويتابع حديثه عن المسلمين فيستنكر التهم الموجهة لهم من آشيل ، ويصفهم بما هم أهل له : (٤)

(١) تحية المولد الكريم (٢) ما بال آشيل يهذي ؟
 (٣) عبده : هو الامام محمد عبده شيخ الازهر الشريف ، وموقفه في الرد على هانوتو وبرتيلو موجود في تاريخ الامام محمد رشيد رضا رحمه الله .
 (٤) ما بال آشيل يهذي ؟

ما بال آشيلَ يهذي في مقالته كحاكم راعه في النوم تخييل ؟
ما بال آشيلَ يزري المسلمين وهم غرُّ العراك أنجاب بهاليل

وبأني عبد الحميد مرة أخرى ليلقى التحية على هؤلاء القوم الذين حافظوا على ملتهم: (١)

أشعبَ الجزائرِ روحِ الفسدا لما فيك من عزة عربيته
بنيتَ على الدين أركانها فكانت سلاماً على البشره
خلدتم بها وبكم خلدت بهذي الدمار على الأبدية

وبلغت إلى النثر المسلم الجديد فهخصه بنفحة من نفحاته الطيبة: (٢)

نثر على الإسلام أصب — (م) من بناه السامي انتصب
نثر بحب محمد غذاه أشياخ نجيب
فيه اقتدى في سيره وإليه بالحق انتصب
وعلى القلوب الخافقها (م) ت إليه رأيتك نصيب
بالروح يقدبها وما يفري النفوس من النصب
ويخلقه يحيى حمها (م) ها أو ببارقة الغضب
حتى يهود لقوميه من عزهم ما قد ذهب
وهي الجزائر أرحمت حنق الحياة المستلب

وبر الآباء والأجداد واجب ، وبرهم يكون بالحفاظ على ما وهبونا من مبادئ تنير لنا الطريق . ولن يكون لأمة ما تبتغي من عز ومجد إلا إذا حافظت على ما عندها من تراث . يقول الشاعر محمد السعيد الزاهري: (٣)

ذهبت أوائلنا الأملة لحالهم بغمائل ليست بذات سواد
لكننا لم نقفهم وبرورهم حق على الأبناء والأحفاد

- (١) السياسة في نظر العلماء
(٢) تحية العولد الكريم .
(٣) وبع الجزائر .

وأقل ما في السجّر من حقّ لهم أن ترتدي عليهم بحداد (١)
وإذا أردت السجد تبني صرحه فمجادة الأبياء خير عماد

ورب قائل إن هذا التراث تقادمت عليه العهود فهو الآن لا يصلح طريقاً للمجد .
لكن الشاعر محمد الهادي الزاهري يكذب هذه النظرية : (٢)

تاريخكم هو الذي يعطيكمم درسا بليفاً صالحاً وفيه دأ
فاستخرجوه ولا تقولوا قد غفرا فالتبر تبر لا يحور صديدا

ويزيد الشاعر محمد السعيد في الإيضاح فيبين أن سبيل الأسلاف طريق إلى الكمال
والوصول إلى الهدف فيقول : (٣)

وإن امر يققو رجالاً له خلت ليجمل من أهل الكمال ويحسب
لقد عظموه كيف يكتسب الصلا فأصبح يدري كيف يسعى ويكسب

وها قد عرفنا وضع الإسلام في الجزائر ، وموقف الاستعمار منه ، فوجب أن نعرف
عدونا فنحذره في الحرب والسلم كيلا يعيد التاريخ نفسه فنكون من الخاسرين .

* * * * *

(١) هذا الشطر مختل الوزن والأفضل منه : أن ترتدي لذهابهم بحداد .
(٢) الفتاة الجزائرية .
(٣) وما الناس الا اثنان .

اللغة والأدب

ليست اللغة العربية وآدابها بأقل خطراً على المستعمر من الإسلام، وقد عرفنا موقف المستعمر من هذه العقيدة ولن نعجب إذا رأينا لفتها وقد أحاطت بها أزرع الأخطبوط الاستعماري لتمتص منها الحياة . ولكن العجب - كل العجب - أن يصمد هذا الشعب ويقاوم دفاعاً عن لغة آباءه وتراث أجداده . فبالرغم من مقت المستعمر لهذه اللغة إلا أنها بقيت في القلوب ، وبالرغم من تشويه الأدب العربي واحتقاره إلا أن الإنسان الجزائري لم يرضى به بدلاً . ولقد أحب المسلم الجزائري أدبه حباً جميلاً حتى أن رجلاً كالطيب العقبي جعله شرطاً من شروط الزوجة المثالية : (١)

ما حياة المرء مع زو (م) ج له ليست أدبيته
غير سجن أهدي عظمت فيه المصيبة

ويدعو نفس الشاعر إلى بمت اللغة العربية وإحيائها ، بعد أن يعلن أنه سيكون الأول في ذلك فيقول على لسان جريدة المنتقد : (٢)

على اللغة الفصحى وإعلاء شأنها وترديد زكراها أعاقب أجيالي
إلى لغة الذكر الحكيم ومصدر الذ (م) نواصير في حصري وفي المصير الخالي
أهبت بمن يرمي الذمام مراعيلاً نماراً لجاه الفر والخالي البال
وهتز الشمراء الجزائريون بهذه اللغة، ويتفننون بها أشال الشاعر محمد الأمين الممودي : (٣)

لا أبتغي لبس الثياب وإنما خير اللباس فصاحة وبيان

أو محمد المييد حين يقول : (٤)

كذلك كان الشمر آيات رقّة على سور الإبداع منتظمت

(١) من أبياته التي لا تحمل عنواناً . (٢) من المنتقد إلى الناطقين بالضاد .

(٣) الشكر للنعمي يوفرها .

كَلِفْتُ بِهِ طِفْلاً فَكُنْتُ أَصَوْغُهُ سَبَاكَ تَبْرٍ أَفْرَغْتَ بِحِصَاةِ
وَأَنْظَمَهُ سَمَطاً نَضِيداً مَنْسَقاً بَدِيحَ اللَّكَلِيِّ مُحَكَمَ الْخِرَزَاتِ
وَقَافِيَةً أَسْتُ تَمَثُلُ يَوْسُفَاً بِمَا فِيهِ مِنْ يَمْنٍ وَحَسَنِ صِفَاتِ
خَلَعْتُ عَلَيْهَا مِنْ شِعْورِي مَطَارِفَاً وَكَلَلْتُهَا مَا شِئْتُ مِنْ خَطَرَاتِي

وها هو أبو اليقظان يمزج الفخر بالتهديد فيقول عند الرحيل مخاطباً وطنه:

وإن رامت لك الأوغاد كـيـدأ هززننا نحوهم ذاك اليراعا
فأصعقهم بنار الشهب فسورا* فيضحوا خامدين ولا نزاعا
يراعي كان في الدنيا طبييأ (يداوي رأس من يشكو الصداعا)

وعندما ينوح الشيخ الطيب المقبي في منفاه بتركيا ويتذكر الحجاز وساكنيه (١)، يرد عليه الشاعر محمد العميد بقصيدة عصماء يمتدحه فيها ويذكره بالجزائر وحاجتها إليه فيشيد بأدبه الجمِّ وفصاحته الفذة فيقول: (٢)

أدب يروق إلى جلال الشان هذا لعمرك ففخر الإنسان
لا تبك حظك في الحجاز فإنما لك في الجزائر ميزة الرجحان
يا صاحب الطبع اللطيف ومنيع الش (م) شمر الظريف و "طيب" الأفنان
منذ استممت رقيق شعرك مرة أدركت سر تمايل الأغصان
أوعيت أسرار البلاغة كلها من قبل عن قس وعن سحبان ؟
أم نلتها قدراً على عهد الصبا فسكبتها في قالب الأوزان ؟

فيجيبه الشيخ الطيب المقبي بقصيدة من نفس الوزن والقافية وتحمل نفس المنون، تفيض بالتواضع والشكران والإعجاب: (٣)

روض الأديب وزهرة الشبان وافئ نظامك بل عقود جمان

(١) في قصيدة له ستأتي في غرض العزل ، يقول في مطلعها :
سلام على أرض الحجاز سلامٌ ولست على حب الحجاز ألام
(٢) الأقلام أسلاك مناجاة .
(٣) الأقلام أسلاك مناجاة .

فلبث حولاً لا أجيبك صائماً
ودُهشتُ من ترصيف ما أبدعتهُ
واليوم عيد الفطر حقاً قد أتوا
ونطقتُ بالشعر الفصح وزانهُ
قلبي أقدمه لديك هديّة
بيني وبينك وصلة أدبيّة
إني أحبك لا لشيء غير ما
فاصفح فإن بضاعتي المزجاة لا
إلا إذا أغضت في استصحابها
صوماً كصوى اليوم في رمضان
لم أستطع رداً على سبحان
فمجبتُ إذ عيدان يلتقيان
لكن بشمرك خفاً في الميزان
والشعر فوق القلب كالعنوان
علميّة تنمو مدى الأزمان
أوتيت من أدب وحسن بيان
ترقى مع الأسوام في الأثمان
لتدسها إن جاء يوم رهان

ولا شك أن هذه الصّلات بين الأدباء تزيد من تطور الأدب ، وتساعد على حفظ
اللغة ، شأنها شأن النوادي الأدبية التي كانت تجمع خيرة الشباب ، فتكون حافلة
بالشعر والنثر معاً . وفي هذه النوادي يقول الشاعر محمد الهادي الزاهري متحدثاً
عن " نادي الشبيبة " ، (١)

نادٍ سيذكره الرواة بما لله
من نعمة تترى على الأهفاد
ويهزّ من أعطافه ما هزّ من
آباء فتيته لسان الضياد
فيدوم في هذى الجزائر نشؤها ال (م) هربي منطقه بسمي النساوي
حفظوا بقايا للجدود وإنهم
لأبرّ من يحنو على الأجداد
فانكر صنيعهم إليك فإنصا
حفظوا بقايا المجيد للأولاد

وفيها أيضاً يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس أثناء حفلة جمعية التربية والتعليم
الإسلامية : (٢)

(١) أمل تطل في فؤاد حائر .
(٢) تحية المولد الكريم .

ورقيت ساميةً الرتسب	هَيَّيْتُ يا جمع الأدب
من ذوى الدسائس والشغب	ووقيت شرّ الكائدي — (م)
تسمو إليه من أرب	ومنحت في العلياء ما
حَيَّيَ الأنام على الحقسب	أحييت مولدًا من به
يُزِي النفسوس من الوصب	أحييت مولده بما
أخلاقٍ في نشئٍ عجب	بالعلم والآداب وال — (م)
تر في الشدائد والكرب	يا نشئ يا زخر الجزا
حُ فعمَّ مَجْمَعَنَا الطرب	صَدَحَتْ بلابلِك الفصا
فصحن ألد من الضرب	وأذقتنا طعمًا من الل — (م)
قد قررتك لك الكسب	وأريت للأبصار ما

تشجيع ومدح وإشادة بباغي الأدب العربي تجعلهم يضاعفون الخطي ويجدون في السير ، فحين يخرج^{١٩٥٠} الشاعر محمد الهادي الزاهري بكتابه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" يتسابق الشعراء إلى تهنيئته وتشجيعه فيرفعونه فوق الهام . ولنستمع إلى الشاعر محمد العيد وهو يخاطبه قائلاً : (١)

قد عرفناك نابغاً مقرباً	إرق بالشمر لا عدت رقيماً
نابغ الذكر مخلصاً وطنياً	قد عرفناك نابغ الفكر حراً
يوم أحييت ذكرها الأديباً	قد عرفناك بالجزائر بـراً
يكن الشمر في الجزائر شيئاً	يوم أحييت شعرها بعد أن لم
كيف أخرجته من القبر حياً ؟	كان بالأمس مودع القبر ميتاً

أو إلى الشاعر محمد السعيد الزاهري في قوله : (٢)

لم ألق في أبنائنا براً بأمد (م)	ته كذكك حاضراً أو بادي
أخرجت رغم الدهر من شعرائنا	لهم كتاب تعارفٍ وتهادي

(١) هذه خطوة لك اليوم كبرى .

(٢) ويح الجزائر .

أجدد أرب الجزائر بمدى ما ظنوه لا يحى مدى الآسار
إن يتغ الشبان بعدك غايمة فلأنت للشبان نعم "الهادي"

وقد نشطت سوق اللفة والأرب بفضل جهود هؤلاء الأدباء وغيرهم ، ولم يكن شعراء الجزائر مضمورين أو منمزلين . بل كانوا على صلة وثيقة بوطنهم العربي الكبير وعلى اطلاع واسع لأرب قومهم في الأقطار الشقيقة . يدل على ذلك ما كان من صلات ومراسلات بين الطبيب المعقبي والأمير "شكيب أرسلان" (١) . ويدل عليه أيضا ما كان من هذا الشاعر حين حكم بين الشاعر أبي الملاء المعري الذي أنكر فضل أبيه عليه حيث قال :

هذا جناه أبي عتي (م) وما جنيت على أحد

وبين الشاعر أحمد شوقي الذي يقول عن أبي الملاء :

هو قد رأى نعى أبيه جنايةً وأرى الجناية من أبي نعاء

حكم الشيخ الطبيب بينهما فقال : (٢)

قد قال شوقي في الحديث مقالة في شعره نادى لها الحكماء
رداً على شيخ تقادم عهدده وراءه من جهة البرور أساءه
فأجبتة : لو كُتته لعذرتكـه أو كان ظلك قولك ما جاء
فاشكر أباك فقد هييت منعماً وأبو الملاء قضى الحياة شقاء
فلئن رأى نعى أبيه جناية فلقد أصاب . لما به قد بقاء
ولئن ترى أنت الجناية نممة فالحق قولك ما نطقت هراء
كل أصاب إذا نظرت لحالسه والله أنفذ فيكما ما شاء

وإذا عرفنا هذه الحيوية في الأدب العربي الجزائري ، وهذا النشاط في رواه المخلصين فلا بد أن نعرف أن هناك طرفاً آخر يحاول قهقرة المسيرة الأدبية في الجزائر .

(١) عن كتاب شعراء الجزائر .

(٢) بين شوقي بك وأبي الملاء المعري .

وإذا نظرنا إلى الأبيات التالية لمحمد العيد تبين لنا موقف كل من الفريقين : (١)

وقافية أمست تمثل يوسفاً بما فيه من يمن وحسن صفات
خلعت طيها من شموري مطارفاً وكللتها ما شئت من خطراتي
وقوم رموها في غيايات جبههم ويا كُرمًا في الجب من حشرات
أذقتهم كأساً من السم طقمأً وأوسعتهم طعنأً بحد قناتي
وقلت لهم: من يعش من نفع قومه أقيض له جيشأً من الكلمات

ورغم هذا الدفاع إلا أن المستعمر قد ظفر بيمض ما يريد ، فأثر تأثيراً واضحاً على عروبة القطر الجزائري العزيز ، فكسدت تجارة الأدب ردها من الزمن إلا لدى فئات قليلة .

يقول الشاعر محمد الأمين العمودي : (٢)

دار هني دهرى وما عصمتني من زمني وأهليه آدايبي

ويقول الشاعر محمد السعيد الزاهري مبيناً حال الشعر والشعراء : (٣)

كم مر من زمن على شعرائنا وبضاعة الشعراء ذات كساد
هذا نراه زاهداً في نفسه ويظل ذلك صارخاً في وادي

وسبب هذا الكساد واضح ، فالشعر الجزائري كله قد وقفه أصحابه على معركة الخير والشر ، وقفوه على توعية الشعب وتوجيهه الوجهة الصحيحة ، وتحريضه على الثورة ، فشاعر كمحمد السعيد الزاهري لم ينطق بكلمة من بيت لأجل المال أو نفاقاً : (٤)

ولم أتدح يوماً أخوا جدة لكي بجود فنأي عن غواديه صيب
ورب قصيد قلت متدحاً به أخوا الحزم لا يألوا إلى المجد يدأب

-
- (١) أسطر الكون .
 - (٢) نار عصابة التلهاب .
 - (٣) وبع الحزائر .
 - (٤) وما الناس إلا اثنان .

وهكذا فقد أطللنا من هذه النافذة على أدب الجزائر في أحضان المستعمر
فمرفنا كيف تشبث هذا الشعب الأبي بفصحاءه وأتكر ما سواها أن يكون سهيلاً
للتصبير عما يختلج في نفسه .
يقول الشاعر محمد العيد :

تحنّ إلى نيلِ الحقوق نفوسنا وتأبى علينا نيلها قوةُ الفشمِ
ونقصنا عن الفصحى ونلهي بغيرها ولمس سوى الفصحى لسان لنا رسمي
وما نحن إلا من سلاله يعسرب فمن رام عنها فصلنا باء بالرفمِ

* * * * *

التعلم

سبق أن عرفنا أن الاستعمار حارب الإسلام واللغة لأنه عرف ما يترتب عليهما من أخطار تهدد وجوده ، فهو يعرف أن الإسلام دافع قوي نحو الوعي والتحرر ويعرف أيضاً أن اللغة العربية هي طريق التعلم لذلك الدين . لذلك لم يأل جهداً في معوها من ذاكرة الشعب الجزائري ، حيث أظن المدارس العربية وتعقب المدرسين فيها وألصق بهم أوهى التهم ، ونشر المدارس الفرنسية التي لا تسمن ولا تفني من جوع لتكون خداعاً وتضليلاً لمن يحالفه الحظ فيسمح له بالدخول فيها .

وهنا يظهر دور جمعية العلماء وفضلها في تنبيه الأمة إلى ما يعيط بها من أخطار ، فيضع أديارها شظفهم في معركة العلم والتعليم ، ويجتدون أدبهم لخدمة عقيدتهم ولفتهم . وها هو الشيخ الطيب العقبي يذكر ما كان لأجدادنا من مكانة عالية بين الشعوب بسبب حرصهم ومثابرتهم على التحصيل العلمي . يقول : (١)

وَأذْكَرُ حَدِيثَ جَدِّهِ قَبْلَنَا سَلَفُوا عَسَاكَ بِالْمَلْمِ بِمَدِّ الْجَهْلِ تَعْيِينَا
كَمْ أُمَّةٌ أَصْبَحَتْ تَعْلُو بِمِرْزَتِهَا كَانَتْ لِنَيْلِ الْعَطَا قُدَّامًا تَرْجِينَا
وَكَمْ قَبِيلٌ أَتَى بِيَهْمِي مَعَارِفِنَا قَطُوفَهُ وَمَعِينِ الْفَضْلِ بِيَفُونَا

ويعزو الشاعر محمد السعيد الزاهري أسباب التأخر في العصر الحاضر إلى الشعب لأنه ركن إلى الكسل واختار الجهل ، فيقول : (٢)

ولو كان شمبي يقدر (٣) العلم قدره لأصبح من فوق السماكين مشواه
ولكنه اختار الجهالة موطنه فمات بدار الهون والضم سكناه

(١) رد التحية فرض .

(٢) ليت قومي يعلمون .

(٣) الأفضل عندي لو تستبدل كلمة " يقدر " بكلمة " يصرف " .

ويقول أيضاً: (١)

قتل الخمول مواهب النبفاء من أبنائنا وأحبالها لرمسار

ولكنه حين يذكر حال الجزائريين هذه لا ينسى أن يُشرك الاستعمار في هذا الجرم: (٢)

لقد كسر الناس القيود وحطّموا ونحن بقينا في قيودٍ وأفلالٍ

وقد لبس الناس العلومَ جديدةً ونحن لبسناها من الخلقِ البالي

فالمستعمر هو الذي وقف في طريق النهضة العلمية ، وهو الذي بَخَسَ الجزائرَ

حقها في العلم والهدى والنور . يقول الشاعر نفسه: (٣)

توفّر حظّ الناس في العلم والهدى وما زال منقوصاً نصيب الجزائر

وليس أدلّ على ذلك من قول الشيخ الطيب العقبي: (٤)

أطلّ الفكر في الجزائر وانظروا هل ترى أمة الهدى المعلومه ؟

بل ترى أمة تهان وتخسزى وهي في الحق دائماً مخصومه

أمة جهلت كثيراً ووطنت أنها في الضلال غير طوموه

ونعود إلى الشاعر محمد السعيد الزاهري فنراه يصف أمة فيستنكر عليها أن ترضى

بما هي فيه من وضع مخجل: (٥)

يا أمةً ضحككتَ عليــــ (م) بها الناس من بيضٍ وسودٍ

ضحكوا من الجهل الذي غرقت به ومن الجمــــود

همدت قروناً عــــدّةً فألى سوا هذا الهمــــود ؟

إنها إن رضيت بذلك فالاستعمار - ولا شك - أرضى وأرضى به ، لا يهمه إلا ما يعود

عليه بالنفع والكسب ، وإن كانت الأمة واعية فلن تدع حبله على غاريه . وقد تنبه

المستعمر لهذه الحقيقة فأحال المدن المزدهرة بالعلم ، العريقة في التاريخ إلى

(١) ويح الجزائر

(٢) الجزائر تحيي الجزائر .

(٣) الجزائر تحيي المتطوعين .

(٤) خمسة أعوام تمر بعد الرجوع إلى أرض الوطن .

(٥) الشمر الفحل .

خراب يتناجى بين جدرانها البوم ، وفيما يلي وصف لمدينة " تلمسان " التي كانت
قبل المستعمر قِبلة العلماء ومحراب المتعلمين ، فحكم عليها - بعد أن دخل البلاد -
بالغناء والاندثار . يرثيها الشاعر محمد الهادي الزاهري فيقول : (١)

هَذَا لِعَمْرِكَ يَا خَلِيَّ تَلْمَسَانَ فليهنأ القُلبُ وتبرحه أَشْجَانُ
تلك التي أَشْبَعَ الرَّاي رَوَايَتُهُ منها وتاريخها تاج وعرفانُ
تلك التي بزغت أنوارها زماً حتى استنار بها في الغرب سلطانُ
كانها وهي تحت الأَسْرِ هَامِدَةٌ دين من الله قد غطاه كهرانُ

ولم يكن الشعب كله غافلاً عن مرمى هذه السياسة ، بل كان هناك عدد من المتيقظين
الذين يعرفون أهداف الاستعمار أمثال الشيخ الطيب المقبي حين يقول : (٢)

عذيري من قومٍ بنفوا وتجاوزوا حدوداً لقانون يرون احترامه
يريدون إطفاءً لنور عقولنا ويأبى إله العرش إلا تاممه

وإذا كان أجدادنا - كما تقدم - هم الشيوخ وغيرهم التلاميذ ، فلماذا لا يرتد أهل
الغرب ما أعطيناهم ؟ لماذا لا يسمحون بفتح المدارس العربية التي كانوا من قبل
يرتادونها ؟ هذه التساؤلات يلقيها الشاعر " الطيب " على شكل مطالب في قوله : (٣)

ردوا علينا علوماً لو بها بخلت جدودنا كنتم للبهيم ترعوننا
لا بر من يدهي في الملم سابقة ولم يقم بدروس الملم تمريننا

إلا أن هذه المطالب لم تكن - في الحقيقة - موجهة إلى المستعمر وحده ، بل الشعب
كذلك مطالب بأن ينفذ غبار الكسل عن نفسه ، وأن يهتب من رقدته التي كانت
سبباً في وقوعه وسط شباك المستعمر .

يقول الشاعر محمد العيد :

ولكن أبينا أن نُجِيلَ عقولنا لنكشف عما ظل عنا محجّباً

(١) رد التحية فرض .

(٢) نفس القصيدة السابقة .

(٣) أصل تطل في فؤاد حائر .

ولم نسعَ سميَ الفرب في الكشف بالحجى طيه فلم نكسب مع الفرب بكسبها
إذا ما رأينا الفرب أبدى بدائماً ففأية ما نهديه أن نتعجبها

ويقول للشوخ الطيب العقبي : (١)

يا معشر القوم هموا من سباتكم طال الزمان وكم غنى مغنينا
هموا بني وطني من نوم غفلتكم جلّ الصاب وخطبُ الدهر يرمينا
تعلّموا للعلم وامشوا في مناكبها وجانبوا كسلاً أودى باضيننا
وزاحموا الفرب في الدنيا ولذتها وجدّوا عصرَ عزّ في تعاليننا

وإذا كان الشاعر يريد من شمه أن يزاحم الفرب فلا بدّ من التعليم منذ الصغر
— شأن كل بناءٍ يُشرع فيه — حتى يتسنى له أن ينعم بالحريّة والحياة الفضلى ، وهذه
السلوطة تقع على الآباء كما يقول الشاعر محمد الهادي : (٢)

العلم يا قومي فإنّ سبيله للمهتدي أهدى لكل رشاد
ضّموا صفوفكم إليه ووجهّوا لرعاية الطلاب خير قواد
وخذوا بأيدي الناشئين تعلّموا فالناشئون أحقّ بالاسعاد
نشّ المدارس لا عدمتُ زكاه ربحُ البلاد وفضّة الحساد
فإذا تعلّم بالمدارس ساعية يحيا بها حرّاً على الآساد

وفي نفس المعنى يتحدث الشاعر محمد السعيد الزاهري فيقول : (٣)

يا قومنا سار السورى نحو المُلا السير الوخيد
كسروا قيودهم وطسّم تزلّ الجزائر في قيود
هذى الجهالة كم لها خللُ الجزائر من مهود

(١) رد التحية فرض

(٢) أمل تطمّل في فؤاد حائر .

(٣) الشعر الفحل .

لا تطمئنا أن ترتقوا والجهل خفاق البنود
إن شتم أن تلبسوا ثوب المجادة من جديد
فمليكم أولادكم لا تتركوهم كالقروود
يا قوم تفتح المسدا (م) رس للهدى سبب وحييد
رسوا بها الأولاد كسي نسوا على العمد العدييد
فمسي يوم الدهر يخ (م) مدنا وتخدمنا السمود

ويتحدث عن الجزائر وأهمية العلم لها فيقول : (١)

ولم يجدها إلا العلوم وهكذا أخو العلم يحظا بالذي يترجاه
فهل شهد فيها للمعارف معهد وكل وليد في الجزائر يفشاه ؟
ألا فاجملوا العلم الصحيح وسيلة فلم يرق إلا جاعل العلم مرقاه

وقد أولى هذا الشاعر العلم والتعليم أهمية كبرى ، فصار يدعو إليه في أكثر قصائده
وبين فوائده للفرد والمجتمع . يقول : (٢)

ولولا انتشار العلم والجهل في الورى لما كان مغلوب ولا متغلب
فكونوا كمثل الناس فيكم معلوم نصوح ومنكم من يرى كيف يكتب
كذلك فلتأتوا المكثارم إن من يحاولها من دون ذاك لأشعب

ويتكلم الشاعر محمد الهادي الزاهري على لسان جريدة " المنتقد " فيبين الطريق
السوي لأبناء الجزائر ، ويهيب بهم إلى أتباعه فيقول : (٣)

فله والشبان والشيب والحيي تخذت سبيل الحق مهيع ترحالي
وللمعلم أستقصيه نوراً وحكمة جعلت رجائي في نوابغ أجيالي
إلى لفة الذكر الحكيم ومصدر الذ (م) نوايس في عصري وفي العصر الخالي
أهيت بشبان الجزائر كهم فهم قادة الأفكار ريان أهوال

(١) لبيت قومي يعلمون

(٢) وما الناس الا اثنان

(٣) من المنتقد الى الناطقين بالضاد .

وطالب الموسرين بالبذل والتبرع والتشجيع لفتح المدارس العربية التي تعيد إلى الجزائر طابعها العربي وروحها الإسلامية فيقول : (١)

ناشدتكم بالله والرحم التي في الكتب مجد ذكرها تمجيدا
أن تبعثوا للملم في أبنائكم روحاً ومن كيس المشح نقودا
تحيا العلوم إذا البلاد تفتحت زهراتها بين الديار ورودا
ذلك أن العلم كما يقول محمد السعيد الزاهري طريق المجد والسؤدد والعزة : (٢)

ولا مجد إلا العلم يطلبه أخاً عزائم تزري بالسيوف البواتر
بل إن العلم أساس كل شيء . يقول الشاعر محمد الهادي في عرض حديثه عن النهضة الجزائرية المرتقبة : (٣)

فخذوا له نور المعارف رائداً فعلى المعارف كل ما تنوي يقمع
ويردف هذا الشاعر بأن عصرنا الحاضر عصر علم وكثافة وجد ، لا مكان للجاهل فيه : (٤)

تنفس صبح العصر بالملم وانبرى رجال به يطوون كل هضاب
فيا ويح من ينبو به الحد بينهم وكل بطي - لا غرامة - نابي
ويعدد هذا الشاعر فوائد العلم ، ويعرض ثماره الطيبة ، فيذكرنا بما جناه الغرب من جهودهم المتواصلة في العلوم الدنيوية : (٥)

عمد الحياة وإن تعالي سعتها لم تلف غير العلم أطها وضع
والمدفع الفتاك لولا درسه ما رت غائلة العدو وما دفع
والغرب لولا العلم ما أبصرت في أبنائه من قاد في الشرق الجع
والشرق لولا الجهل عم شيبه ما دان للغرب القصي وما خضع

- (١) الفتاة الجزائرية .
- (٢) الجزائر تحيي التطوعين .
- (٣) شباب تونس والجزائر .
- (٤) هي الجنة الفيحاء .
- (٥) شباب تونس والجزائر .

ويقول أيضا في نفس المعنى : (١)

فالعلم أصبح دَرَسُهُ في أَسَّةِ تفي النهوض ضرورة المعتادِ
إن الذي سلب العزيمَ عَزِيمَتَهُ جهل أضَرَّ يفكره الوقَّارِ
يا قوم عَصْرَكُمْ أَقْرَبُ بِمَا لَسَكُمُ من مدفع دَاوٍ ومن منطَارِ
اغدوا على تلك السبيل فإِنَّهَا والله لا يشقُّ طيها الغَادِي

وليس التلميح وفقاً على الرجل وحده ، بل للفتاة نصيب منه وافر ، فالشيخ الطبيب المقبي حين يختار زوجته من بين ذينك التآديات إنما يدعو إلى تعليم المرأة وتأديبها . يقول هذا الشاعر : (٢)

ما حياة المرء مع زو (م) ج له ليست أديبته
غير سجن أبلدي عظمت فيه المصيبة

شأنه شأن الشاعر محمد الهادي الزاهري حين شحذ خياله ، فصور الفتاة الجزائرية الجاهلة تستنجد وتستغيث طالبة إخراجها من ظلمات الجهل الذي غرقت فيه لتشارك أباها في تحرير الوطن والأمة . يقول الشاعر على لسان تلك الفتاة : (٣)

بَلِّغْ من الفتيان فتيان الحمى شعراً يخرِّ له الشباب سجودا
إِنَّا على ما تعلمون بحالِهِ طُئِّتْ به بنتُ النبوغِ جمودا
إِنَّا بناتُ الشعبِ في أميَّة ملأت رؤوس النافثات خمودا
ومشت بها في الناشئين جهالة صاروا بها بين الفرنجِ دودا
إِنَّا لو أن العلم حلَّ بساحة منا لأبصرت النساء أسودا
ما العلم للأوطان إلا روحها فبقده تضحى الديار لحودا
أُسَّ المالك نهضة طميَّة فيها تجدد مجدها المودا

(١) أمل تطل في فؤاد حائر .

(٢) من أبياته التي لا تحمل عنوانا .

(٣) الفتاة الجزائرية .

(٤) حياة نشاط

وإذا كان العلم بهذه الأهمية فيجب على الشعب احترام العلماء وإجلالهم، فهم
صناع أجياع المستقبل . يقول محمد العيد : (١)

أجلوا رجال العلم بين ربوعكم فقدرهم وافى الرجاحة عالي
ولا تغفلوا شأن الصغار فإنهم لمستقبل الأيام خير رجال

وقد لبى طلبه الشيخ الطيب العقبي حيث قدر العلم وأهله ، وأحب الأدب : وعره^{٩/٥}
وسهله ، وذلك حين كتب إليه أبياتا كلها ثناء ومدح منها : (٢)

بيني وبينك وصلة أدبية عمية تنمو مدى الأزمان
إني أحبك لا لشئ غير ما أوتيت من أدب وحسن بيان
ولك التقدم فاجتهد واحرص على نيل العلوم فتلك عمر ثاني

وتبعه الشاعر محمد الهادي حين وقف بين جموع التخرجيين من أبناء الجزائر وتونس
فقال مفتطاً بذلك اليوم : (٣)

يوم تَبَلَّسَجَ فيه نور المجتمع أعظم بشبان وأشياخ جمع
في الدين والدنيا وفي أم اللغى والمعلم . كل للتعارف قد نزع

وقال فيهم أيضاً الشاعر محمد السعيد : (٤)

مضى نفي بيني المعارف من بنو ال (م) جزائر حتى أب أوبة ظافر
فأهلاً وسهلاً بالذين تطوعوا لخدمة هذا الشعب شعب الجزائر
هم النشء لا نشء أضاع شبابه وأمواله بين الخنا والمخامر
شباب يرى تغريظه في بلاده وتضييمه للقوم إحدى الكباير

ويتذكر هذا الشاعر مجلس أنس^١ مر به في يوم من أيامه الماضية ، فتشبت به ذاكرته
لأنه جمع خيرة الشباب ، وهوى أحسن المواعيد الأدبية . يتحدث الشاعر عن نداءه

- (١) حياة نشاط
- (٢) الأقلام أسلاك متاجاة .
- (٣) شباب تونس والجزائر
- (٤) الجزائر تحيي المتطوعين .

فيقول : (١)

نفر لم تكن لتبصر فيهم غير من تعشق النهي آدابيه
من فتى ياله متى هزّ فينا فلماً حاذقاً بصوغ الكتابيه
فإذا أعلت اليراعة في أمـ (م) سر بهم الورى أصاب صوابيه

ولم يقتصر الثناء والمدح على الأحياء من رجال العلم والأدب ، بل تمدّاهم إلى
الأموات على شكل رثاء حزين مؤثر ، وشاهدنا على ذلك ما قاله الشيخ الطيب
الحقبي في رثاء صديقه الشيخ " محمد المكي بن عزوز " (٢)

قد غربت شمس الحقيقة بمداه
وقد غاض بحر بالعلوم غطّطم
علوم بها ضاق الفضاء بفرينا
فكان لها في الشرق للدين مقدم
ففاضت وأروت من عطاش عصابة
على حين أن " الشرق " بالجهل أقم
لمرك ما رشدي عليّ بأيـ
لك الله قد أودى بك العلم والتقوى
وأودى (٣) الهدى والجود بمدك يعدم

وليس بكثير أن يجازى هؤلاء بالشكر والتبجيل ، فهم قناديل تضيء للشعب طريقه
لتحرق نفسها ، وهم نجوم يهتدي بها الضال في قعر سميق ، بل هم فوق كل وصف
عند من يعرف فضلهم وفضل أمثالهم حق المعرفة ، لذلك نجد الشعراء حريصين
على استمرار هؤلاء في البذل والمطاء الفكري ، وها هو الشاعر محمد الهادي الزاهري
يضع البلاد والنشء أمانة بين أيدي هؤلاء الجهابذة عندما يقول : (٤)

ودعائم الملك العظيم معارف فإذا عرفت فأوجفن بالحافر
هذي بلادكم وهذا نشوكم فكلاهما يرنو رنو الحائر
هزوها فلعل ضعفهما إذا هزا تلاشى كالغمام السائر

(١) اجتماع الضدين .

(٢) أول مرتبة له في الشيخ المكي بن عزوز .

(٣) الأفضل عندي لو استبدل كلمة " أودى " بكلمة " أضحو " .

(٤) إن الحياة هي المحظوظ .

وهاهو أبو اليقظان يمتدح بالجميل لهم ، ولكنه يستزيدهم تضحية وشابرة: (١)

يا ساسة الأفكار قتم بالذي يدعو إليه الوقت والحاجات^١
لا تسأموا لا تيأسوا لا ترهبوا بل ثابروا فأمامكم جنات^٢
جدّوا وكّدوا واخلصوا وتكاتفوا فبذى الصفات تذلل العقبات^٣
سوسوا العقول بحكمة^٤ وتبصّر^٥ فبزلسة تفششواكم^٦ زلات^٧

وهكذا فقد رأينا كيف خدم الشعر مهمة التعليم ، ووقفنا على المعركة بين النور والظلام ولمسنا النتائج الطيبة لمجهودات جمعية العلماء ، يظنها رجال أكفاء لم ينوا أو يكتوا في سبيل مبادئهم وأهدافهم التي جنى الشعب ثمارها ولم يزل . فسلام^٨ الأحياء^٩ منهم في دورهم ، ورحمة على الشهداء في قبورهم .

* * * * *

" الصحافة "

لكل شعب وساطه المتعددة للتعبير عن آماله أو آلامه ، والصحافة إحدى هذه الوسائل فهي رسول من الشعب وإليه ، يبشر أو ينذر ، ولسان متنقل يحمل الانطباعات ويبين الرغبات . ولن تكون تعريفاتنا للصحافة مرضية إذا وضعناها بجانب تعريف أبي اليقظان حيث يقول : (١)

إن الصحافة للشعوب هِنَاةٌ	والشعب من غير اللسان مواتٌ
فَهِيُ اللسان الفصح الدَلِقُ الذي	ببيانه تُتدارك الغايباتُ
وهي الوسيلة للسمادة والهناء	وإلى الفضائل والعلا مرقساةٌ
فِيها إلى الأم الضعيفة ترفع الر (م)	رغبات منه وتبلغ الأصواتُ
هي ممرض الأعمال برهان على	مقداره بل إنها المرآةُ
الشعب طفل وهي والده يرى	لحياته ما لا تراه رعساةٌ
بيناً نراه يهيم في ظلم الحيا (م)	ة ترى له ما لا يراه هداةُ
في اليوم تفعل في نفوس الخلق ما	لا يفعله في الشهر دعساةُ

والصحافة العربية الجزائرية لم تخطئها مخالف المستعمر - كما سلف - ولم ينسب عن باله أن يئدها خوفاً من أن تجلب له العار والخزي ، فصار يتعقب الصحفيين العربية ، ويحاربها بكل قواته ، ما أدَّى إلى استشهاد عدد كبير من الجرائد والصحف . وها هي جريدة " الجزائر " تحيي شعب الجزائر ، وترسم طريقها الذي ستسير عليه وهي مع ذلك لا تستغرب إذا اغتالها المستعمر ، فهذا طبيعه مع غيرها .

يترجم الشاعر محمد السعيد لسان حالها فيقول : (٢)

ألا في سبيل المجد هَلِي وترحالي	وسعالي في العلياء والشرف العالي
فإن نلت ما أبغي فذاك وإن أمت	فكم مات من دون المنى قبل أشالي

(١) الصحافة .

(٢) الجزائر تحيي الجزائر .

أرجو بأن يبقى الزمان ساعدي ومن طبعه ألا يدوم على حال
وإذا تأوه الشعب التونسي لما أصاب صفه ، طمأنه أبو اليقظان بأن ما في الجزائر
أدهى وأمر ، وأنكى وأحرر : (١)

يا شمس تونس إن أصابك كسفهم فلقد أصابت شمسنا ظلمات⁹
أما جريدة "الشهاب" فهي تعتبر هذا الكسوف سنة وأمرأ طبعياً مألوفاً يتكرر كل
يوم مع أعظم آيات الله : الشمس والقمر ، يتحدث على لسان هذه الجريدة الشاعر
محمد العيد فيقول : (٢)

فإنَّ السسكوت فصل الخطاب	إن أكن قد سكَّت قبل طيِّئاً
فقمُّ الكون كافل بالجبواب	إن تقولا : كيف احتجبت طينا
تتوارى عشيةً بالحجاب	هذه الشمس وهي آية ربي
يتفشروا بمكهمسر السحاب	ذلك البدر صنوها وأخوها
أفأسي من أجلها في اكتساب ؟	سنة الله في الكواكب مثلي

ويأتي دور جريدة "المنتقد" فتصف ما أصابها وتبين أنها ظلت زناً طويلاً في
زنزانة المستعمر ، ويوضح الشاعر محمد الهادي كيف افترق الشعب نحوها قسماً :
فقسم تملق بها وفرح بخروجها من تلك الزنزانة ، وقسم آخر ارتاع لخروجها وتمنَّراً
لو أنها بقيت في سجنها لأنها ستفضحه وتحاربه . يقول الشاعر على لسانها : (٣)

قضيت زماناً في الفيوب محجياً	وفي الناس سؤال وما أحد سألني
فمنهم طوع بالمعارف مفهرم	يقدر أعالي ويرقب إهلالني
وذوشجن منه الفؤاد معذب	يحاذرنني كرهاً ويحذر أقوالني

والقسم الأخير يمثل أعوان المستعمر ، الذين تقدم الكلام عنهم ، والذين باعوا

(١) الصحافة .

(٢) الشهاب يحيى الشباب .

(٣) من المنتقد إلى الناطقين بالضاد .

ضماثرهم بضمن بخص ، وأخذوا يحاربون إخوانهم في كل طريق وبكل طريقة . وقصف هؤلاء في وجه الصحافة العربية ، وكالوا لها الافتراءات والتهم ، وصار يوم عيدهم هو ذلك اليوم الذي تساق فيه صحيفة عربية إلى جبل المشنقة . ويتحدث عنهم الشاعر محمد العيد على لسان جريدة " الشهاب " فيقول : (١)

كذَّبَ الفُتري وجاءَ ببيدعِ سوف يلقى جزاءه في الحسابِ
صاح ما شاء أن يصيح ولكن ما على الحر من هواء الذئبابِ ؟
سرّه أنني انقلبْتُ ولمّا يدّر أن استقامتي في انقلابي
سرّه أنني انقلبْتُ من اللُّب وفضل ونعمة وشوابِ
فلئن رحتُ غيلةَ الإفتراءِ (م) ت فإني قد أبتُ خير مآبِ

ويصّب الشيخ الطيب الحقي جام غضبه على المستمر وساعده حين يفعلون فعاظهم الشنيعة هذه بصحافة الشعب فيقول : (٢)

أخزى الإله أناساً لا خلاق لهم زعانفاً بخسيس العيش يرضوننا
قد حرّموها ولم يدروا لحرمتها حقاً لجهلهم وكيف يدروننا ؟
هم شرّ كل الورى تصماً لرائدهم ولست أحسبهم إلا شياطيننا

ولم يكن هذا العداء المستحکم بين المستمر والصحافة العربية دون سبب ، بل هناك أسباب وأسباب تدعوه إلى ذلك ، وأهمها هو الاتجاه الذي سارت عليه والأهداف التي كانت ترمى إليها . فكيف كان هذا الاتجاه ، وما هي هاتيك الأهداف ؟ إذا أردنا الإجابة على هذا السؤال وجدناها ماثلة في قول الشاعر محمد الهادي الزاهري حين يتكلم عن جريدة المنتقد : (٤)

فله والشبان والشيب والحمى تخذت سبيل الحق مهيع ترهالي

(١) الشهاب يحيي الشباب .

(٢) رد التحية فرض .

(٣) هذا الشطر مختل الوزن ، والأفضل منه : حقاً لجهلهم بل كيف يدروننا ؟

(٤) من المنتقد إلى الناطقين بالضاد .

وللشعب أبغي رشده ورقبته
بسطة لهم كف الوداد إلى المدى
فإن قدموا من روضة الفكرة زهرة
على اللغة الفصحى وإعلاء شأنها
فمالي سوى نهج الصواب طريقته
وما لي نوايا غير تأليف نشأة
وإنني على نهج الحقيقة دائب
أجادل بالحسنى وليس بضائري

جعلت حياة النشر مهبط أعمالني
وأرحبت صدري للذي سوف ينهي لي
وهبت لهم نفسي وذاتي وسربالي
وترديد ذكراها أعاقب أشفالي
ومالي سوى جند الحقيقة من والي
تناشد حق الشعب في كل تجوال
وما ضربي أن أجمل الحق منوالي
تطير قال أو تروغ محتسبال

هذه هي الطريق التي تسير عليها جميع الصحف الوطنية المؤمنة بالله وبحقها فسي
الحياة والبقاء . وعلى نمط القصيدة الآتية الذكر وزناً وقافية يتحدث الشاعر محمد
السميد الزاهري في نفس الممنون مقتصاً شخص جريدة " الجزائر " فيقول : (١)

ألا في سبيل المجد حلّي وترحالي
سأبعث في قومي حياة إذا أنا
وأطلب حقاً للجزائر ضائعاً
وأركب متن الجد واللين إنني
وأنشر فيهم ما انطوى من فاخر
وأفعل ما أقوى على نفع أمسي
وأندبُ شأن الجزائر عليهم
وأقوس سبيل المصلحين فإنسه
ألا في صلاح الشعب أصرف مهجتي

ومساعي في العلياء والشرف العالي
حييت بأعمالي وصادق أقوالي
ولو كان محمياً بأنياب أغوال
رأيت ركوب الجد واللين أولي لسي
وفضل لأجداد أوائل أقبسال
إذا لم يكن غيري عليه بقمسال
يجيبونني يوماً على حمل أثقال
لأوضح منهاج وأحسن منوال
وفي الشيب والفتيان والصحب والآل

(١) الجزائر تحيي الجزائر.

أما الشاعر محمد العيد فقد تبنى جريدة "الشهاب" وصار يتكلم بلسانها قائلاً: (١)

خَلِيًّا مِنْكُمْ حَدِيثَ احْتِجَابِي عَرَجَابِي عَلَى الْمَلَا عَرَجَابِي
إِرْكَبَا بِي مَتَنَ النِّجَاحِ وَخَوْضَا بِي عِيَابِ الإِصْلَاحِ فَهُوَ عِيَابِي
وَاطْلُبَا بِي رَغَائِبَ الشُّعْبِ إِنِّي فِي سَبِيلِ الْمَلَا وَقَفْتُ طِلَابِي

لقد عرف المستمر هذه الأهداف التي تسمى إليها الصحافة العربية في الجزائر - وخصوصاً صحافة الجممية - فخشي نتائج هذا النضال العنيف وأوصد البصر في وجوه القائمين عليها وطفق يذيقهم مرّ المذابح، ولكنهم صبروا وصابروا وجاهدوا في الله حقّ الجهاد، فوافقتهم التحايا من كل حدب وصوب تبارك جهودهم وجهادهم. ومن بين المحييين لهم الشيخ الطيب المعقبي حيث قال: (٢)

حَيِّ الْجَزَائِرِ مَا دَامَتْ تَحْيِينَا وَانْهَضْ بِشُعْبِ قَضَى فِي جِهْلِهِ حِينَا
تِلْكَ الصَّحَافَةُ لَو تَنَدَى الأَكْفَالِهَا لَا شَيْءَ عَنْهَا مَدَى الأَزْمَانِ يَسْلِينَا
مَرْحَى لَهَا وَطَمَنَ قَامُوا بِوَأَجِبِهَا يَدْعُونَنَا عَلْنَا لِلْحَقِّ مَصْفِينَا
اللَّهُ رَفَقَكُمْ . قَتَمَ بِوَأَجِبِكُمْ حَقَّقْكُمْ مَا رَأَى الْفَيْرُ (٣) تَحْمِينَا
يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ الأَسْمَى وَحَامِيَهُ جَرَّدْ حَسَامَكَ وَاعْمَلْ حَازِماً فِينَا
وَنَادَنَا إِنَّا طَلَّتْ مَضَاجِمُنَا مَنَا الْجَنُوبَ وَمَلَّ الْقَوْمَ نَادِينَا
حَيِّ "الْجَزَائِرِ" مَا قَامَتْ بِوَأَجِبِهَا وَحَيِّ صَاحِبِهَا مَهْمَا يَحْيِينَا
تَحْيَا الْجَزَائِرِ فِي عَيْشِ مَنْعَمَسَةِ فِي ظِلِّ دَوْلَتِنَا آمِينَ آمِينَا

وكما قلنا - قبلاً - فالصحف الجزائرية المناضلة تقضي جلّ حياتها بين الاختفاء والظهور فلا تكاد صحيفة تبدأ نضالها حتى تقع عليها يد المستمر الثقيلة فتكتم أنفاسها البطانة وهذه جريدة "صدى الصحراء" تحتفل بصورتها إلى حياة العمل والجهاد من جديد فيعبر عنها الشاعر محمد العيد أصدق تعبير حين يقول: (٤)

(١) الشهاب يحيى الشباب .

(٢) رد التحية فرض .

(٣) الأفضل عندي لو تستبدل كلمة "الفير" بكلمة "الناس" . لأن كلمة "فير" لا تقتزن بها أُل التصريف .

(٤) من صدى الصحراء إلى الشعب .

صفا العيش لي واغد ريف ظلالي
صفا العيش لي وازدان روض مواهي
ولانت لي الأيام وهي عصيبة
وباتت نجوم الليل وهي طوالع
وترنو إلى وجهي بإيماض نورها
وتوجني المقدور (١) تاج كرامة
كُتبت فكان الحق طوع أناطي
وكنت " صدى الصحراء " أدعى لا أني
فما لتكاليف الزمان وما لي
وأبغض فضلي واستهان كمالسي
فما لي لا أزهو بنظرة حالي ؟
ترق لي البشرى بنيل سؤالي
فبهبجها مني بديع جمالسي
فأنحى على بؤسي وأسمد حالي
وقبت فكان الصدق وسع ومقالي
بسطت على الصحراء نور هلالسي

هذه هي صحافة الجزائر الصامدة ، وذلك هو شأن الاستثمار معها ، فهل
تضعفت ؟ هل انهزمت ؟ . لقد وقتت كالطود الأشم في وجه أعدائها ترشقها
بنيران اللهب ، وتنفر الشعب منهم ومن أحابيلهم حتى أثمرت وأنتجت جهودها
وصار أبناء الجزائر اليوم يمشون على تلك الشار النافمة .

(١) الأفضل عندي لو تستبدل كلمة " المقدور " بكلمة " الرحمن " .

” الوحدة ”

إن أيّ أمة تحاول النهوض من كبوتها ، والتحرر من قيودها ، والسير نحو المجد والعزة والكرامة لا بدّ لها من توحيد قواها في قوة واحدة ، وجمع شتاتها إلى هدف واحد . والأمة الجزائرية ظلّت أعواماً عشرات تحت رحمة المستعمر الفرنسي الذي لا يرحم ، فكان همه حين دخل البلاد هو التفريق بين أبناء الأمة الواحدة والدين الواحد ، فقسّم المواطنين إلى قوميات مختلفة من عرب وبربر ويهود وغيرهم ، وزرع الشقاق والحرب بينهم ، حتى تمكن من السيطرة عليهم جميعاً .

ويصور هذه الحالة المحزنة الشاعر محمد السعيد الزاهري فيقول : (١)

كل الشعوب تبيت فيما تشبثي ويبيت شمبي في ضني وسهاد
وينو الجزائر بمد ذلك لم يزا (م) لؤا اليوم بين خصومة وتصادي
يبضون توحيد العقول ودون تو (م) حميد العقول توحّد الأجساد
كيف السبيل إلى الوفاق وأنت لم تبرح لذنّب أخيك بالمرصاد
ويعدّ هو (٢) عليك كل الصالحا (٣) ت ماثما بتمنّت وعنساد
هذا هو الداء المياء يفتّ فسي أعضائنا ويفتّ في الأعضاد

ويقول في قصيدة أخرى ، جامعاً بين الشكوى والدعوة إلى الوحدة : (٣)

فيا نشأنا هذي بلادك تشبثكي إلى الله من شؤم الجدود المواشر
وتشكو من القوم الذين قضا بها زماناً ولكن في قبيح التنافر
فلا تك أشتاتاً إذا جدّ حادك فما ضرنا إلا انحلال الأواصر

أما الشاعر محمد الهادي الزاهري فإنه يحاول أن يمزج نفسه بأغية الجزائري ، فيكون الطريق والنضال والعذاب مشتركاً بينهما لأن تراب الوطن كذلك : (٤)

(١) ويح الجزائر .

(٢) لا يستقيم البيت الا بتشديد الضمير .

(٣) الجزائر تحمي القاطوعين .

(٤) هي الجنة الفيحاء .

تمدّ إلى أكبادنا برقاب
ذهابك في نفع البلاد ذهابي
ضربك في وقت الطمان ضرابي
ودرعي من بين الكماة إهابي
عذابك في دور الكفاح عذابي
ترابك فيها واحد وترابي

تَمِيقُظُ فَمِها تَلِكُ الحِواثِ أَقْبَلتُ
خُذِ المِهدَ مِني وَلِيكِ الأَمْرُ بَيننا
وَنفِسِكَ في الإِخْلاصِ نَفْسي وَفي الوُضْيِ
وَدِرْعِكَ صَبْرَ لا مَني وَتَجَلَّـدِ
إِذا كانَ هَمِّي مِثْلَ هَمِّكَ فَليَكُنْ
وَلِيسَ لَنا إِلا الجِزائِرُ موطن

وها هو الشيخ الطيب المقبي قد جعل خدمة البلاد وحبها من الفروض والواجبات المقدسة التي يجب قضاؤها : (١)

لا تهطوا خدمة الأوطان واتحدوا
أوطاننا حبها فرض نقدمه
عنها رضينا ولن نرضى بحطتها
فيم التمادي على عمياء مهلكة

فباتحادكم الأوطان تدنينا
لا شيء عن حبها في الناس يشنينا
وليس غير علا الأوطان يرضينا
هدت من المجد ما بينه بانينا

فحب الأوطان يكون بالوحدة والتكامل ، وقد شعر الشيخ عبد الحميد بن باديس بالفارق بين جيل الآباء وجيل الأبناء ، فدعا إلى أن تكون نفرة الجميع لخدمة الوطن وأن يكون الهدف واحداً . فيقول : (٢)

يا قوم هذا نشؤكم
كونوا له يكن لكم

وإلى الصمالي قد وشب
وإلى الأمام ابننا وأب

ولكن محمد الهادي الزاهري يريد أن تكون هذه الوحدة حسية وطموسة ، فيهب بأصحاب النخوة إلى مساعدة المنكوبين بطوفان سد " فرقوق " ، يريد أن يجسم هذه الوحدة بالتعاون المادي فيقول : (٣)

(١) رد التحية فرض.
(٢) تحية المولد الكريم.
(٣) نكبة الجزائر بطوفان سد فرقوق .

بني وطني مصابكم جليل
وهزوا البائسين بني أبيكم
لنا وطن يولفنا جيمماً
وهل لكم كموطنكم إذا ما
إلى الإحسان فاستبقوا وجدوا
فكل منكم لأخيه رفداً
إذا ما الخطب أقبل منه جند
فهتم ما أردت أب وجد
فمن وافى به وافاه مجد

ويبين الشاعر أهداف دعوته تلك حيث يقول : (١)

وما لي نوايا غير تأليف نشأة
تناشد حق الشعب في كل تجوال

ولا بد لمن يريد الوحدة الحقة أن يتجشم الصواب وينسى نفسه في سبيل المجموعة
لذلك نرى الشاعر محمد العيد يستزيد الشباب الواعي ثباتاً على وحدته ، ويبين
له الطريق الكافل للنصر : (٢)

يا شباب الملا اعصم بالتأخي
انشر السنة الكريمة واعمل
زاتك الله في الملا من شباب
بهذاها وخذ بهذا الكتاب

ومن الشعراء من وصلت به درجة المبالفة في وجوب الوحدة إلى أن يتساوى عنده
المشرك والمسلم ، فالدين كما يقول محمد السعيد الزاهري شيء ، وخدمة الوطن شيء
آخر : (٣)

أنا لا أفرق في بني هذى الجزا (م)
إن كان حبك للجزائر خالصاً
ثريين ذي شركٍ وذي إلحادٍ
فلأنت أهل أخوتي وودادي
ماذا علي أكنت بمد أخا هدى
أم كنت معتكفاً على الأوراد

وأبناء الوطن مهما اختلفت أجناسهم يجب عليهم الدفاع عنه . يقول الشاعر محمد العيد
مخاطباً بلاده :

(١) من المنتقد الى الناطقين بالضاد .
(٢) الشهاب يحيى الشباب .
(٣) ويح الجزائر .

حماك ربيع لي وإن كان جاحماً طي وهل يصلو خليلك جاحمٌ ؟
وقرباك هم قرياي لست مبالياً أعاريب هم في جنسهم أم أعاجمُ
فخذ من دمي يا ابن الجزائر إنني أخ لك في كل الحظوظ أقاسمُ (١)

ولم يكف هؤلاء الشمرء بالدعوة إلى الوحدة الضيقة لأبناء الشعب الجزائري ، بل دعا
إلى وحدة عامة وشاملة للبلدان الأفريقية المهضومة حقوقها .

ولنرخ السمع قليلاً إلى محمد الهادي حين يرحب بشباب تونس والجزائر المثقين : (٢)

شبان تونس والجزائر أقبلوا يتحالفون ولتحالف تسع
في الدين والدنيا وفي أم اللغى والعلم . كل للتعارف قد نزع
أفريقيا وطن الجميع وحبذا وطن به نقضي على تلك الشيع
وطن به نحيا ونهت بعد ما نلوا وغير بنيه ملكاً لم يسع

وينثني لبيّن نتيجة التضامن والتعاون : (٣)

وبنو أبي لا زلت أطلب جهدهم حتى أضعف في النضال جهادي
جهد الرجال إذا تلاقى في الضوا أعظم به من عدة وعناد
وقوى الشعوب إذا تممن معن في وحدة الأرواح والأجساد

(١) القصيدة بدون عنوان .

(٢) شباب تونس والجزائر

(٣) أطل تطلعت في فؤاد حائر .

" التحريض على الثورة "

قال الشاعر : الجِدُّ في الجِدِّ والحرمان في الكسل لا فانصبَّ تصب عن قريب غاية الأمل
هذا البيت يتردد كثيراً على الألسنة ويعتبره الناس من أبيات الحكم وهذا الحكم
- لا شك - عادل . ولكن لا بد أن نحكم نفس الحكم - أيضاً - على قول الشاعر
الجزائري محمد الهادي : (١)

والدهر يعطي المرء من دولاته حسب الجهود فناطوه جهودا

ولا غرابة في ذلك فالشاعر الجزائري قد دعا - كثيره من الشعراء - إلى العمل
والجد والكفاح للوصول إلى الأهداف والغايات السامية . ولقد كان الشعر الجزائري
في جملته دعوة إلى النضال الجاد والعمل الشمر ضد شرذمة باقية من أبناء الغرب ،
نزلت في أرضه وأذاته الهوان والذل . وقد قال الشاعر القديم :

ولا يقيم على ضم يراد به إلا الأذلان غير الحي والوتد

لذلك هبَّ شعراء الجمعية يستنكرون غفلة مواطنيهم ، وتخاضلهم في سبيل حقوقهم
ومن ذلك قول الشاعر محمد السعيد الزاهري : (٢)

هَبَّتْ جميع الناس من نومٍ ولم تزل الجزائر في لذيد رقباد

وأرى الجزائر في همودٍ لم يكن يوماً بمصمود ولا معتباد

ما للجزائر لا تحرك ساكناً أفلم يكن أبناؤها بمعباد ؟

إنها دعوة صريحة وصرخة مدوية على هؤلاء التخاضلين عن حقوقهم إلى أن يتنبهوا
من رقدتهم ويقفوا في وجه الغاصب الأثيم . إلا أن هؤلاء التخاضلين قد يتعللون
بأن الدين الإسلامي يحرم الفتنة ويدعو إلى السلام . . . لكن الشيخ الطيب العقبي
يفتي لهم ويحلَّ سألتهم بقوله : (٣)

(١) الفتاة الجزائرية .

(٢) وبع الجزائر

(٣) رد التحية فرض .

يا معشر القوم هبوا من سبباتكم^١ طال الزمان وكم غنى مفنيننا
هبوا بني وطني من نوم غفلتكم^٢ جل المصاب وخطب الدهر يرمينا
ما كان قط حراماً في شريعتنا سير^٣ بأوطاننا فيما يرقيننا
يا أيُّ لنا شرف الإسلام منقصه وإن تكن حادثات الدهر تُصمينا
وزيد محمد الهادي^٤ فنهوض لتهم الطريق الصحيح وهو وحدة الهدف
خير التعاون والتأرب جمعة فيما يرد على البلاد المنتزع

ويأمرهم بالاستعداد لمواجهة الأخطار وتخطف العقبات ، وذلك في قوله : (١)

إن الجزائر موطن أجمل^١ به من موطن فوق البسيطة بسادي
فإذا أردتم أن تكونوا أهلها فلتسمدوا أيها الاستعداد

والاستعداد يكون بالتضحية وإنكار الذات ، وبذل النفس والنفيس . يقول نفس الشاعر : (٢)

فاطرح اللهم واقطن^١ ليالي (م) لك بمزم ، وخض عراق الزحام
وابذل النفس والنفيس لشعب^٢ فيه قضيت زهرة الأيام

إذن لا بد من عمل جدي نافع لتصل الجزائر إلى قمة المجد ، وهذا هو ما رآه
الشاعر محمد السعيد الزاهري حين قال : (٣)

فخذ لك المزم بتاراً لملك أن تعمد ما طاح من عز وتأييد
هيا إلى عمل يجدي فحاجتنا إلى أخي عمل بالمزم معضود
علّ الجزائر تفدو وهي تخطر في ثوب قشيب من العلياء مقود

ويستثير هذا الشاعر هم الجزائريين لكسر قيودهم التي قيدهم بها المستعمر فيقول : (٤)

يا قومنا سسار السورى نحو الملا السير الوخيد
كسروا قيودهم ولم تزل الجزائر في قيود

(١) أمل تطل في فؤاد حائر .

(٢) ذكرى زهرة الأيام .

(٣) الناس والدهر .

(٤) الشمر الفحل .

ويقول أيضا : (١)

لقد كسر الناس القيود وحطّموا
ونحن بقينا في قيود وأغلال
فما أحد منا يحرك سـاكناً
لدى نوب تفسى البلاد وأهوال

ولكن كيف يكسر الشعب قيوده ؟ إن ذلك لن يكون إلا بالتضحية والعزم وركوب
المخاطر ، فهناك هدايا كما يقول الشاعر أبو اليقظان لا بدّ من تقديمها لكسي
بنال الإنسان حرّيته ويحي كراته : (٢)

ابن صرح المجد عن أس الضحايا
واشد عرش العلاء رغم البلايا (٣)
خض غمّار الهول غوصاً إنما
لؤلؤ التيجان في بحر المنايا
إن في الموت لطلاب الملا
لحياة لا حياة أهل الدنيا
إنما الدنيا جهاد من ينم
يومه داسته أقدام الرزايا
ليس حكم النفي والسجن ولا ال (م)
حكم بالشنق له إلا مطايا
أي شعب نال ما نال إذا
لم يقدم سلفاً تلك الهدايا ؟
أي شعب نال حرّيته
وهو لم يطلع لها تلك الثنايا ؟

ولا بد من الإيمان بسمو الهدف قبل الإقدام على التضحية . يبيّن ذلك الشيخ
عبد الحميد بن باديس ، ويقدم نفسه أول الضحايا في قوله : (٤)

فدوسوا على العهد حتى الفنا
وهتى تنالوا الحقوق السنية
تنالونها بسـواعدكم
وأيمانكم والنفوس الأبيسة
فضحوا وها أنذا بينكم
بذاتي وروحي عليكم ضحية

والتضحية تكون - كذلك - بالدفاع عن العقيدة والمبدأ ، إن القابض على دينه
تحت الاستعمار كالقابض على الجمر .

(١) الحزائم تيجي الحزائر

(٢) عدا رج الخلاص والتحرير .

(٣) يظهر أن هذا الشطر مختل الوزن .

(٤) عنوان القصيدة هو " السياسة " في نظر العلماء ، أنظر كتاب : قال الشيخ الرئيس

لمؤلفه محمد الطاهر فضلا ، ص ١٠٧ . وانظر كتاب ابن باديس حياته وآثاره

ج ٣ ، قسم الشعر .

يقول الشاعر محمد المييد : (١)

أفبقوا فهذا الدين بين ربوكم تنازله الأحداث شر نزال
تحاول تكباء الضلالة نسفه وترميه أشلاء الردى بنبال
فقوموا مقامات الدفاع هياله ليأمن هذا الدين كل ضلال

أما الدفاع عن الوطن ، فيعتبر لدى الدعاة بيت القصيد ، وقد وضعوه في رأس قائمة التضحيات . يقول أبو اليقظان : (٢)

ذودوا عن الحوض العزيز بأسركم عزماً فأنتم للجميع حماة
ويقول محمد المييد : (٣)

ويا ولدَ الجزائر صنّ حماها وكن برّاً بساحتها أديبها
ولا تخش (٤) الوقاع بها فإني رأيت الله مظلماً رقيبها

أما الشيخ عبد الحميد بن باديس فإنه يخص النشء بدعوته الثورية ، ويلقي على عواتقهم مسؤولية تحرير أرض الوطن ، وينيط بهم مهمة الدفاع عنه فيقول : (٥)

يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها وخض الصفوف ولا تهيب
وارفع منار العدل والـ (م) إحسان واصدم من غضب
وأذق نفوس الظالمين (م) من السمّ مُنزع بالرهيب
واقطع جذور الخائنين (م) من فمنهم كل المعطوب
واهزز نفوس الجامدين (م) من فربما حيي الخشوب

ويجيبه الشاعر محمد الهادي الزاهري نيابةً عن نشء الجزائر ، فيبحث له عن رفيق يعاهده على إخلاص المصل وتوحيد الضربة فيقول : (٦)

-
- (١) حياة نشاط.
 - (٢) الصحافة .
 - (٣) في زمة التاريخ
 - (٤) الأفضل عندى لو تستبدل كلمة " تخش " بكلمة " تنو " .
 - (٥) تحية المولد الكريم .
 - (٦) هي الجنة الفيحاء .

تميِّظُ فيها تلك الحوادث أقبَلت
غذ المهد مني وليك الأمر بيننا
ونفسك في الإخلاص نفسي وفي الوفا
وليس لنا إلا الجزائر موطن
هي الأم وأست في الصبا كل مرضع
تمد إلى أكبادنا برقاب
زهابك في نفع البلاد زهابي
ضرايك في وقت الطمان هرابي
ترابك فيها واحد ورايبي
فلاهر من أبنائها الصابي

ولا يفوتنا أن الدعوة إلى الدفاع عن الأعراض والأخذ بالثأر من انتهكوها ، إنما هي دعوة إلى الثورة والتضحية في سبيل الله والوطن . فعين تفتصب الفتاة الجزائرية " وريده " ثور الغيرة وتتأجج في نفس الشاعر محمد الهادي الزاهري فيسطر انطباعاته شعراً مستنكراً حيث يقول : (١)

إن بنت الشمب عار أن تضيع
كفكفوا عن مدمع الثكلى الدموع
أنقذوا الغادة والخود الشموع
خذ بثار البنت من مستهتر
قبل أن تودي بطرف أحور
تنقذوا الأعراض من ذا الوضر

وليست هذه الدعوات إلى الدفاع عن الوطن والعقيدة والأعراض تمنى أن الشمب مدم من المناضلين . بل إن هناك رجالاً مخلصين يملطون بصمت ودأب في سهيل بلادهم وعقيدتهم ، ولعل الشاعر محمد العيد يمتهم بقوله : (٢)

إن تكن قد بينت في الناس مجداً
فاحرس المجد من دواعي الخراب
فهؤلاء مطلوب منهم الاستمرار في جدهم وكفاحهم ، وغيرهم مطلوب منه تفسير الاتجاه الخاطيء إلى الطريق الأقوم لكي يتضاعف النضال فيجنى الجميع ثمرات هذه الجهود التي بذكرها محمد السعيد الزاهري حين يهيب بشباب الجزائر إلى اقحام كل خطب وركوب كل صعب فيقول : (٣)

(١) مأساة وريده .
(٢) الشهاب يحيي الشباب .
(٣) الجزائر تحيي الجزائر .

وأندبُ شبان الجزائر عليهم
يجيبونني يوماً على حمل أثقالِ
فإن كان منهم من يجيب فإننا
سنحظوا بما ننوي ونحظوا بأصالِ
وإن كان لي قومي سمونا بشميننا
إلى منزل بالفضل والمجد محلالِ

ويقارن هذا الشاعر بين النشاط والكسل ، فيبين فوائد الأول ومضار الأخير حتى
لكأنه ينادي شعب الجزائر ليستفيد من هذه المقارنة . يقول الشاعر: (١)

وما الناس إلا اثنان : هذا منكم
وذاك على جمر الشقا يتقربُ
وهذا أخو عزم يجدد إلى الملا
وذلك لا ينفك يلهو ويلعبُ
ومن لم ينم إلا غراراً رأيتـه
وكم منه في الملبيا تبلج كوكبُ
ومن بات حلفاً للكرى ملء جفنه
فهيهات أن يحظوا بما يتطلبُ

وإذا كان كل ما تقدم يعتبر دعوة صريحة إلى الوقوف في وجه المستعمر فإن بعض
الشعراء أتوا بهذه الدعوة خفية على شاكلة قصة " كلبلة ودنه " ، فالشاعر محمد العيد
- مثلاً - يدعو إلى انفصال الجزائر عن فرنسا في سياق رواية الزوجين المتحاكمين
إلى القاضي ، وكأنه لا يمني من ذلك شيئاً ، ولكن الذكي الحاذق يعرف ذلك ،
فإننا لو أعلنا الفكر قليلاً في الأبيات القادمة لعرفنا أن غزالة هي الجزائر
وأن زوجها هو فرنسا ، وهذا الزوج تزوج زوجته قهراً وغصباً ومدد مدة صار
لا يهتم إلا بنفسه فتركها فريسة الجوع والذل . يقول الشاعر منهاجاً روايته (٢) :

أشهد القاضي شهيد يمه على فصل المسكـاله
أنه أبرم حكماً طَبَقَ مرغوب غزاله
وتلا صيفته الشيب (م) سخ ولم يفسح مجاله
طلقه يا غزاله واصري بتنا (٣) حباله

(١) وما الناس إلا اثنان .

(٢) رواية زوجين يتحاكمان إلى القاضي .
(٣) الأفضل عندي أن تستبدل الألف يا .

وقد أثمرت تلك الدعوات جميعها الصريحة منها والخفية فصار العزم والتصميم
يملاً قلب كل مواطن جزائري ، ونلمس ذلك من قول أبي اليقظان مخاطباً بلاده: (١)

إِذَا كَادَتْ لَكَ الْأَعْدَاءُ كَيْدًا وَرَامُوا الْإِزْدِرَاءَ وَالْإِبْتِلَاعَا
بِذَلْنَا مَا لَدَيْنَا وَاتَّخَذْنَا النَّـ (م) نَفُوسَ لَكَ الْمَعَاطِلَ وَالْقَلَاعَا
فَنَعْلَمُهُمْ بِأَنَّ لَنَا حَقُوقًا وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَرَاعَى
أَلَا فَلْيَعْلَمْ الْأَضْدَادُ أَنَّا نَرِيدُ لَشَعْبِنَا حَقًّا مُشَاعَا
فَإِنْ سَلَمًا فَنَحْنُ لِذَلِكَ أَهْلٌ وَإِنْ ضِدًّا فَإِنَّ لَنَا لِبَاعَا

ونراه كذلك في قول الشيخ عبد الحميد بن باديس: (٢)

إِشْهَدِي يَا سَمَا وَاكْتُبِي يَا وَجُودُ
أَنَا لِلْحَمَى سَنَكُونُ الْجَنُودُ

ولن ينكر أحد دور هؤلاء الأديباء في الثورة الأخيرة التي دلت على انتشار الوعي بين
أبناء الجزائر فصاروا أشبه شيء في تجمعهم وتكلمهم بالسك في الماء. وحين
غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم ، فنالوا حقوقهم الضائعة واستردوا مكانتهم
المفقودة .

كما نراه في الأبيات التالية للشاعر محمد العيد: (٣)

بَلِّغْنَا رَشْدَنَا يَا كُونَ فَاشْهَدِي وَأَدْرِكْنَا فَأَذْعَنِي يَا وَجُودُ (٤)
رَكِبْنَا لِلْقَضِيَّةِ كُلِّ صَعْبٍ نَرُودُ مِنَ الْمَرَاجِعِ مَا نَرُودُ
وَأَقْسَمْنَا بِكَ يَمِينِ صِدْقِي لَهَا بِسُورِ الْمَطَالِبِ لَا نَعُودُ

(١) وداع الوطن .

(٢) القصيدة بدون عنوان .

(٣) " " " "

الفخسر

بعد أن انتهينا من هاتيك الأغراض التي أوجدتها ظروف الاستعمار نخلص إلى أغراض أخرى لم تكن مقصورة على شعب دون شعب أو عصر دون آخر .

وأول ما نبدأ به الفخسر لأنه أقرب إلى النفس الإنسانية المربوطة على حب الاستعلاء . وغالبا ما يصدر بسبب الشعور بالنقص أو الانتقاص (١) أو الإعجاب، ونزّه الشعب العربي ونميدته من الشعور بالنقص ، ولكننا لا ننكر أن هناك من يتنقصه ويحتقره ، ويحاول أن يبعث فيه الأنفة والإباء والمزة ، وقد كان هذا هو موقف الرجل الفرنسي في الجزائر تجاه أصحاب الدار ، لذلك نرى ردّ الفعل مزوجاً بالتماني والكبرياء من الشيخ الطيب المعيني (٢) :

ألا إني من خير من أنجب القطر^١ أريد ولكن لا يساعدني الدهر^٢
أريد ابتناء المجد فرداً لأتني^٣ وما رثته عند الزمان هو الوز^٤
حنيف أرجى الخير للناس كلهم وأهدم بالإسلام ما أسس الكفر^٥

ولسنا مع الشاعر في كونه فرداً في أمته فهناك أفراد ساعدوا في بناء مجد الأمة الجزائرية من مثل محمد الهادي الزاهري حيث يقول : (٣)

أمل تطلم^١ في فؤاد حائر لا تتركوا أطي دفين فؤادي^٢
لولا مسامرتي وميض بروقه^٣ لسكنت في ظلم من الأحماد^٤
لكنني لا زلت أدأب^٥ دائماً حتى أشوب ببغيتي ومسراي^٦

فالشاعر يفختر بأنه طرد اليأس وأخذ في العمل الدائم ، وحق له أن يفخر ، فالعزم على الوصول إلى الهدف الأسمى هو ديدن المؤمن الحق ، وهو من الصفات

(١) الفرق بين النقص والانتقاص : أن النقص قصور موجود في الشيء ، أما الانتقاص فهو قصور مدعى وقد يثبت أو لا يثبت .
(٢) لا تلم كفى .
(٣) أمل تطلم في فؤاد حائر .

التي تكون كفوفاً لأن يفخر بها الإنسان . وما هو الشاعر محمد السعيد الزاهري
يفتخر بصفة أخرى لا تقل عن سابقها أهمية ، يفخر بالوفاء بالمهد الذي قطعه
لصديقه النكوب . يقول هذا الشاعر : (١)

وخانك الصحب في عهد ولم أك من إبراهيم عهدك في شك وترديد
ما كنت أخلف موعداً وعدت بسنه (٢) والحر من كان يوفي بالمواعد
لا تعجب إن من همتي فأننا من هؤلاءك الأماجد الصيد (٣)

ومع الوفاء يفخر بمزة النفس وعدم الرضا بالخنوع والذل : (٤)

ولست مقيماً في بلادٍ نكرتها (فكل مكان ينبت العز طيباً)

والواقع المرير الذي عاشه الجزائري تحت ظلّ المستعمر يحتم عليه الصبر والجلد وإلا
فإنه ينهار ويفتق ويبيد ، وإذا توقفنا قليلاً عند الشاعر محمد الأمين العمودي عرفنا
كيف اتخذ هذا الشاعر الصبر عوناً ، وطو الهمة سجية . يقول : (٥)

قد كدت أفرق في خضم مصابي وأموت لولا الصبر والسلوان
بالصبر أذفع جحفل الحدثان عن نفسي ، وليس بروعي الحدثان
أمشي على مهلٍ وثغري باسم زأر الضنفر أم عوى السرحان
ما همتي إلا كار من مال ولا عشق المذارى القاتل الفتان
بل همتي المجد المؤمل والملا إني بذّين لمفرم هيمان

أما الشاعر محمد السعيد الزاهري فإنه يتذكر أيام الصبا واللهو والمعبث ، ورغم ما لها
من مكانة في قلبه إلا أنه يتركها جانباً ليقضي حق بلاده ، فهو ذوهم بعيد ينشد
العز والجاه كما يقول : (٦)

-
- (١) الناس والدهر .
 - (٢) هذا الشطر مختل الوزن ، والأفضل منه : ما كنت أخلف وعدا قد وعدت به .
 - (٣) هذا الشطر مختل الوزن والأفضل منه : من هؤلاءك الأماجد والصيد .
 - (٤) وما الناس إلا اثنان .
 - (٥) الشكر للنعمى يوفرها .
 - (٦) ليت قومي يعلمون .

وما كنت أقوى بالفراق وإنما
دعا المجدُ ذا همٍّ بمهدٍ فلبَّاهُ
كذلك ذو النفس الطموح إلى الملا
يماف على الضيم البقاء ويأباهُ
أريد من الأيام ما لا تطيقه
وأقصد منها ما لا يقصده الشاهُ (١)
سعى معشر يهفون عيشاً وإنسى
لأسمى ولكن بهيتي العز والجاهُ

ولكن هذه الهمة المالية تمترضها بعض العقبات: (٢)

همي من الدنيا بعيدٌ والدهر جبار عنيدٌ
أسمى من الدنيا لِمَا يسعى له الشهم الحديدُ
وأظلب الأتعاب فسي قصدي ولي عزم شديدُ
لا يركب المؤثلاً (م) ثل من به داء القمودُ

وإذا كان المجد المؤثل يحتاج إلى عزم قوي وعمل جاد ، فقد سعى إليه شاعرنا وهو مطمئن إلى أن يصل بهيته . يقول: (٣)

وإني إذا ما الأمر عزّ طلابه ليدنو به منى اعتزام مدرّبُ
أحاول مجداً أبتغيه مؤثلاً وهل كان بعد المجد للحرمأربُ ؟
وإني وإن أبعدت همي فإن لسي عزائم تدني ما نأى وتقربُ

ولن ننفك نسير مع هذا الشاعر هامناً مرفوعة فوق كل هام ، وعزماً يتجدد مع الأيام حتى ندرك ما نطلب ونصل إلى ما نبغي . ولنستمع إليه حين يودع الأمير المجاهد خالد الجزائري: (٤)

قضيت حياتي مدججاً ومؤوبياً ولكن كأي رميت عنقاء مفرباً
توت الليالي لو شئتني عن المنى وعزيمى يأبى حتى أدرك مطلباً (٥)
ومن يبتغ الأمر الجليل فإنه يكابد فيه تعباً ثم تعباً

(١) هذا الشطر مختل الوزن ، والأفضل منه : وأقصد منها فوق ما يقصد الشاه .

(٢) الشمر الفحل .

(٣) وما الناس الا اثنان .

(٤) إلى الزعيم الجزائري بالاسكندرية .

(٥) يظهر أن هذا الشطر مختل الوزن .

بلوتُ مراسَ الحادثات فلم أجد خبيراً بحقي الدهر إلا مجرباً
إذا جرَّ صرف الحادثات إلى العلا فأهلاً بصرف الحادثات ومرحباً

ولنتقل إلى نوع آخر من أنواع الفخر - ذلك عزيزي القاري* - افتخار الشاعر بأدبه
وبيانه . وقد قسم الشاعر محمد العيد الأدب إلى قسمين وافتخر بكليةما : أدب
الخلق وأدب العقل : (١)

إني وإن حظَّ سوء الحظِّ منزلتي وقد علا شرفي بالظلم أقوامُ
ففي خلقي رجل برٌّ وفي أدبي (٢)
لو اتخذت خليج البحر محبرة وصيغ لي من يراع العلم أقلامُ
وكان لي الجو قرطاساً أمهده ضاقت علي ذكر ما قاسيت أعوامُ

وها هو أبو اليقظان يبين دور قلمه ولسانه في معركة الحق والباطل : (٣)

يراعي كان في الدنيا طبيياً (يداوي رأس من يشكو الصداعا)

وإذا كان يراع أبي اليقظان طبيياً يداوي ، فإن يراع الشاعر محمد الأمين العمودي
سيفاً قاطعاً يطيح بالرؤوس (٤)

قلت للشايع عرضي إنني هبرزي مهتد الأنبياب

ويراعي في الضرب والفتك ما ضا (م) هاه سيف البطل الشجاع المهاب (٥)

وقصاري قولي لمن لم يهينني لا يضر السباع نبح الكلاب

والشاعر محمد الأمين العمودي دائم الفخر ، جدير به ، وله قصائد طويلة يغلب عليها
طابع الزهو والإعجاب ، ولكنها لا تخلو من الشكوى ، ولتأخذ مثلاً لذلك قصته مع
المستعمر والتي يشبه فيها أدبه وعلمه بروضة حوت شتى الأزاهير والورود ، فلما
ازدهت بين الرياض قضى الله فيها أمره . يقول : (٦)

(١) ضاقت علي ذكر ما قاسيت أعوام .

(٢) هذا الشطر مختل الوزن ، والأفضل منه : فان في خلقي برّ وفي أدبي .

(٣) وداع الوطن .

(٤) نار حصية التلهاب .

(٥) هذا البيت مختل الوزن ، والأفضل منه : ويراعي في الضرب والفتك أقوى x من سلاح

الفتى الشجاع المهاب . (٦) الشكر للنمى يوفرها .

أنا كوكب يمشى المهوينوا حينما
أوروضة : أدبي وطبي ورقها
الواكف الهتان ندى أرضها
لما زهت بين الحدائق وازدهت

أم الكواكب عاقبه الدوران⁹
وزهورها ، وشما على الأفنان⁹
فاشتق منه الورد والريحان⁹
أخناً طيها الخادع الخوان⁹

ويبين في نفس القصيدة مقدار مكانته الأدبية والعلمية فيقول :

لا أبتغي لبس الثياب وإنما
فإذا كتبت يقال : أمطرت السما
وإذا نظمت أنتيت قرائي بما
إن عاب قلبي أو تفوه ناطقاً
فرسائي الفراء ضاع أريجها

خير اللباس فصاحة وبيان⁹
أو فهت قيل : تفجّر البركان⁹
لم يأتهم قلبي به حستان⁹
بالقدح فيما أدعيه لسان⁹
لي حجة ، وقصائدي برهان⁹

إن الشاعر الجزائري أحب لفته المربية واحترمها ، بل إن شاعراً كمحمد العيد
قد كلف بها كلفاً منذ الصغر فمار يستمطها في كل شيء حتى في حرب أعدائها
وأعدائه . يقول : (١)

كذلك كان الشعر آيات رقة
كلفت به طفلاً فكنت أصوغه
وأنظمه سطاً نضيداً منسقاً
وقافية أمست تثل يوسقاً
خلعت طيها من شموري مطارفاً
وقوم رموها في غيايات جبهم
أزقهم كأساً من السم طقياً
وقلت لهم من يعش عن نفع قومه

على سور الإبداع منطويات
سبائك تير أفرغت بحصاة
بديع اللاكي محكم الخرزات
بما فيه من يمن وحسن صفات
وكللتها ماشئت من خطراتي
وبما كرم ما في الجب من حشرات
وأوسمتهم طمعاً بحد قناتي
أقيض له جيشاً من الكمات

(١) أسطر الكون .

وقد نزه هؤلاء الشعراء شعرهم عن أن يجعلوه طريقاً للتكسب ، أو مشوباً
بالنفاق ، فمواطنهم صادقة فيما يقولون ، لأنهم إنما يعبرون عن أحاسيسهم
وانفعالاتهم تمبيراً حقيقياً صادقاً . يقول الشاعر محمد السعيد الزاهري : (١)

ولست أقول الشعر إلا لأنني أروح ما تخفى الضلوع وتحجب
ولم أمدح يوماً أحداً جهلةً لكسي ، وجود فنأي عن غواديه صيب

وينتهي بنا المطاف في الفخر عند الشيخ عبد الحميد بن باديس ، لنجعل الختام
مسكاً فنستمع إليه وهو يسرد وصفاً للأمة العربية قديمها والحديث ، وبين
مكانتها بين الأمم : (٢)

نحن الألى عرف الزما (م)	ن قدينا الجمّ الحسب
ومعين ذاك المجد في	نسل العروبة ما نضب
وقد انتبهنا للحيا (م)	ة آخذين لها الأهب
لنحلّ مركزنا الذي	بين الأنام لنا وجب
من كان يبفي وّنا	فعلى الكرامة والرحب
أو كان يبفي ذلنا	فله المهانة والحرب
هذا نظام حياتنا	بالنور خطّ وباللهمب
هذا لكم عهدى به	حتى أوسد في الترب
فإذا هلكت فصحتى	تحيا الجزائر والعنرب

(١) وما الناس الا اثنان .

(٢) تحية المولد الكريم .

المـــــــدح

عرفنا منذ قليل أن الشاعر من رجال الجمعية لم يجعل شعره مطية لجمع المال أو الحصول على منصب مصطنع أو غير ذلك ، فلم يمدح الأغنياء طمعاً فسي أموالهم أو أصحاب الزعامة مدهانة ونفاقاً ، بل أرسل شعره الخالد تعبيراً عن صور أعجبهته وهزت أوتار قلبه ، فترجمها لسانه بألفاظ عذبة ومعاني صادقة . ولعل أهم ما يلفت نظر المادح الجزائري تلك الأعمال البطولية التي يسطرها الشوار ما بين الآونة والأخرى .

ولنأخذ مثلاً لذلك شخصية الأمير المناضل خالد الجزائري حفيد عبد القادر فهذا الأمير قد أقضى مضجع المستعمر سنوات عديدة إلى أن وقع في قبضته الآثمة فحكم عليه بالنفي إلى وطنه الثاني : صر . وقد قدر الشاعر محمد السعيد الزاهري جهود الأمير وخدماته وتضحياته في سبيل أمة فسجل ذلك شعراً رائعاً : (١)

كذلك ذو الإقدام كان بشعبه	إلى الفخر يطوي سبباً ثم سبباً
سلام على شعب الجزائر بعدما	نأى عنه من كان العذيق المرجحاً
سلام طيه بعدما بان خالد	سلام طيه بعدما حلت الحبس
لئن كنت في أفق الجزائر كوكباً	فقد لحت في الإسكندرية كوكباً
أما كان قرن الشمس عند شروقها	شبههاً بقرن الشمس تقصد مغرباً ؟
إلى الآن لم تلق السلاح ولم تكن	لتلقي يا مقدام من بعد ذا الظبى
فأنت أخو المليء والبطل الذي	إذا جدَّ جدَّ زاد منه تقريباً

وآخر آخر وقف في وجه - أبي جهل القرن العشرين - آشيل الذي سب القرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف على مسمع ومرأى عدد كبير من المسلمين . فانبرى

(١) إلى الزعيم الجزائري بالاسكندرية .

له الشيخ عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - يدافع عن دينه ووطنه بكل ما أوتي من قوة، ولم يخش في الله ظلم جائر أو تجبر ظالم فشجذ هذا الموقف قريحة شاعرنا محمد العيد وتساقط شعره رطباً جنياً للالكين: (١)

هذا ابن باديس يحيى الحق متقدماً كذاك يتقد الشم الأماثل

إني أرى عبده (٢) المرحوم مندفعاً ينحي على زعم "هانوتو" و"ترتيلسو" (٣)
عبد الحميد رعاك الله من بطل ماضي الشكيمة لا يلويك تهويل
دمغت أقوال أشيل كما دمغت ابطال أبرهة الطير الأبايل
عليك مني وإن قصرت في كلمي تحية طوها بشر وتهليل

وحظ الأديباء من مدح الشعراء لا يقل عن سابقه، فلا عجب أن يمدح الزميل زميله بما هو أهل له، وأن يثني عليه بقدر ما قدم وعمل، فحين يؤلف الشاعر محمد الهادي الزاهري كتاب "شعراء الجزائر" يهب عدد من الشعراء يباركون له هذه الخطوة الكبرى واليد البيضاء، حيث جمع تراثاً على هاوية الضياع، وسجل أحاسيس شعب كان يأكلها النسيان، فصار سفره - هذا - دستوراً ونوراً لأمة أعيامها المرض وأنزلها الفقر وأعمها الجهل رداً من الزمن. ومن بين أولئك الشعراء المباركين لصاحب الكتاب ابن عمه محمد السعيد الزاهري حيث يقول: (٢)

كم مر من زمن على شعرائنا وبضاعة الشعراء ذات كساد
حتى جمعت محمد الهادي شتا (م) تهم بمزم كان خير حسان
لم ألق في أبنائنا برأ بأمو (م) منه كمثلك حاضر أو بادي
إن بيتغ الشبان بعدك غاية فلأنت للشبان نعم الهادي

ومنهم أيضاً الشاعر محمد العيد الذي مدحه فأطال المدح تعبيراً عن الإعجاب الصادق: (٤)

- (١) ما بال أشيل يهذي ؟
- (٢) هو الامام محمد عبده .
- (٣) هو أحد المؤرخين المتخصصين في شؤون الاستعمار .
- (٤) ويح الجزائر .
- (٥) هذه خطوة لك اليوم كبرى .

وتعالوا حيوا " السنوسي " يا قو (م) م فقد كان بالشباب حفيبا
وتعالوا حيوا " السنوسي " يا قو (م) م فما كان غيره بمحيبا
يا أسد الشباب رأيا صحيحا يا أحد الشباب عقلا زكيا
أنت أغريتني بحب حيااة كدت فيها ألد المانويبا
أنت أطلقتني وما كنت رهنا أنت أنطقني وما كنت عبا
إنما لم أجد كمثلك يا خل (م) سل سميما عف الضمير بريبا
أعل دست الآداب يا ابن عبي فهنيا لك الرقي هنيبا
هذه خطوة لك اليوم كبرى فتقبل جزاءها الأبديةبا

أما الشباب المتعلم الواعي فلم يفغله الشمرء بل نفحوه بماطر شعرهم وأشادوا
بجهوده المشكورة وطقوا عليه آمالا عظيمة فهو الذي سيبنى أجيالهم المقبلة
وينقش العلوم الإسلامية في عقول النشء المقبل نقشا . وليس أدل على مكانتهم
في قلوب الشعب من تسميتهم بالمتطوعين ، وها هو الشاعر محمد السعيد الزاهري
يحيى هذه النخبة المتأزاة من أبناء الجزائر : (١)

فأهلا وسهلا بالذين تطوعوا لخدمة هذا الشعب شعب الجزائر
شباب لعمر الحق لم يك فيهم سوى حازم عف الطوية طاهر
تجلوا على هذي الجزائر بعدما سجن الجهل أشباه البدور الزواهر
هم النشء لا نشء أضع شبابيه وأمواله بين الخنا والمخامر
شباب يرى تفريطه في بلاده وتضييعه للقوم إحدى الكباء
شباب أبوا أن يألفوا قط سبة فلا خير فيمن يرتضي بالمعابر

وهؤلاء الشباب الذين تجمعهم نوادي جمعية العلماء يستقون ويسقون العلم والأدب
ويتناقشون فيما يعمود بالنفع عليهم وعلى بلادهم ، هؤلاء الشباب لفتوا نظر الشمرء

إليهم وإلى نواديهم التي صارت ملاذ طلاب الحياة من أبناء الجزائر ، فصاغ
شعراء الجمعية قصيدهم مفتبطين بعودة الوعي القومي والديني للشعب السانج
ويمثل هذه النوادي " نادي الشبيبة " الذي يصفه الشاعر محمد الهادي الزاهري
فيقول : (١)

هَيَّيْتَ يَا نَفْرَ السَّمَاحِ وَمَعَشَرَ الِ (م) إِصْلَاحِ بَيْنَ مَكَارِمِ وَمَفَاخِرِ
أَهْدَيْتَ كُلَّ حَقِيقَةٍ وَفَضِيلَةٍ وَمِنَ التَّخِيلِ مَبْدَعَاتِ السَّاحِرِ
هَذَا شَعْرُوكَ وَالْبَيَانَ كَلَاهِمَا وَسَطَ الْجَمَاعِ عَاظِرَ فِي طَاظِرِ
أَنَا إِنْ حَظَيْتُ مِنَ الشَّبِيبَةِ بِالْمَنْوِي فَسَوَى الشَّبِيبَةِ قَطُّ لَيْسَ بِضَائِرِي
لَا تَفْجَبُوا إِنْ قَلَّتْ مَفْتَخِرًا بِهَا " نَادَى الشَّبِيبَةِ " قَدْ تَطَّكَ خَاظِرِي

وإذا خرجنا من الجزائر كلها وجدنا أهد تعمل بجدّ ونشاط لصالح الجزائر كالسلطان
محمد بن يوسف الذي لم يدخر وسعاً في مد يد العون لجارته الخفّودة فيأتيه
الشكر والعرفان بالجميل من الشاعر محمد البشير الإبراهيمي حيث يقول : (٢)

إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَوْهَرَهُ وَصُورَةَ مِنْ خُلُقِي مَصْرُورَهُ
وَنَسْخَةَ مِنْ أَدَبِ مَحَرَّرِهِ وَقِطْعَةَ مِنْ حُكْمِ مَقْبُورِهِ
وَقِطْرَةَ مِنْ الْهَدْيِ مَنْحَدَرِهِ فِي الدَّهْرِ مِنْ جَدِّ الشَّرَافِ حَيْدَرِهِ
مُنَاقِبَ عَلِيٍّ الْمَدَى مَدْخَرَهُ لَمَنْ غَدَا بَيْنَ الطُّوكِ مَفْخَرَهُ

وَإِنْ أَتَتْ أَيَّامَهُ بِأَخْرَهُ
إِنَّا إِذَا الْحَمْدَ تَلَوْنَا سَورَهُ
ثُمَّ جَلَوْنَا كَالْمَرَايَا صَورَهُ
ثُمَّ حَدَوْنَا فِي الْجَرَايَا زَمْرَهُ
سَقْنَا إِلَيْهِ شَمْسَهُ وَقَمْرَهُ

(١) ان الحياة هي العظوظ
(٢) السلطان محمد بن يوسف .

من يَطَّلِب مولى الموالى عنصـره
فمِن تمام فضله أن ينصـره
من ادعى وصف الكرام الخـيره
فاستشهدوا أخلاقه وسـيره
واستنبهوا من الزمان غـيره
وساثلوا : من قاده ، من سـيره ؟
فالزير إن تنشده خلف الزيره

هذا قليل من كثير سقناه ليثـل غرضاً من أغراض الشعر في ذلك الوقت
وليبيـن نهج رجال الجممية في مدحهم ، وليخلد رجالاً يستحقون الخلود .

الزهد

هل في حياة الذل لسذة ؟ . كلا وحاشا فالموت مرة واحدة خير منه مرات :

وماللمرة خير نفسي حياة إذا ما عدت من سقط المتاع

والمواطن الجزائري واجه الذل والاحتقار في داره وبين أهله من إنسان غريب عن أرضه وبلاده ، أن يزهد الأبى في حياة الخضوع والمهانة فيبحث عن حياة أفضل ، وليس هذا هو السبب الوحيد في الصد والإعراض عن الدنيا الفانية بل هناك أسباب كثيرة تدعو الشمرأة إلى ذلك كالموت وغيره من الحوادث التي تذكر بالموت وما بعده وتنفر من الدنيا وماهجها .

وسنقتصر فيما يلي على شاعرين طرقا باب الزهد ، وطهرا نفسيهما من شوائب الدنيا ، ونفذا أيديهما عما فيهما من لذات ومغريات . وأولهما هو الشاعر محمد الميّد حيث يبين في القصيدة التالية نظرتة للدنيا ، فيمدها من القبائح ويصفها بأنها دار إزاية ، وذلك حين يقول : (١)

إني أرى الدنيا تفاقم بأسسها واشتد فيها الزور والبهتان
وأرى الحياة ضئيلة فنعيمها تتكدر وسرورها أحزان
فستئمتها وسمعت حتى ذكرها ذكر القبائح تركه احسان
يا صاح هذى الدار دار إزاية ياوي إليها جاهل وجبان
إن الإزاية من لئيم شر ما حطته في أمثائها الأزمان

وأما الشاعر الثاني فهو الشيخ الطيب المقبي ، وقد طرق نفس الموضوع السابق ولكنه زاد بالحث على الشجاعة والصبر ، وذكر أن هذه الحياة إنما هي تدريب للاخرة . يقول الشاعر : (٢)

(١) الشكر للنعمى يوفرها .
(٢) صبرا على نوب الزمان .

ضاقَت مَذاهِبنا وَعِزَّ المَطلبُ
يا نَفسِ لا تَحشَى عَقبِيبةَ سائِلِ
صَبراً على نوبِ الزَمانِ فَإِنَّها
والمرءُ ما بَينَ الحَواثِ حادِثِ
عَيشِ ما اسْتَطَمَت ضَعْماً أو بائِماً
والموتِ بِأسرنا فَأَينَ المَهربُ ؟
لا شِئِ في دارِ المَكارِهِ يَعذبُ
ساعاتِ عَمرٍ مِن ظَليلِ تَذهِبُ
حَتى بِأَظفارِ النَهيَّةِ يَنشَبُ
فالكلِ في هَذي الحَياةِ بِدَرَبِ

وقصيدة أخرى لهذا الشاعر يرثي فيها صديقه المالم " المكي بن عزوز " حين وافته
المنية . يقول في مطلعها : (١)

هي الدار في أحداثها تتجرّمُ
حَنَّانِيكَ إنا للمنية عرضة
وكل بليغ صقع فهو عندها
وما الممك في دار الضرور لمالم
عجبت لذي لب يفخر بسلمها
سرور فأحزان وعرس فماتم
وكل ابن أنثى فهو للموت مسلم
إذا طرقت يوماً من الدهر فحسم
حقيقتها إلا زفاف وطقم
وما سلمها إلا خسار ومغسرم

ويخلص الشيخ الطيب النية لله ويستفزع به عند الشدائد والطمات ويجرد نفسه من
التعلق بما سواه فيقول : (٢)

الله ربي وحده لا أرجي
وإليه أضرع في الشدائد كلها
إله عوناً عند كل طمّة
لا للقبور ولا لصاحب عمّة

ونكتفي بهذه الكلمات القليلة في الدعوة إلى الزهد . راجين أن تكون وافية
بالفرض موفية بالمنشود .

(١) أول ترثية له في الشيخ المكي بن عزوز .

(٢) من أبياته التي لا تحمل عنواناً .

الوصف

لم ينقل شعراء الجمعية غرض الوصف ، بل إنهم وصفوا فأبدعوا ، وصوروا فأصابوا ، وقد كانوا يأخذون مواضعهم مما يحيط بهم ويمس حياتهم . وكان للمستمر أثره في اتجاه الوصف عندهم ، فوصفوا حالة الشعب الجزائري ، ووصفوا الحوادث المتجددة في كل يوم ، وقارنوا بين ماضي الجزائر المشرق وحاضرها المظلم في شعر فخر بالماضي مستنكر للحاضر .

ونبدأ سيرتنا في هذا الفرع الشاعر محمد العيد في وصف فصل للقرآن الكريم فقد تعرض هذا الدستور القويم إلى غارة شنها عليه أحد المآلة على شعب الجزائر وهو " آشيل " الذي ألصق بالتزليل تهماً كاذبة ، فادعى أنه لا يصلح لهذا المصر ، وأنه يدعو إلى القتل وسفك الدماء ، فتصدى له الشاعر بقصيدة طويلة يدافع فيها عن كتاب الله ، ويبين كماله ، ويرد التهم الموجهة إليه وقد أجاد حسير إجادة حين قال : (١)

ماذا تقولون في سفر صحائفه	هدي من الله مضي فيه جبريل ؟
آياته بهدى الإسلام ما برهنت	تهدى الممالك جيلاً بعده جيل
فأية ملؤها ذكرى وتبصرة	وأية ملؤها حكم وتفصيل
كلامه الصدق لا مين ولا كذب	وحكمه الحق لا ميز وتفصيل
أليس فيه لأعلى الناس منزلة	عدن . وفيه لأدنى الناس سجل ؟
ولا احتيال ولا غصص ولا مطل	ولا اغتيال ولا نفس وتنكيل
الاشتراكية السحاء مذهبه	في الحكم لو لم تطل فيه الأقاليم

(١) ما بال آشيل يهذى .

و بمناسبة ذكرنا للمستمر " آشيل " نذكر بقية المستمرين وحالة البلاد قبل وجودهم وحالتها بعدهم ، لنعرف الفرق بين الحالتين . ويقوم بهذه المقارنة أحد شعراء الجمجمة البارزين ، الطبيب المعقب فيقول : (١)

وإن تسل كيف كنا ثم مال بنا
رهب الزمان فخذ ما قيل تضمينا ؛
(كنا قلادة جيد الدهر فانفرطت
وفي يمين العلا كنا رياحيننا)
(كانت منازلنا في العز شامخة
لا تشرق الشمس إلا في مفانينا)
(وكان أقصى مني نهر المجرّة لو
من مائه مزجت أقداح ساقينا)
(والشهب لو أنها كانت سخرة
لرجم من كان بيدو من أعادينا)
(فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا
شزراً وتخدعنا الدنيا وتلهيننا)
(حتى غدونا ولا جاه ولا نشب
ولا صديق ولا خل يواسينا)

وإذا وقف الشاعر محمد الهادي الزاهري على مدينة " تلمسان " المندثرة طمياً ، تفرقت دمة أسي في عينه على ما كان لهذه المدينة في الزمن الماضي من مكانة عالية ومجد باذخ وعلى ما هي عليه الآن من وجوم ووحشة . يقول الشاعر : (٢)

هذي لعمرك يا خلّي تلمسان
فليهنأ القلب ولتجره أشجان
تلك التي أشبع الراوي روايته
منها وتاريخها تاج وعرفان
تلك التي لم يزل تاريخها مثلاً
شيدت به لصرح العز أركان
تلك التي كان فيها معشر فطن
شوس الحواجب أبطال وفرسان
تلك التي بزفت أنوارها زمنياً
حتى استنار بها في الغرب سلطان
تلك التي لم تزل تزمو بجوهرها
والجوهر الفرد لا يمروه نقصان
تلك التي قد توخى النحاس ساحتها
حتى تعادى خلال الدور ذئبان
تلك المدينة كم دان الزمان لها
والمالكون بساط الأرض كم دانوا
كانها وهي تحت الأسر هامة
دين من الله قد غطاء كهران

(١) رد التحية فرض .

(٢) تلك المدينة كم دان الزمان لها .

وإذا أردنا وصفاً مجملاً للجزائر وأهلها فلنأخذ قول الشاعر أبي اليقظان : (١)
مثل الجزائر مقتل الإحساس مج (م) زرة الحياة فحفظها الحسرات
في عصر توزع الحياة على بني ال (م) إنسان نابت أهلها ضربات
سقيت بكل مخدر أصابهم فتراكت عنهم به سكرات

والشاعر - أي شاعر - لا يبدع في وصف إحساس ما إلا إذا كان يعاني نفس التجربة
ولا يجيد التعبير عنه إلا إذا جعل نفسه مرآة لموضوعه . لذلك نرى الشاعر محمد
المعيد يصل حد الإبداع في وصفه لضحايا الباخرة " فروش " (٢) :

جسوم في " فروش " مجذلات	تعاني تحته الفاز الرهيبي
وأجسام ممزقة الحشمايا	تكاد لها النواصي أن تشيبي
حديد " فروش " يفرها شظايا	وعرف " فروش " بيكها نحيبي
شائبهم أناخ النمس فيهم	فمزق سعدهم جيلاً فجيبي
وصب عليهم المقدور سوطاً	من الأرياح تستدري (عسيبا)
فريح القرّ تلفهم سموماً	وريح الحرّ تصهرهم لهيبي

أما محمد الهادي الزاهري فإنه يصف حادثة أخرى وهي نكبة الجزائر بطوفان سد
فرقوق ، ويصف المنكوبين من الصبية والنساء والشباب والشيوخ ، ويصور حالتهم التي
يرثيها المدو قبل الصديق . وقبل ذلك كله يرسم لنا لوحة صاخبة مجلجلة لتلك
السياه الجارفة التي لا ترحم فيقول : (٣)

مياه لا يغال بها قوي	وسدّ خرّ ليس له سدّ
سيول في بطاح الأرض تجري	سراعاً لا تجاريهن جرد
فلا جنبات واديها حوتها	ولا أغنى ألوف القوم طود

(١) الصحافة .
(٢) في ذمة التاريخ .
(٣) نكبة الجزائر بطوفان سد فرقوق .

طفت حتى تهدمت المياني
 أمّت صبيحة فقضوا صفاراً
 فلا الطوفان يرويه عطاشاً
 ترجلت النساء مشرّرات
 فصادفن النسيّة في هود
 نصّ النّاعون شبّاناً تخلّوا
 رباع القوم أمطرها عذاب
 شيوخ في فجاج الأرض غرقى
 ونسوان تنوح ممدّات
 لقد ريمت بنات الحي روعاً
 فجائع "ستفانم" ضاق ذرعاً
 ولم تبحر طي الباقي تشدُّ^و
 وما آواهم في الأرض لحسد
 ولا غدرا نه للطفل مهد
 وفي أعطافهنّ الموت يمدو
 ولأجال كالسّاعات ورد
 عن الأحياء، وانزاحوا وصدّوا
 ففريان تروح بها وتغدو
 وأطفال لهم في الحي عهد
 وللمنومان بالأطفال وجد
 وشاب لهم في الفمرات فود
 بها ظمي ولي ظم أسدّ

الفاظ مؤهّمة ومعان ناطقة بالواقع ، وكلام واف بالفرض ، لا يصدر إلا عن صور
 قدير وشاعر كبير كهذا الشاعر الذي استطاع أن يهبس نفسه لنقل صورة ناطقة
 عما رآه أو عاناه . وحين تنتقل معه إلى موضوع آخر كالطبيعة - مثلاً - يستب
 ألبابنا لفظه الحلو ومنطقه الصائب ، وما هو يتذكر أيام الصبا وزهرة الأيام
 فيقول : (١)

كنت لا يستبي فؤادي شيء
 أو خربير المياه في جدول النخ (م)
 أو زلال من الفدير مصقّو
 أو عباب طوته في هجسير
 أو بساط من الأزاهير رطب
 أو نجوم السماء والجو صاف
 غير صوب الحيا ونوح الحمام
 حل وهذق يمين كالاستهام
 بهبوب الرياح والقلب ظامي
 سباحاً في فضائه المترامسي
 جانباً منه زهرة الأكمسام
 أو نسيم يمرّ في الأجسام

أَوْ صِحَابٍ مَا بَيْنَ أَخْذٍ وَرَدٍّ كَرَّةً فِي السَّهُولِ وَالْأَكْثَامِ
أَوْ ذَهَابِي مَفْلَسًا فَوْقَ طَرْفِي أَقْنَصُ الصَّيْدَ بِالْقَنَا وَالسَّهَامِ

ولم يكن الإعجاب بالطبيعة والتفني بجمالها ملكاً لشاعر دون آخر . فقد ارتاد هذا المحتفص عدد كبير من شعراء الجمعية وغيرهم ، ولنستمع إلى الشاعر محمد السعيد الزاهري يصف جلسة جلبت له السرور والشجن فجمع الضدين (١) :

فَظَلَلْنَا هُنَاكَ عِنْدَ كَرِيمٍ تَتَعَاطَى تَحْتَ الظَّلَالِ شَرَابُهُ
وَعَلَى كُلِّ جَانِبٍ نَنْظُرُ مَا (م) فَنَهْوِي خَرِيرَهُ وَأَنْسَابُهُ
وَهَيُوبَ الرِّيَّاحِ يَعْجَبُ بِالذِّو (م) ح كَمَا يَشْتَهِي وَيَلْوِي رِقَابَهُ
وَعَطِيهَ الطَّيُورِ تَصْدَحُ هَذَا يَتَفَنُّنُ وَذَا أَطَالَ انْتِحَابَهُ
سَرْنِي ذَلِكَ الْفَنَاءَ وَكُنْ زَادَنِي ذَلِكَ النَّحِيبَ صَبَابَهُ

أما الشاعر محمد الأمين الممودي فيزيد الصورة جمالاً حين يصفح النسيم ، ويرخي سمعه لصوت حادي الميس فيقول : (٢)

أَشْيَاءُ حَلَّ حَلَالِهِنَّ حَلَالِي نَقْرَ الْكُؤُوسِ وَرِنَةَ الْخُلُخَالِ
وَصَدَى نَشِيدِ الْمَنْدَلِيبِ عَشِيَّةً وَعَزِيفَ مُوسِيقَى بَفَجِّ خَالِثِي
وَصَفِيرَ شَرَشُورٍ وَهَتْفَ حَمَامَةٍ حَنَّتْ وَغَنَّتْ فَوْقَ تَلِّ عِبَالِي
وَصِيَاحَ حَادِي الْمَيْسِ يَفْرِي عَيْسَهُ وَيَسِيرَ فِي بَلَدِ الْفَلَا الْآلِ (٣)
وَتَنَزْهِي بَيْنَ الرِّيَاضِ مَافِحًا رِيحَ الصَّبَا وَنَسَائِمِ الْآصَالِ
وَالشَّمْسِ عِنْدَ بَزْوِغِهَا وَغُرُوبِهَا تَبْدُو بِرَوْنَقِ بَهْجَةٍ وَجَمَالِ
وَتَرْنَمِ الْعَيْدَانِ حَرَكِ سَاكِنًا مِنْهَا بِنَانُ خَرِيدَةِ مَكْسَالِ
شَبَّ الْفَزَالَةِ وَالثَرِيًّا رَبَّمَا أَجْرَمْتُ إِنْ شَبَّهْتُهَا بِفَزَالِ
سَرَّ السَّرُورِ وَكُلَّ سَرِّ كَامِنٍ فِي سَرِّ نَوْرِ جَبِينِهَا الْمُتَلَالِي

من هذا نعرف مقدرة الشاعر الجزائري على التعبير عن إحساسه وخلجات نفسه وما ذلك إلا للثقافة الجمة التي ساعدت هؤلاء الشعراء ونمت مداركهم فأتحفونا بدرر شعرهم .

(١) اجتماع الضدين (٢) الطبيعة الساحرة (٣) يظهر أن حرف العطف هنا محذوف والأفضل عندي : ويسير في بلد الفلا والآل

" الحكمة "

والحكمة ضالة المؤمن ، توجبه وترشده وتقومه ، لذلك أدخلها شعراء الجمعية في قصائد هم ، وعلّوا بها أشعارهم ، وقد موها لقرائهم وسامعيهم ليتزودوا بها في طريقهم الشاق الطويل ، طريق النضال والتحرير .

والأمة الجزائرية أمة سلبت حقوقها ، وأهين أهلها ، ومزقت شرّ مزق من قبل الاستعمار ، وظلت زمناً طويلاً تمني هذه الحال حتى قيض الله لها رجالاً اتخذوا الله عوناً والدين سنداً والمروبة صفة ، فسموا بها إلى المجد والسودد والحياة الفضلى ، وأوصلوها إلى ما تريد - بفضل الله - ثم بفضل سيرهم على الطريق المستقيم فكانت النتيجة طيبة ومرضية . وتلك نتيجة مطردة في كل عصر وفي كل أمة . قال تعالى :
" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " . وفي هذا المعنى يقول الشاعر محمد الأمين العمودي : (١)

الشكر للنعمى يوفرها ومن أسباب سلب النعمة الكفران^٩

إلا أنه قد يسلب المؤمن هذه النعمة ابتلاءً واختباراً ، ومن المعروف أن الدهر لا يدوم على حال واحدة وإلا لكان الطل والضجر ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، وفي هذا المعنى يتحدث الشاعر محمد السعيد الزاهري على لسان جريدة " الجزائر " فيقول : (٢)

أرجو بأن يبقى الزمان ساعدي ومن طبعه ألا يدوم على حال ؟

إذن أنا مفتر بأن لا يخونني إذا كنت منه في حظوظ وإقبال

ويأتي الشيخ الطيب العقبي ليبين حقيقة هذه الحياة التي يجهبها الكثير من الناس ، فيفهمونها على عكس حقيقتها ، أو أنهم - بتعبير أقرب - ينظرون إليها من زاوية

(١) الشكر للنعمى يوفرها .

(٢) الجزائر تحيي الجزائر .

واحدة ولا يهتمون بالزوايا الأخرى .

يقول هذا الشاعر : (١)

يسمى الحريص إلى الأمام بزعمه وتراه في التحقيق يشي القهقري

كل يسير إلى مدى غاياته والدهر يعكسه فيرجع للورى

ويستثني الشاعر محمد الهادي الزاهري بعض الحراس فيقرر لهم الخلود الممنوي

الأبدي بقدر ما قدموا ويقول : (٢)

وما مخلد الأبطال إلا جهودهم وهيبات اللواني الخلود أو السالي

ويعقب الشاعر محمد السعيد الزاهري على ذلك بأن المجد والخلود لا ينالان إلا

بالتفاني وإنكار الذات في سبيل المجموعة ، أما الكسل والخمول فهو السـ

الحاجز من بلوغ الأهداف . يقول : (٣)

لا يركب المجد المؤثـ (م) ثل من به داء القمـ

ويذكر هذا الشاعر حقيقة أخرى في هذه الحياة وهي أن رضا الناس غاية لا تدرك ،

وأن أي إنسان مهما كان مستقيماً في أخلاقه ومبادئه ومعاملاته مع الناس ، فلن يستطيع

أن يحظى بحبهم جميعاً له ورضاهم عنه . يقول الشاعر : (٤)

يكفي من الناس أن يرضاك بـ من ذا ينال رضا الناس كلهم

يكفيه - إذن - أن يرضى عنه بعضهم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم - وهو أعز

الناس - كان له أعداءه وأنصاره ، ودين الإسلام - وهو أقوم الأديان - برز له منافقون

ومعاوون .

(١) كل يسير إلى مدى .

(٢) من المنتقد إلى الناطقين بالضاد .

(٣) الشمر الفحل .

(٤) امض لحالك .

الفيزل

وهؤلاء الشعراء رغم ما يلاقونه من ضغوط استعمارية ظالمة، وما يرونه من حوادث يومية تنتاب بلادهم، ورغم الجو الساخط المزجر الذي يمشون فيه رغم ذلك كله فإنهم رأوا أن لأنفسهم عليهم حقوقاً وواجبات، ولظوئهم طقوساً يجب أداؤها، فهم بشر يرضى ويفض، يحب ويكره، وهم شعراء تؤثر فيهم المناظر، وتهزّ ظوئهم المشاهد، سواء كانت سارة أم محزنة.

ولهذا نجد عدداً منهم قد وقع في شباك الحب والغرام، فراح يسجل ذلك ويحبر عنه بشعر غفيف، لم يصل حد الفحش أو الحماقة، فكان حبهم بريئاً خالياً مما يؤثر على عقيدتهم أو سلوكهم، وبين هذا قول الشاعر محمد السعيد الزاهري: (١)

ولولا عفاف في طباعي يصدني لما كنت من تغلب الحب تقواه^١
ولكننا نصرف سلطان الهوى والحب على نفس الإنسان الماطفية، ونقرّ بأنه من أقسوى وأقدس العواطف الإنسانية. يقول الشيخ الطيب العقبي: (٢)

وقالوا ليّ احنت في يمينك عامداً فقلت معاذ الله ما أنا حانث^٢
ألم تعلموا أني امرؤ ذو صابرة وأن الهوى والشوق بالقلب عابث^٣ ؟
والحب له أسباب ودواعٍ يذكر بعضها منها نفس الشاعر حين يقابل فتاة تركية تسحر قلبه وتأسر لبه فيقول فيها: (٣)

رب حوراء غضيض طرفها
من بنات الترك تزهر بالحور
إن أقل باللحظ قلبي سحرت
قلت سحر اللفظ أدهى وأمر

وله آثار وتناجح يذكرها لنا الشاعر محمد الأمين العمودي فيقول: (٤)

-
- (١) ليت قومي يعلمون .
 - (٢) من أبياته التي لا تحمل عنواناً .
 - (٣) سحر اللفظ .
 - (٤) الطبيخة الساحرة .

يا عاذلي كن عاذري سهلاً فلي
لا تكرر التمنيّ وارفق بي فقد
دعني أعاني في الهوى ما نابني
الحبّ فرض أستحبّ أداه
لا أشتكي من حبه وقماً ولا
فإذا تملك بالفؤاد ولم يجبر
وإذا تولى بالصباة والبكا
فهو المذاب المذب والألم الذي
في المشق أيام مضت وليال
يُنبيك عن حالي لسان الحال
إني بغير الحب غير مهال
وأعدّه من صالح الأعمال
أعصيه في حال من الأحوال
فهو السّعادة أنعمت بوصول
والجور والإعساف والبلبال
طوبى لذائقه وحسن مال

إنه لوصف رائع وتصوير صادق لا يأتي به إلا شاعر خبير بوجع الحب وسهله، فهو إما سعادة، وإما عذاب يستعذبه المحبون المحرومون أشباه محمد السعيد الزاهري الذي يبين موقفه من محبوبه، فيقول عند رحيله: (١)

رحلت فأما القلب فهو لديكم
فلا تحسبوني ناسياً لودادكم
وفي كل يوم لوعة تحرق الحشا
وإن زماناً لست فيه أراكم
وأما اشتياقي نحوكم فشديد
ففي كل يوم لا يزال يزيّد
عليكم وحب يمتريني (٢) جديد
ولو كان يوماً واحداً لمديد
إليكم على أن المنزار بمديد
سلام عليكم كما حنّ خاطري

وهكذا دنيا المحبين، فهذا يودع وذلك يستقبل، هذا يشكو الغراق وذلك يفتبط باللقاء. فإذا لم يحظّ المحب بلقاء أحبائه في اليقظة كالشيخ الطيب المقبي احتال فأسلم نفسه للكرى عليه يصطادهم في منامه فتكون له الحريصة المطلقة في أن يفعل ما يشاء دون إثم. يقول الطيب مضمناً بيت أبي الطيب التنبلي " فذقت ماء حياة . . . " :

(١) فلا تحسبوني ناسياً .
(٢) الأفضل عندي أن يستبدل ضمير المتكلم بضمير الغائب .

محبوبة سكتت قلبي وما برحت
زارت فراشي على بعد وقد غمضت
ومد وضعت في شوقاً على فمها
" فذقت ماء حياة من مقلبيها
وثابت الروح في جسبي فخلت لها
وكيف لا وهي لو مست بريقها
ولو رأى التنهي شمس طلعتها
وذكرها بدل التسييح بل فسي
عيني لأقتصها في حجمة العلم
ذكرت قول " أبي " في سالف القدم
لو صاب تريباً لأحيا دارس الأسم
أني بعثت بعيد الموت من عدم
حوت الكيم لفاص الماء في الظلم
لقام من قبره يمضي على قسم

والمحب دائماً يستريد ويستلذ الكلام عن محبوبه ، بل إن الشاعر صعد الهادي
الزاهري ليوقف الدهر ، وينصت إليه وهو يقص عليه حديثاً عن أيام النهرو والمبيت
كمرهم الأقسام : (١)

بينما الليل ضارب بخيام
قمت والقلب في لواعج صب
قلت : يا دهر أنت في العمر الخيام
قص يا دهر من حديثك عن سم (م)
عل ما بالفؤاد من ظمأ يط (م)
زارني الدهر بفتنة في الضيام
هاجته الحب من زمان الفطيم
دود رب القرون والأعوام
عني حديثاً كمرهم الأقسام
ففي فتشفي لواعج الألام

وما أحلى زكريات تلك الأيام ، حيث لا هم ولا حزن ولا مسؤولية. ويتذكر الشاعر
محمد السعيد الزاهري هذه الأيام فيقرئها السلام ويدعولها حيث يقول : (٢)

فؤادي أسير عند من ليس يرعاه
ولا تسألوه أن يحل واثقه
فيا أمره كما يشاء وينهيه
فإني لأرضى بالذي هو يرضاه
إذا أنا لم أقدر على كف مدح
أهكفه يوم النسوة فلي اللطيف

(١) ذكرى زهرة الأيام.

(٢) ليت قومي يعلمون.

رعى الله دهرًا في المليب^(١) لهوته
لها لى يسقيني رحيق وضابسه
ولولا عفاف في طباعي يصدني
ذكرت على بعد المزار ذوى الهوى
سلام على عهد الخلافة إنسه
لمن تفضح الدرّ النضيد ثناياه^و
وتفعل بي ما يفعل السحر عيناه
لما كنت من تغلب الحب تقواه
تهيج له الشوق المكمّ ذكراه
لعهد لعمرى لست ما عشت أنساه

ونعود إلى الشيخ الطيب العقبي لنراه وقد نفي إلى "تركيا" فيمد عن أحبائه
بالمدينة المنورة، وحين يتذكروهم يسيل دمة من حزن وأخرى من شوق ليجعلها
مداداً يكتب به إلى من بعدت عنه خيامهم فيقول: (٢)

سلام على أرض الحجاز سلام
سلام على آل وصحب عهدتهم
سلام شوق أحرق اليبين قلبه
طيك وما غير الهماد سقامه
حلال لهم قلبي فتم تركسه
ولست على حب الحجاز الأم^و
وان بعدت منهم طيك خيام
وعاوده بعد الفرام غرام
وهل غال قلبي غير ذاك سلام ؟
وصبري عنهم ما حيت حرام

ونحن لم نستقص شمر أولئك الرجال في هذا الفرض - شأن غيره من الأغراض -
ولا لضاقت الصفحات وتمددت ، ولكننا أخذنا ما نظنه مقنماً بأن جميعية العلماء
كان لها ورجالها أثر كبير في اللغة العربية وأدبها .

(١) المليب : هو سقط رأس الشاعر .

(٢) حنينه وهو في النفي .

" صور نادرة من شعرهم "

إن التصفح لشعر رجال جمعية العلماء ليرى بين ثنايا قصائدهم كسرة من التشبيهات والاستعارات والصور البلاغية الفذة التي أحكمها صنموها حتى صار الناظر إليها لا يشك في أن أصحابها جهاذة عظام لديهم مقـدرة عظيمة على تبيان الحقيقة وتقريب الواقع .

ولننظر إلى أحد هؤلاء الشعراء، إلى محمد العيد الذي خلق بتفكيره، وسما بخياله، فجعل للكون أسطراً، وأخذ في تعدادها، حتى إذا ما وصل أحدها توقف عنده طمأً ليكسوه حلة تقربه إلى قلب المستمع أو القارئ ليفهم الصورة المقصودة كاملة، فيشبهه الشيوخ والمجائز بالأهلة في الانحناء والاصفرار وقرب النهاية ويقول: (١)

وسطر شيوخ كالأهلية شيب
وهل شيبهم إلا نذير وفـاة؟

ويبدع الشاعر أكثر عندما يصف زلزال (١٩٥٤م) فيشبه الديار والجبال في تمايلها بالسفن التي تدافع الأمواج :

فترى الديار على الديار أكبها
وترى الجبال على الجبال أمالها
فكأنها سفن ببحر هائج
صخب تميل بعينها وشمالها

ويأتي بصورة أخرى من صور ذلك الحادث المؤلم، صورة ذلك الطفل الرضيع الذي جذبه الموت من حجر أمه :

كم مرضع صَادَ الحمام وحيدها
كالنسر صاد حمامة فاقتالها

وفي قصيدة أخرى نراه يتكلم عن جريدة "الشهاب" فيجيب على أسئلة الناس عن سبب احتجابها ، يجيب بأن نظرة واحدة إلى الكون وما فيه من آيات تكفي للإجابة على أسئلتهم ، فالشمس وهي أكبر شمعة مرئية تظهر وتختفي ، وكذلك البدر حاله حالها ، وهذه سنة الله في خلقه ، فلماذا لا ترضوا هي بحكم الله (١) :

إن تقولا : كيف احتجبت علينا فقم الكون كافل بالجواب
هذه الشمس وهي آية ربسي تتوارى عشيةً بالحجاب
ذلك البدر صنوها وأخوها يتفشى بحكمهر السحاب
سنة الله في الكواكب مثلي أفأسي من أجلها في اكتئاب ؟

ثم يتابع حديثه في نفس الموضوع ويمزج الأسباب إلى الزمان فيشبهه بقم الواشي وذلك في قوله :

ثم لا تبتئس إذا قيل إننا طوّحتنا طوائح الإغتراب
في زمانٍ كأنه فم واهٍ يتمايا بشائعات السباب

وينتقل إلى موضوع آخر في قصيدة أخرى ، فيتمرض للنشء وتعليمهم ، فيشبه عقولهم بالمرايا الماكسة لأفعال الكبار ، فإن استقام آباؤهم استقاموا ، وإن انحرف الرامي انحرفت الرعية ، ويأمر هؤلاء الرعاة بالاستقامة فيقول : (٢)

ولا تغفلوا أمر الصغار فإنهم لمستقبل الأيام خير رجال
وأشبه شيء بالمرايا عقولهم فصوغوا لها منكم أجل شال

وهين يصف الشاعر كتاب " شمرا الجزائر " يفصل في وصفه ويعلي شأنه فيقول مخاطباً مؤلفه محمد الهادي : (٣)

جتهم بالكتاب يحوي فريضا محكم السبك متقناً عربيا
من معانٍ مثل المرايا وضوحاً ومبانٍ مثل الصبايا حليبا

(١) الشهاب يحيي الشباب .

(٢) حياة نشاط .

(٣) هذه خطوة لك اليوم كبرى .

وإذا انتقنا إلى الشاعر محمد السعيد الزاهري وجدنا عنده صوراً أعمق وأجلى وأجدد ، فحين يودع الزعيم الثائر خالد الجزائري يجمله كوكباً في وطنه الجزائر ، وفي وطنه الثاني وبنفاه الإسكندرية ، ويشبّهه بالشمس المتقدة الضيئة في مشرقها وفي مغربها . يقول هذا الشاعر : (١)

لئن كنت في أفق الجزائر كوكباً فقد لحت في الإسكندرية كوكبنا
أما كان قرن الشمس عند شروقها شبيهاً بقرن الشمس تقصد مغربها ؟
وإذا ذكر الشاعر المخلصين من أبناء الجزائر تذكر من باعوا وطنهم وانساقوا خلف
المستعمر ، فأعطانا لهم صورة ليس بعدها ولا قبلها من نوعها صورته . وذلك حين
يشبّههم بالكلاب التي يرببها الرجل الغربي فتتبعه أو تتبع زوجته . ويقول : (٢)

قد يعتلي ذو حطّية ما إن طيها من مزيد
والكعب منزلته لدى الـ (م) إفرنج مرفوع بميـ
ولرب رائحة البهـ تفتّر عن طلع نضـ
لثمت ببسمها اللذيـ (م) إذ شوارب الكلب الطريد

فرائحة الجمال هي فرنسا، والكلب الطريد هو عون المستعمر .
وإلى لوحة أخرى من لوحات هذا الفنان القدير ، تلك هي نظرتة إلى الدهر وحوادثه
حيث يقول :

كان الوري والدهر بحر صروفه قوارب تطفو تارة ثم ترسب
فالدهر بحر ، والحوادث أمواج ، والناس قوارب ، مجموعة صور جمعها الشاعر
في صورة واحدة . وإذا كان المعنى مطروقاً فهذا لا يمنع أن يطرقة شاعرنا هذا
فمثلاً قول الشاعر القديم :

أولادنا أكبادنا تشي على الأرض

(١) إلى الزعيم الجزائري بالاسكندرية .
(٢) الشمر الفحل .

أخذه محمد السعيد الزاهري ، واستعمله في الحث على تطعيم الصغار حيث قال : (١)
أُطِيبَ أَنْفُسَكُمْ بَأْنٍ يَشَقُّ الْبَنُونَ وَهَمَّ كَبُودٌ ؟

وآخر صورة تأخذها من هذا الشاعر هي صورة وجه الساقى الجميل ، حيث حمرة
الخدين التي تشبه حمرة الشمس عند الشروق أو الغروب ، وبياض الوجه السدي
يشبه بياض الشمس عند منتصف النهار ، تلك الصورة التي تمتج بالألوان الزاهية
يذكرها الشاعر في قوله : (٢)

وساقٍ كأن الشمس تجري بوجهه بيت يساقينا الذي بات يسقاه

أما إذا انتقلنا إلى الشاعر أبي اليقظان ، فلن يكون الانتقال صعباً لتقارب
الأفكار ، وتشابه الثقافة ، فإذا طرق موضوعاً كالذى طرقه محمد العيد وهو
تأرجح صحافة الجزائر العربية بين الاحتجاب والظهور ، إذا طرقه أبو اليقظان
أتى بنفس التشبيه وزاد عليه بأن احتجاب الصحف يزيدا قيمة ورفعة ومحبة
عند من يهتمون بها ، فهي كيوسف طيه السلام حينما رُجَّ في السجن مظلوماً ، فإنه
لم يلبث أن خرج منه واحتل مكاناً عالياً في البلد . يقول هذا الشاعر مخاضاً طبياً
صحافة تونس : (٣)

يا شمس تونس إن أصابك كسفهم فلقد أصابت شمسنا ظلمات

لو لم يفب في السجن يوسف ما غدا طكاً تؤدى عنده السجادات

ويبين في القصيدة نفسها أهمية الصحافة للشعب فيجعلها بمنزلة الأب للطفل
أو المعلم للتلميذ ، وذلك إن يقول :

الشعب طفل وهي والديه يرى لحياته ما لا تراه رعاية

الشعب تلميذ وهي مشقفة ومهذب إن تخلص النيات

(١) الشعر الفحل .

(٢) لبيت قومي يعلمون .

(٣) الصحافة .

وحين يصف هذا الشاعر ظمه ، ينحو منحوا عنثرة بن شداد في وصف سيفه (١)
فيصيب أكر منه حين يقول : (٢)

براعي كان في الدنيا طبيباً (يداوي رأس من يشكو الصداعا)

فالسيف مهته القتل . . أما الظم فإنه يستعمل لمداواة العقول المريضة .
وعندما يقرر المستعمر نفي صديق من أصدقاء الشاعر ، وهو الشيخ ابراهيم اطفيش
إلى تونس ، ثم ينفيه مرة أخرى إلى أرض الكنانة : مصر ، يقف الشاعر مع المؤدعين
لهذا المناضل ، فيهنئه بالنفي ، لأنه سيعتمد عن ديار الظلم والذل . ويستعين
الشاعر بشقافته النحوية ليفسر النفي تفسيراً يجعل المنفي يقر عيناً بنفيه .
يقول الشاعر متكماً عن المستعمر وحاله مع هذا الرجل (٣) :

قد أوصدوا أبواب تونس عنه بل فتحوا له أبواب مصر مجاناً
حسب المشاغب أن هذا كلسه نفي فطار لأجله جدلاناً
لكن تناسى أن نفي النفسى إثم (٤) حيات فطار لطيشه ولهاناً

فنفيه إلى تونس يمد نفياً ، ونفيه من تونس إلى مصر يمد نفياً للنفي ، ونفي النفسى
كما يقول الشاعر إثبات ، إنها فلسفة الرجل الموهوب التي لا ينتبه لها إلا من أوتى
هدى في التعبير ومداد في النظر ، ولا يبعد عنه الشيخ الطيب العقبي عندما
يرثي صديقه الشيخ المكي بن عزوز ، فإن الطيب يذكر أن أعداء هذا المرحوم قد
فرحوا لوفاته وأولوا لهم أن لا يفرحوا ، لأن وفاته نذير لهم من هذا الطارق الذي
لا يدع كائناً حياً على وجه البسيطة إلا طرق بابه . يقول الطيب :

لكن سرّ أعداء الإمام وفاتسه فقد ساء لهم منه القضاء المحتم
وقد بشروا لو يعقلون بمثلهما ولكنهم صموا عن الحق إذ عموا

(١) في قوله : حسامي كان في الهيجا طبيباً يداوي رأس من يشكو الصداعا

(٢) وداع الوطن .

(٣) تهنئة بنفي .

ويصود الشاعر ليبين منزلة الفقيد ، فيشبهه مرة بركن الدين ، ومرة أخرى بالجبل الأشم فيقول :

أما ابن عزوز وأودت علومه أم الركن ركن الدين أسمى يهدم ؟
بلوا بانها الأقدار وأفت برزئيه وما كان ظني أن يدك يلمطم

وللعلم والمعلم منزلة رفيعة في قلوب شعراء الجمعية ، لذلك نجد التشبيهات المتعددة ونرى الصور الرائعة لهؤلاء الجنود وتلك المعائل . فحين يدخل الشاعر محمد الهادي " نادي الترقى " يوافيه النور والإشعاع من أطراف الشباب الذين جلسوا أمام معلمهم ، ينهلون العلم سائفاً ، فيضفي عليهم الشاعر صورة القناريين المضيئة أمام البدر حيث يقول : (١)

نادٍ كأن رجاله في بهوه سرج شمشعة وبدر هادي

أما حين يصف المعهد الزيتوني بتونس ، فإنه يجعله عيناً جارية بالهدى وشمساً مضيئة بالعلوم : (٢)

المعهد المعمور ينبوع الهدى منكم تفجر بالهداية والتسع
كالشمس ترسل في البلاد أشقة بيضاً ويهدي في الحياة المجتمع

فكان يشبه إلى حد بعيد مدينة العلم " تلمسان " التي كانت في الماضي تصعج بنهضة طمية عارمة . أما الآن فقد صارت أطلالاً تهيج بالذكريات في قلب رائيها وتبعث في نفس الناظر إليها الحزن والأسى . ويشبه الشاعر محمد الهادي هذه المدينة في حالتها الراهنة بشبيه معنوي فيقول : (٣)

كأنها وهي تحت الأسر هامة دين من الله قد غطاه كقران
والشاعر رغم هذه الإجابة ، يتواضع ويتهم نفسه بالقصور في التعبير وذلك حين يقف مرحباً بشباب تونس والجزائر المتعلمين ، حيث يقرب لنا حماسه واندفاعه

(١) أمل تلمك في فؤاد حائر .

(٢) شباب تونس والجزائر .

(٣) تلك المدينة كم دان الزمان لها .

في الكلام رغم قصوره بتشبيهه رائع فيقول : (١)

أشباب تونس لم أكن في موقفي إلا فتى شكر الصنيع ولم يسع
لم يأل في طرق الإجابة جهده لكن مقوله الطلاقة ما رضع
فكانه وهو الصبي فصاحة ظم توقف في الصعاف وانصدع

ونعود إلى تشبيه الأولاد بالأكباد فنجد الشاعر قد شارك في هذا المصنوع ،
وتبع ابن عمه في استعماله لإغراء الآباء بتعليم أولادهم حيث قال : (٢)

وخذوا بأيدي الناشئين تعلموا فالناشئون أحق بالإسمار
فهم إذا حكم المواطف لم يزل مهج القلوب وقلذة الأكباد

أما حين يتعرض لحال الشعب فإنه يستبشر بالوهي الذي بدأ ينتشر بين أبناء
الأمة الجزائرية ، ويوضح أن الوصول إلى المجد لا يأتي دفعة واحدة بل على
مراحل ممتدة . فالشعب الناهض كالطفل النامي ، يكبر شيئاً فشيئاً حتى
يصبح رجلاً كاملاً : (٣)

والشعب كالطفل الغرير بساطه في بدء نهضته لأمرٍ فاخر
الطفل ممتور القوى من ضعفه والشعب يزرع تحت نير الجائر
هذا لفك قيوده تطلت والنصر بين تحالف وتامر
والطفل بالتدرج يضحى يافماً ذا قوة في الناس ليس بقاصر

ويأتي الشاعر بنموذج لنير الجائر ، فيصور وضع الأسرة الجزائرية التي صارت
ضحية للفقر والجهل والمرض ويقول : (٤)

كم رضيع يتوارى برضيع عضه الموت بناب أحمر

وعندما يتكلم الشاعر عن الفتاة الجزائرية ، ويلفها من العلم ، يندب حظها

-
- (١) شباب تونس والجزائر .
 - (٢) أمل تطل في فؤاد حائر .
 - (٣) ان الحياة هي المحظوظ .
 - (٤) مأساة وریده .

وحظ إخوانها الشباب ، ويتذكر الأجداد من بني حماد وغيرهم فيذكر مكانتهم
ويحصر الفضائل والمكارم فيهم قائلاً: (١)

ضربوا نطاقاً حول كل فضيلة كانوا على جيد المكارم جيداً

هاتيك بعض الروائع التي جادت بها قرائح شعراء جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين ، و - كما سبق - لا نقول إننا ذكرنا جميع أشعارهم وأحطنا بكل نتاجهم
بل نقول إننا دخلنا البستان فقطفنا قدر حاجتنا من الزهور والثمار . وما تركناه
أكر ما أخذناه .

فهؤلاء الأدياء كتبوا وعبروا عن آلامهم وآمالهم نثرًا وشعرًا . وهناك
المديد من رجال الجمعية لم تتعرض لهم ولا لأثارهم ، وإلا لطال البحث
وتشعب ، وحسبنا ما اطلعنا عليه ما تقدم .

* * * * *

(١) الفتاة الجزائرية .

(٢)

" خاتمة "

ويقف بنا المطاف في هذه الصفحات ، لننطلق منها على ما تقدم إطلاقة
الفكر المعتبر . فنرى كيف دخل المستعمر أرض الجزائر لابساً ثوب صديق
ناصح ، ناشداً - على ما يزعم - تطوير المواطنين الجزائريين وتحضيرهم
مع أنهم في غنى عنه وعن حضارته .

وقد وقعت في وجهه جماعة ، واغترت به جماعات . . ولكنه لم يدع لأي من
هذين الفريقين فرصة للتفكير في موقفه ، بل ظهر على حقيقته ، فخلع ثياب
النصح والتنصيح بعد أن أحسّ بصلابة الأرض تحت قدميه ، وانقلب على شئب
الجزائر المسكين يضطهد طائفة ويبعد أخرى ، ويفرق بين الشعب ديناً وجنساً
ويحارب الإسلام والمسلمين ، ويحاول قتل اللغة العربية ، ويجعل الدين الإسلامي
الحنيف هدفاً لضربات الغادرة ، ويمبث بأديهم وتاريخهم كيفما يريد .

ومن خلال هذه الإطلاقة المفكرة نلمح طائفة الطرق الصوفية التي أسسك
المستعمر الفرنسي مقودها ، فراحت تجرّ الشعب إلى أضاليلها وخرافاتهما ،
وتحاول تزويد شخصيته العربية لينسى حقه في الحياة والحرية . ومن هنا كان
ردّ الفعل . . فقد تنبّهت بعض الأسر المحافظة على لغتها ودينها لوما يحاك
لها ويدبرّ ضدها ، فهاجر بعضها إلى البلدان الإسلامية الشقيقة ، وبقيت بعض
الأسر ، ولكنها أهدت أبناءها عن مدارس المستعمر وقصرت تعليمهم على لغتهم
ودينهم وتاريخ وآداب أجدادهم . فخرج من هؤلاء رجال وهبوا أنفسهم وكل
ما يملكون فدية لوطنهم وضحية لأنفسهم ، وراح هؤلاء الرجال ينشئون المدارس
العربية ، ويصدرون الصحف التي تدعو إلى الثورة وتحرير الوطن ، وأقاموا
النوادي للمحاضرات والوعظ والإرشاد ، كما استطاعوا أن ينشئوا رابطة إسلامية

تضم قادة الفكر العربي الإسلامي الجزائري ، وأسموها " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " ، وسارت هذه الجمعية تؤدّي رسالتها ، حتى استطاعت بفضل الله ثم بفضل قادتها المخلصين ، وطني رأسهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، أن تميد الإسلام والعروبة إلى هذا البلد الموتور ، وأن تتشكّل النشء الجزائري من بحور الظلمات التي كاد يفرق فيها ، فتولّت تربيتهم على حسب عقيدتهم ، وأرضعتهم تراث أجدادهم ، فصاروا فيما بعد أسود اللفة والدين ؛ يتنافسون في الذود عنهما ، ويتبارون في خدمتهما ، وقد رأينا جهاد هؤلاء مثلاً في كتاباتهم وقصائدهم ، كما رأينا صورة مفصلة عن هذه الجمعية ورجالها وعرفنا كيف تمكنت من زرع العزم والتصميم في قلوب أبناء الجزائر على تحرير وطنهم ، حتى سمعنا منهم من يردّد بيت الشعر الذي قاله جدّه من قبل مع تفسير بسيط :

فإن النقط نطق أبي وجدّي وشرى ذو حفرت وذو طويست

ورأينا كيف نصب هؤلاء الشباب من أجسامهم جسراً قوياً عبراً عليه الشعب إلى شاطئ الحرية ، فانتصر الحق على الباطل ، وتحرر الوطن بعد رِقِّ دام أكثر من قرن وثلاث .

وعسى أن تكون تلك الصفحات السوداء عبرة لمن يعتبر ؛ وأن يستفلمها العرب والمسلمون لصالحهم ، فتكون الفائدة أكثر من الضرر ، وذلك بأن يميّزوا بين العدو والصديق حتى لا يفرهم بالله الفرور .

" والحمد لله أولاً وآخراً "

- تابع / حرف "أ" -

- أبو القاسم محمد البوجلبيسي : ٠٤٤
أبولبينه عثمان بن الخوجه : ٠٧٦
أبو محمد بلحسن بن محمد النجار : ٠٣٦
أبو مصطفى محمد المكي بن عزوز : ٥٤ ، ٥٥ ، ٩٧ ، ١٣١ ، ١٦٢ ، ١٧٨
أبو المطرف بن أبي عميره : ٠٤٤
أبو اليقظان : ٠٣٢ ، ٦١ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤
٠١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٦٥ ، ١٧٧
أحمد (الداي) : ٠٣
أحمد بك (القائد التركي) : ٠٥
أحمد بو معيزه : ٠٣٢
أحمد توفيق المدني : ٢٦ ، ٣٢ ، ٤٦ ، ٦٦ ، ٧٦
أحمد شوقي : ٠٤٦ ، ١٢٠
ادوار بريمون (الجنرال) : ٠١٦
اله الجيوش : ٠٩

- حرف الباء التحتية المفردة -

- بديع الزمان الهمداني : ٠٤٥
برتيلو : ١١٣ ، ١٥٧
بشير بومعزه : ٠٥
البشير صفر : ٠٣٦
بلقاسم اللجاني : ٠٣٢
بلكين بن زيري : ٠٣٤
بوينيتر (الجنرال) : ٠٦
بومزراق (٤) : ٠٥
بومزراق المقراني : ٠٦
بيجو (القائد الفرنسي) : ٠١٠
البضاوي : ٠٣٦

— حرف الجيم التحتية المعجمة —

- جبريل : ١٦٢ .
جمال الدين الأفغاني : ٦ ، ٣٦ ، ٧٤٠ .

— حرف الحاء المهبطة —

- حافظ ابراهيم : ٤٦ .
الحافظ المراقي : ٤٤ .
الحداد (الشيخ) : ٦ .
حسان (الداى) : ٣ .
حسان بن ثابت : ١٥٤ .
الحسن السبط (رضي الله عنه) : ٦٤ .
حسين أحمد الفيض آبادى الهندى : ٢٧ ، ٤٦ .
حسين باشا (الداى) : ٣ .
الحسين بن علي (الشريف) : ٥٢ ، ٥٣ .
حفص (القارى) : ٥٢ .
عمدى حافظ : ٢٧ .
حمزه بوكوشه : ٢٢ .
حيدر (علي بن أبي طالب) : ١٦٩ .

— حرف الخاء الفوقية المعجمة —

- خالد الجزائرى (الأمير) : ٧ ، ٩٨ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٧٦ .
الخضر بن الحسين : ٢٦ .

— حرف الدال المهبطة —

- دلاديه (الوزير الفرنسى) : ٤٠ .
ديجول (الجنرال) : ٨ .
ديمشيل : ٢٩ .

— حرف الراء المهبطه —

- راندون : ٠٦
ربيع قرى اليعلاوى : ٠٤٤
رشيد الخيال : ٠٩٥ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٧٩
رشيد رضا : ٠٧٤
روفيجو : ٠٩

— حرف الزاى المعجمه —

- زهيره بن جلول بنت طي بن جلول : ٠٣٤

— حرف السين المهبطه —

- سحبان . وائل : ٠١١٨ ، ١١٧
السمعد : ٠٣٦
سمعد المياض السطايفي : ٠٣٦
سمود بن عبد المزيز آل سمود : ٠٤٨
سميد الصالحي : ٠٧٥ ، ٣٢
سليم البشورى : ٠٤٦
سليمان باشا الباروني : ٠٦٣
سهل بن هارون : ٠٤٥
سويريفي وهران : ٠٣٠
سي الأزرق : ٠٦
سي سليمان : ٠٦

— حرف الشين المعجمه —

- شارل العاشر : ٠٩ ، ٣
شكيب أرسلان (الأمير) : ٠١٢٠
شوطان (الوزير الفرنسي) : ٠٧١ ، ٢٩

- تابع / حرف الميم المهملة -

- المريبي بن بلقاسم التبيسي : ٣٢ ، ٣٣ ، ٦٦ ، ٧٦ .
عقبة بن نافع : ٠١ .
علال الفاسي : ٢٧ ، ٤٥ .
علي بن العابد السنوسي : ٠٦٠ .
علي بن ناجي الزاهري : ٠٦٠ .
عمار الطالبي : ٠٨٢ .
عمر بن يحيى (الحاج) : ٠٦٢ .
عنترة بن شداد : ٠١٧٨ .
فياض (القاضي) : ٠٣٧ .
عيسى بن يحيى (الحاج) : ٠٦١ .

- حرف الفاء المفردة -

- فرحات بن الدراجي : ٠٣٢ .
فرحات عباس : ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٠ ، ٤١ .
فرنسو (الاسباني) : ٠٩١ .
الفضيل الورتلاني : ٣٢ ، ٣٣ ، ٧٥ .

- حرف القاف المثناة -

- القاضي القزويني : ٠٤٤ .
قس بن ساعده : ١١٧ .

- حرف اللام -

- لافيجرى (الكاردينال) : ٠١٠ .
لالا فاطمه : ٠٦ .
الله (علم الأعلام) : ١ ، ٢ ، ١٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٣ .

— حرف الميم —

- مالك حداد : ٠١٥
- مبارك بن محمد الميلي العمودي : ٠٧٦، ٦٦، ٣٢
- محمد بن ابراهيم بن الحاج صالح : ٠٥٢
- محمد أبو جمعه القلي : ٠٤٤
- محمد الأمين العمودي : ٠٣٢، ٠٥٦، ٠٧٩، ٠٨٢، ٠٩٤، ٠١٠٠، ٠١٠٢، ٠١١١، ٠١١٦، ٠١٢١، ٠١٥١، ٠١٥٣، ٠١٦٧، ٠١٦٨، ٠١٧٠
- محمد بخيت المطيعي : ٠٤٦
- محمد البشير الابراهيمي : ٠١٥، ٠١٩، ٠٢٥، ٠٢٦، ٠٢٧، ٠٣١، ٠٣٢، ٠٣٣، ٠٤٣، ٠٤٥، ٠٤٦، ٠٤٧، ٠٤٨، ٠٤٩، ٠٥٠، ٠٥٣، ٠٥٤، ٠٥٧، ٠٥٨، ٠٥٩، ٠٦٧، ٠٦٨، ٠٦٩، ٠٧٩، ٠٨٨، ٠١٠٣، ٠١١٢، ٠١٥٩
- محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) : ٠١، ٠٣٠، ٠٤٠، ٠٥٩، ٠١٠٢، ٠١١٤، ٠١١٩، ٠١٦٩
- محمد بن عبد الله (٤) : ٠٥
- محمد بن عبد الله : ٠٥٢
- محمد بن عبد الله المقراني : ٠٦
- محمد بن عبد الوهاب (الشيخ) : ٠٧٤
- محمد بن القاضي : ٠٣٦
- محمد بن مصطفى بن مكي بن باديس : ٠٣٤
- محمد بن منصور العقبي : ٠٣٢
- محمد بن ناجي الزاهري : ٠٦٠
- محمد بن يوسف (السلطان) : ٠١٥٩
- محمد خير الدين : ٠٣٢
- محمد السعيد الزاهري : ٠٣٢، ٠٦٠، ٠٨٣، ٠٨٦، ٠٩٠، ٠٩٤، ٠٩٦، ٠٩٨، ٠١٠١، ٠١٠٤، ٠١٠٥، ٠١٠٦، ٠١٠٧، ٠١٠٨، ٠١١٤، ٠١١٥، ٠١١٩، ٠١٢١، ٠١٢٣، ٠١٢٤، ٠١٢٦، ٠١٢٨، ٠١٣٠، ٠١٣٣، ٠١٣٦، ٠١٣٩، ٠١٤١، ٠١٤٣، ٠١٤٤، ٠١٤٧، ٠١٥١، ٠١٥٥، ٠١٥٦، ٠١٥٧، ٠١٥٨، ٠١٦٧، ٠١٦٨، ٠١٦٩، ٠١٧٠، ٠١٧١، ٠١٧٢، ٠١٧٦، ٠١٧٧

- تابع / حرف الميم -

- محمد الصادق النيفر : ٠٣٦
محمد الصالح بن جلول : ٠٤٠٠ ١٦
محمد الظاهر بن عاشور : ٠٣٦٠ ٣٥
محمد الظاهر الجيجلي : ٠٣٢
محمد الطمار : ٠٨٢
محمد عبده : ٠١٥٦٠ ١١٣٠ ٧٤٠ ٧٣٠ ٤٧٠ ٣٦٠ ٣٥٠ ٦
محمد عثمان باشا : ٠٦٦
محمد الميهد : ٠١٠٤٠ ٩٧٠ ٩١٠ ٨٧٠ ٨٦٠ ٨٥٠ ٥٧٠ ٣٢
٠١١٩٠ ١١٧٠ ١١٦٠ ١١٣٠ ١١١٠ ١٠٨٠ ١٠٥٠
٠١٣٧٠ ١٣٥٠ ١٣٤٠ ١٣٠٠ ١٢٥٠ ١٢٢٠ ١٢١
٠١٥٤٠ ١٥٣٠ ١٤٩٠ ١٤٨٠ ١٤٧٠ ١٤٦٠ ١٤١
٠١٧٧٠ ١٧٤٠ ١٦٥٠ ١٦٣٠ ١٦١٠ ١٥٧٠ ١٥٦
محمد المبارك : ٠٧٥
محمد المداسي : ٠٣٤
محمد المكي الابراهيمي : ٠٤٤
محمد النخلي القيرواني : ٠٦٠٠ ٣٦٠ ٣٥
محمد الهادي الزاهري : ٠٩٦٠ ٩٥٠ ٩٢٠ ٩٠٠ ٨٩٠ ٨٥٠ ٨٢٠ ٦٤٠ ٣٢
٠١١٨٠ ١١٥٠ ١١٢٠ ١٠٩٠ ١٠٦٠ ١٠٤٠ ٩٩
٠١٣١٠ ١٣٠٠ ١٢٩٠ ١٢٧٠ ١٢٦٠ ١٢٥٠ ١٢٠
٠١٤٦٠ ١٤٣٠ ١٤٢٠ ١٤٠٠ ١٣٩٠ ١٣٥٠ ١٣٤
٠١٦٥٠ ١٦٤٠ ١٥٩٠ ١٥٨٠ ١٥٧٠ ١٥٠٠ ١٤٧
٠١٧٩٠ ١٧٥٠ ١٧٢٠ ١٦٩
محمود شرقاوي : ٠٢٧
محمود مجاهد الجزائري : ٠٢٧
مسيو برك : ٠١١
مسيو مطران (الوزير الفرنسي) : ٠١٢
مصالي الحاج أحمد : ٠٢٢٠ ٢١٠ ٢٠٠ ١٩

- تابع / حرف الميم -

- مصطفى باشا (الداي) : ٠٣
مصطفى حلوش : ٠٣٢
معاوية التميمي : ٠٦٠
مكي بن باديس : ٠٣٤
المولود الحافظي : ٠٦٧، ٣١

- حرف النون -

- النايفة الذبياني : ٠٥٥
نابليون بونابرت : ٠٤

- حرف الهاء -

- هانوتو : ٠ ١٥٧، ١١٣

- حرف الواو -

- وريده : ٠٩٢
الوزير التونسي (؟) : ٠ ٤٦

- حرف الياء -

- يوسف (عليه السلام) : ٠ ١٧٧، ١٥٤، ١٢١، ١١٧، ٩٧
يوسف الدجنوي : ٠ ٤٦

فهرس الأماكسن

- حرف الألف -

أزمير	: ٦٢، ٥٢
الاسكندرية	: ١٧٦، ١٥٦
أفريقيسه	: ٣٤
الأندلس	: ٤٤، ١١، ١
الأناضول	: ٥٢
أوراس	: ٧
أوروبا	: ١٦
ايطاليا	: ٤
ايفيان	: ٨

- حرف الباء التحتية المفردة -

باريس	: ٤، ١٩، ٤٠، ٥٩، ٧٥
الباستيل	: ٨٧
بتانه	: ٥٨
البحر الأبيض المتوسط	: ٣
برج الحسن	: ٤
بسكركه	: ٥، ٤٦، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٥٨، ٧٩
بني يسجن	: ٦٢
بيروت	: ٦٢

- حرف التاء الفوقية المشناة -

تبسه	: ٦٦
تركيا	: ٤٥، ٧٢، ١١٧، ١٧٣
تلمسان	: ٣٨، ٤٥، ٩٠، ١٢٥، ١٦٤، ١٧٩
تونس	: ٦٦، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٣، ٤٦، ٤٩، ٥٧
٦٠	: ٦٦، ٦٦، ٧٠، ١٣٠، ١٣٠، ١٣٤، ١٤٢
١٧٧	: ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠
تيطرى	: ٥

— حرف الجيم التحتية الممجمه —

- الجامع الأخضر : ٢٨ ، ٦٦ .
- جامع الزيتونه : ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٣ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٦ .
- ٦٦ ، ٦٩ ، ١٧٩ .
- جامع سيدى محمد النجار : ٣٥ .
- جامع القصيه : ٩ .
- الجامع الكبير : ٣٤ ، ٣٧ .
- جامع كشاوه : ٩ .
- جامعة الأزهر : ٢ ، ٦٩ .
- الجامعة الاسلامية : ٦ ، ٢٠ .
- جامعة باريس : ٧٥ .
- جامعة الجزائر : ١٧ .
- الجامعة العربية : ٢٠ .
- جده : ٢ .
- جرجره (منطقه) : ٦ .
- الجزائر : (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤) .
- الجزيرة العربية : ٧٤ .
- الجورا : ٩٢ .

— حرف الحاء المهملة —

- الحجاز : ٢٥ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٧٤ ، ١١٧ ، ١٢٣ ،
الحرم المكي : ٣٧ ،
الحرم النبوي : ٣٧ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٢ ،

— حرف الخاء الفوقية المعجمة —

- الخروج : ٤٩ ،

— حرف الدال المهملة —

- دمشق : ٣٧ ، ٦٢ ، ٧٤ ،

— حرف الراء المهملة —

- الروم ايلني : ٥٢ ،
الرياض : ٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ،

— حرف الزاي المعجمه —

- الزاب الشرقي : ٥٢ ، ٦٠ ، ٦٤ ،

— حرف السين المهملة —

- سانتوجين : ٩٢ ،
سد فرقوق : ٨٥ ، ١٠٧ ، ١٤٠ ، ١٦٥ ،
سطيف : ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
سكيكده : ٦٤ ،
سوريه : ٥ ، ٤٥ ، ٧٢ ،
سويسرا : ١٩ ،
سيدي عقبه : ٥٢ ،
سيدي قروج : ٤ ،

— حرف الشين المعجمه —

- الشام : ٣٧ ،
الشرق العربي : ٢٧ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
الشمال الافريقي : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ،

- حرف الطاء المهبطه -

٠٢ :	الطائف
٠٦٢ :	طرابلس
٠٣ :	طولون

- حرف العين المهبطه -

٠١٧٣ :	المليب
٠٥٧ :	عين البيضا
٠٥٨ :	عين طيله

- حرف الفاء المفردة -

٠١٦٠١٤٠١٣٠١٢٠١٠٠٩٠٧٠٥٠٤٠٣ :	فرنسا
٠٥٨٠٥٤٠٤٩٠٤١٠٤٠٣٨٠٣٠٠٢٠٠١٨	
٠٧٠٧٧٠٦٨٠٦٩٠٦٦٠٦٤٠٦٠	

- حرف القاف الشناه -

٠٦٩٠٣٣ :	القاهره
٠٥ :	القبائل (منطقه)
٠٦٢ :	القراره
٠٦٦ :	قرطاجنه
٠٥٦٠٤٩٠٤٦٠٤٣٠٣٨٠٣٧٠٣٥٠٣٤٠٢١ :	قسنطينه
٠١٠٣٦٠١١٠١٦٠١٧٠١٨	
٠٤٣ :	قصر الطير

- حرف الكاف -

٠٩ :	كاتدرائية الجزائر
٠٩ :	كاتدرائية قسنطينه
٠٣٧ :	كتاب سيدى فتح الله
٠٩ :	كنيسة النصر (نوتردام)
٠٦٤ :	الكوميساريه

- حرف اللام -

- لبنان : ٠ ٣٧
ليانه : ٠ ٦٤، ٦٠، ٥٢
ليبيا : ٠ ٤٩

- حرف الميم -

- المحيط الأطلسي : ٠ ١
مدرسة التربية التعليمية في بتانه : ٠ ٥٨
المدرسة الخلدونية : ٠ ٦٢
مدرسة الشبيبة الاسلامية بالجزائر : ٠ ٦٩، ٥٨
المدرسة الصدقيه بتبسه : ٠ ٦٢
مدرسة عبد الحميد بن باديس : ٠ ٦٤
مدرسة الفرقان بعين طيله : ٠ ٥٨
مدرسة قسنطينه : ٠ ٥٦
المدينه المنوره : ٠ ٥٢، ٤٦، ٤٥، ٤٣، ٣٧، ٣٥، ٣٢، ٢٦، ٢٥
٠ ١٧٣، ٨٦، ٧٤، ٦٨، ٥٣
مراكش : ٠ ٦
مرسيليا : ٠ ٧٥
مستغانم : ٠ ١٦٦
مسجد الهاي : ٠ ٩
مسجد سيدى قموش : ٠ ٣٧
مسجد ظي بتشيم : ٠ ٩
مصر : ٠ ٧٢، ٦٩، ٦٤، ٦٢، ٤٦، ٤٥، ٣٧، ٤
٠ ١٧٨، ١٥٦
معهد عبد الحميد بن باديس : ٠ ٦٩
المغرب : ٠ ٤٤، ٢٣، ١٦، ٥
المكتب الفرنسي الابتدائي : ٠ ٥٦
المكتب القرآني ببلدة ليانه : ٠ ٦٤، ٦٠
المكتب القرآني بوادي سوف : ٠ ٥٦

تابع/ حرف الميم -

٠ ٥٣، ٥٢، ٢ :	مكه
٠ ٤٩، ٢ :	المطلة العربية السعودية:
٠ ١٩ :	موسكو
٠ ٦٣، ٦٢ :	ميزاب
٠ ٦٦ :	الميله

- حرف النون -

٠ ٤ :	نابولي
٠ ٧٦ :	نادى الاتحاد
٠ ٦٣ :	النادى الأدبي
٠ ١٧٩، ٧٦، ٥٤، ٤٠ :	نادى الترقىي
٠ ١٥٩، ١١٨، ٦٥ :	نادى الشبيبه

- حرف الهاء -

٠ ٧ :	هيئة الأمم المتحدة:
-------	---------------------

- حرف الواو -

٠ ٥٦ :	وادي سوف
٠ ٥ :	واحات الجنوب (منطقة):
٠ ٣٨، ٣٠، ٢١، ٦، ٥ :	وهران

- حرف اليا -

٠ ١٧٩، ٥٤ :	يلليم
-------------	-------

فهرس القبائل والأسر والجماعات

---x---

- آل خليفه : ٥٢
أولاد سيدى الشيخ : ٠٦
البربر : ٠١٣٩، ١٦
بنو حماد : ٠١٨١
بنو سنانن : ٠٦
بنو سياش : ٠٦
بنو هلال :
الزاهرى (أسره) : ٠١٣
عبد الجليل (أسره) : ٠٣٤
المرب : ٠١٠، ١١، ١٦، ٣٦، ٦٤، ١١٣، ١٣٩، ١٥٥، ١٨٣
الفينيقيون : ٠١٦
النماشه : ٠٦٦
الاتحاد الوطني لمسلمي الشمال الافريقي : ٠٢٠، ٢١
جماعة الآباء البيض : ٠١٠
جماعة الارهابيين الشرفاء : ٠٦
جمعية علماء السنه : ٠٣١
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : ٠٢، ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣
حركة انتصار الحريات الديمقراطية : ٠٢٢
حزب أصدقاء البيان والحريه : ٠٢١
حزب الأمة الجزائرى : ٠٧
حزب تركيا الفتاة : ٠٥٢
حزب الشعب الجزائرى : ٠٢١
الحزب الشيوعي الجزائرى : ٠٢٠

- الحزب الشيوعي الفرنسي : ٢٠ .
- طبقة الطرقيہ : ١٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٨٢ .
- الطريقة التيجانية : ٣٥ .
- فرقة الاسماعيليه الباطنية : ٣٤ .
- فرقة الشيعة بافريقيا : ٣٤ ، ٣٩ .
- كتلة المنتخبين المسلمين الجزائريين : ٧ .
- منظمة أصدقاء الأمة : ٢١ .
- منظمة نجم الشمال الافريقي : ١٨ ، ٢٠ .

- فهرس المراجع -

- ١ (ابن باديس حياته وآثاره / عمار الطالبي / ج ١ ، ٢ ، ٣ / دار مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والتوزيع والنشر / الجزائر .
- ٢ (الأدب الجزائري المعاصر / سعاد محمد خضر / المكتبة العصرية (١٩٦٧) صيدا - لبنان .
- ٣ (الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي / كلود هنري ، اندريه يرينان ، ليف لاكوست / ترجمة : محمد عيتاني / مكتبة المعارف / بيروت - لبنان .
- ٤ (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى / أحمد بن خالد الناصري / دار الكتب (١٩٥٤ م) الدار البيضاء . .
- ٥ (الإسلام والثقافة العربية في أفريقيه / حسن أحمد محمود / دار النهضة العربية (١٩٦٣) / القاهره .
- ٦ (أضواء على القضية الجزائرية / إبراهيم كبه / مطبعة الرابطة (١٩٥٦ م) بغداد .
- ٧ (الأعلام / خير الدين الزركلي / الناشر : المؤلف (١٩٦٩ م) / بيروت .
- ٨ (الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية / محمود قاسم / دار المعارف بمصر (١٣٨٨ هـ) ، (١٩٦٨ م) .
- ٩ (تاريخ الأدب الجزائري / محمد الطمار / الشركة الوطنية للنشر والتوزيع / الجزائر .
- ١٠ (تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار السجائر / محمد عبد القاسم / الجزائر / ج ١ ، ٢ / المطبعة التجارية (١٩٠٣) / الإسكندرية .
- دار العلم للملايين (١٩٦٤) / بيروت لبنان .
- ١١ (تطور السياسة الفرنسية في الجزائر / صلاح العقاد / معهد الدراسات العربية (١٩٥٩ م) / القاهرة .
- ١٢ (الثورة الجزائرية / أحمد الخطيب / دار العلم للملايين (١٩٥٨ م) / بيروت لبنان .

- ١٣ (الجزائر أرض اللهب والدم / محمد عودة ، محمود السعدني ، عبد الوهاب / البياتي / المكتب الدولي للترجمة والنشر / القاهرة .
- ١٤ (الجزائر الثائرة / الفضيل الورتلاني / منشورات عياد الرحمن (١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م) / بيروت - لبنان .
- ١٥ (الجزائر حتف الاستعمار / فيكس ليون / مكتبة المعارف / بيروت - لبنان .
- ١٦ (الجزائر الحرّة / سمود مجاهد الجزائري / دار الأيتام الصناعية (١٩٦٢ م) عمان الأردن .
- ١٧ (الجزائر عبر الأجيال / سمود مجاهد الجزائري / ط ٢ / دار الأيتام الصناعية / عمان الأردن .
- ١٨ (الجزائر العربية / إحسان حقي / ط ١ / منشورات المكتب التجاري (١٩٦١ م) بيروت - لبنان .
- ١٩ (الجزائر في معركة التحرير / سعد زغلول فؤاد / القاهرة (١٩٥٦ م) .
- ٢٠ (الجزائر قاهرة نابليون / أدوار لوكر / دار الثقافة / بيروت - لبنان .
- ٢١ (الجزائر المعاصرة / صلاح العقاد / معهد الدراسات العربية (١٩٦٣ م - ١٩٦٤ م) / القاهرة .
- ٢٢ (جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر / محمد طه الحاجري / معهد البحوث والدراسات العربية (١٩٦٨ م) / القاهرة .
- ٢٣ (شعراء الجزائر في العصر الحاضر / محمد الهادي الزاهري / ج ١ - ط ١ / المطبعة التونسية (١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م) . ج ٢ - ط ١ / مطبعة النهضة (١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م) .
- ٢٤ (الصحافة المصرية / أديب مروه / ط ١ / دار مكتبة الحياة (١٩٦١ م) بيروت - لبنان .
- ٢٥ (فضائع التعذيب في الجزائر / هنري إلسغ / ترجمة : أديب مروه / دار النشر للجامعيين (١٩٥٨ م) .

- ٢٦ (الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا / أنور الجندی / السدار القومية للطباعة والنشر (١٩٦٥م) / القاهرة .
- ٢٧ (قادة فتح المغرب العربي / محمود شيت خطاب / ط ١ / دارالفتح للطباعة والنشر (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) / بيروت - لبنان .
- ٢٨ (قال الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس / محمد الطاهر فضلاء / مطابع دار البعث (١٩٦٨م) / قسنطينة - الجزائر .
- ٢٩ (قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور / محمد جميل بيهم / ج ٢ - ط ١ / مطابع دار الكشاف (١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م) / بيروت .
- ٣٠ (المسألة المغربية من (١٩٠٠) إلى (١٩٦٢م) / محمد خير فارس / معهد الدراسات العربية (١٩٦١م) / القاهرة .
- ٣١ (معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة / ج ٥ / مطبعة الترقى (١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م) / دمشق - سوريا .
- ٣٢ (المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي / صلاح العقاد / مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٥٧م) / القاهرة .
- ٣٣ (المغرب العربي في بداية العصور الحديثة / صلاح العقاد / معهد الدراسات العربية (١٩٦٣م) / القاهرة .
- ٣٤ (المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى / غلال الفاسي / معهد الدراسات العربية (١٩٥٥م) / القاهرة .
- ٣٥ (المونس في أخبار أفريقيا وتونس / محمد الرعيحي القيرواني (المعروف بابن أبي دينار) / ط ٣ / المكتبة العتيقة (١٣٨٧هـ) / تونس .
- ٣٦ (نهضة الجزائر الحديثة وشورتها المباركة / محمد علي ديبوز / ج ١ - ط ١ / المطبعة التعاونية (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) .
- ٣٧ (هذه هي الجزائر / أحمد توفيق المدني / مكتبة النهضة المصرية (١٩٥٦م) / القاهرة .

- المجلدات -

(٣٨) مجلة الحج / ج ٣ / السنة الحادية عشرة / رمضان (١٣٧٦ هـ)

أبريل (١٩٥٧ م) .

(٣٩) مجلة حضارة الإسلام / العدد الثاني / السنة السادسة /

ربيع الآخر (١٣٨٥ هـ) - آب (١٩٦٥ م) .

(٤٠) مجلة حضارة الإسلام / العدد الثاني / السنة السادسة /

ربيع الثاني (١٣٨٦ هـ) - تموز (١٩٦٦ م) .

(٤١) مجلة حضارة الإسلام / العدد الثالث / السنة الحادية عشرة /

جمادى الأولى (١٣٩٠ هـ) - آب (١٩٧٠ م) .

(٤٢) مجلة الرسالة / ١٩ مارس (١٩٦٤ م) .

(٤٣) مجلة سجل الثقافة / العدد (١٠٦) / السنة الثالثة /

أكتوبر (١٩٦٥ م) .

(٤٤) مجلة العربي / العدد (٥١) / رمضان (١٣٨٢ هـ) - فبراير

(١٩٦٣ م) .

(٤٥) مجلة العربي / العدد (٥٣) / ذى القعدة (١٣٨٢ هـ) - أبريل

(١٩٦٣ م) .

(٤٦) مجلة العربي / العدد (١٢٠) / شعبان (١٣٨٨ هـ) - نوفمبر

(١٩٦٨ م) .

(٤٧) مجلة المسري / العدد (١٣٧)

(٤٨) مجلة المجتمع الكويتية / العدد (١٤٣) / ٢٣ صفر (١٣٩٢ هـ)

٢٧ مارس (١٩٧٣ م) .

- فهرس الموضوعات -

الموضوع	الصفحة
المقدمة .	١
قصة الاستعمار .	٣
الروح الصليبية وآثارها .	٩
المستعمرون وعلاؤهم .	١١
فرنسا والتعليم .	١٣
تكوين الأحزاب ، وقيام الجمعيات .	١٨
منظمة نجم الشمال الأفريقي .	١٨
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . X	١٩
الحزب الشيوعي الجزائري .	٢٠
الاتحاد الوطني لمسلمي الشمال الأفريقي .	٢٠
حزب الشعب الجزائري .	٢١
أصدقاء البيان والحريه .	٢١
الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري .	٢٢
حركة انتصار الحريات الديمقراطية .	٢٢
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . X	٢٤
سبب قيام الجمعية .	٢٥
تأسيس الجمعية ومبداؤها .	٢٥
موقف المستعمر وأعدائه من الجمعية .	٢٩
رؤساء الجمعية وأعضاؤها .	٣٢
عبد الحميد بن باديس .	٣٤
نموذج من كتابته .	٤١

ت - فهرس الموضوعات .

الموضوع	الصفحة
محمد البشير الإبراهيمي .	٤٣
نموذج من كتابته .	٥٠
الطيب العقبي .	٥٢
نموذج من شعره .	٥٤
محمد الأمين العمودي - نموذج من شعره .	٥٦
محمد العيد .	٥٧
نموذج من شعره .	٥٨
محمد السعيد الزاهري .	٦٠
نموذج من شعره .	٦١
أبو اليقظان .	٦١
نموذج من شعره .	٦٣
محمد الهادي الزاهري - نموذج من شعره .	٦٤
أحمد توفيق المدني ، مبارك بن محمد الميلي ، العربي التبسي .	٦٦
أثر جمعيّة العلماء في اللغة والأدب .	٦٧
فتح المدارس .	٦٨
الحفاظ على اللغة العربية .	٧١
تخريج العلماء والشعراء والخطباء والمرشدين .	٧٢
عقيدة الندوات .	٧٥
إصدار الصحف والمجلات .	٧٧
ألوان من شعر رجال الجمعيّة .	٨١
الاستعمار .	٨٢
أعوان المستعمر .	٩٤

ت - فهرس الموضوعات .

الموضوع	الصفحة
قوة الإيمان بالله .	١٠٠
التوجيه الاجتماعي .	١٠١
الإسلام .	١١٠
اللغة والأدب .	١١٦
التعليم .	١٢٣
الصحافة .	١٣٣
الوحدة .	١٣٩
التحرير على الثورة .	١٤٣
الفخر .	١٥٠
المسرح .	١٥٦
الزهد .	١٦١
الوصف .	١٦٣
الحكمة .	١٦٨
الغزل .	١٧٠
صور نادرة من شعر رجال الجمعية .	١٧٤
خاتمة .	١٨٢
فهرس الأعلام .	١٨٤
فهرس الأماكن .	١٩٣
فهرس القبائل والأسر .	١٩٩
فهرس المراجع .	٢٠١
فهرس الموضوعات .	٢٠٥